ISSN:
: 3005-6691
: 3005-6705

تبيين

لِلدِّراسَاتِ القُرآنيَّة

مجلة فصلية، تُعنى بالقضايا المعاصرة من منطلق قرآني.

السنة الأولى - العدد (3-4) 2024م - 1446هـ

المرجعيّة القرآنيّة للمشروع المهدويّ

- الافتتاحية:
  - أهل البيت عليهم السلام نموذج الخلافة الإلهيّة الأمثل
- المحور:
  - حتميّةُ تحقُّق المشروع المهدويّ
  - إثباتُ المهدوية في القرآن الكريم
  - الإمامة بين ضَرورتَيْ الحُضور والاحْتِجاب
  - عِلَل غَيْبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
  - فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي
  - فلسفةُ إقامة العَدل ونهاية الظُّلم في المجتمع المهدويّ
- دراسات وبحوث:
  - الأطروحةُ المهدويّة بين مقولات الاستشراق والنُّصوص القرآنية
  - عقيدةُ الانتظار والمهدويّة في رؤى المُستشرقين
- قراءة في كتاب:
  - المهدي المُنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الإمام الثّاني عشر

مركز براثا للدراسات والبحوث

المرجعيّة القرآنيّة للمشروع المهدويّ

السنة الأولى – العددان (3-4) 2024م – 1446هـ

ISSN:
: 3005-6691
: 3005-6705

تصدر عن:

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

مجلة فصلية، تُعنى بالقضايا المعاصرة من منطلق قرآني

www.barathacenter.com
www.Tabyin.barathacenter.com
Tabyin.magazine@gmail.com

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

[النحل: 89]

رسالة المجلة

1. العودة إلى القرآن وتأكيد مرجعية آياته في معالجة قضايا الأمة المعاصرة.

2. نشر الثقافة القرآنية على نطاق واسع وربط الأمة بكتابها المقدس لتجاوز القطيعة المعرفية معه.

3. التأكيد على قدرة القرآن الكريم على بعث الروح وتجديد الفاعلية في عقل ووجدان الأمة لتحقيق النهضة المنشودة.

4. ترسيخ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في فهم القرآن وتأويله انطلاقا من حديث الثقلين، لأهمية ذلك في التمهيد للمجتمع المهدوي الموعود.

العدد (3-4)
2024م

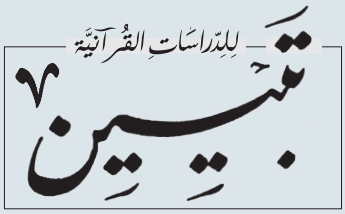

مجلة "تبيين للدراسات القرآنية" (Tabyin for Quranic studies) دورية علمية فصلية، تصدر عن: مركز براثا للدراسات والبحوث وتُعنى المجلة بمقاربة القضايا والتحديات الفكرية المعاصرة مقاربة قرآنية، وتهدف لتأصيل القضايا المعاصرة من منطلق قرآني.

ترحب المجلة بمساهمات الكتاب والباحثين بالكتابة في المجالات المتعلقة باهتمامات المجلة العلمية، ويمكن للراغبين بالكتابة مراسلة المجلة على العنوان التالي: مركز براثا للدراسات والبحوث – مجلة تبيين: بيروت، بغداد.

رئيس التحرير: 009647800441489

مدير التحرير: 0096171584949

البريد الالكتروني:
Tabyin.magazine@gmail.com

في العدد المقبل:

حقوق الإنسان
في القرآن الكريم

المشرف العام:
■ الشيخ جلال الدين الصغير

رئيس التحرير:
■ د. عمار عبد الرزاق الصغير

مدير التحرير:
■ د. محمد دكير

المدير الفني:
■ أ. خالد معماري

المدير المسؤول:
■ د. علي محمد جواد فضل الله

التدقيق اللغوي: ■ د. وليد السراقبي
المتـرجـمـون: ■ أ. لينا السقر (إنجليزي)

■ الهيئة العلمية:

- أ. د. عباس الفحام (البلاغة القرآنية - العراق)
- أ. د. حسن رضا (تربية - لبنان)
- أ. د. مبروك زاد الخير (دراسات اسلامية -الجزائر)
- أ. د. طلال فائق الكمالي (التفسير وعلوم القرآن - العراق)
- أ. د. محمد رضا حاجي اسماعيلي (دراسات قرآنية - إيران)
- أ. د. منير بن جمور (الفقه وعلومه- تونس)
- أ. د. فاضل مدب المسعودي (التفسير وعلوم القرآن - العراق)
- أ. د. محمد كاظم رحمن ستايش (علوم القرآن - إيران)
- أ. د. إقبال نجم وافي (علوم القرآن - العراق)

■ هيئة التحرير:

- أ. م. د. أسعد عبد الرزاق الأسدي (الشريعة والعلوم الإسلامية- العراق)
- ش. د. جواد رياض (الفقه وعلومه - مصر)
- أ. د. حسن كاظم أسد (التفسير وعلوم القرآن - العراق)
- السيد حسين إبراهيم (علوم القرآن - لبنان).
- أ. م. د. حكيم سلمان السلطاني (لسانيات وخطاب قرآني - العراق)
- د. عبد الله جنوف (دراسات اسلامية - تونس)
- أ. م. علي بنائيان أصفهاني (علوم القرآن والحديث - إيران)
- د. قائد عبد المطلب الفحام (التفسير وعلوم القرآن - العراق)
- د. لقاء جواد الكعبي (علوم القرآن والحديث - العراق)
- أ. د. محمد رضا ستوده نيا (علوم القرآن والحديث - ايران).

شروط النشـــر في مجلــة «تَبَيِّنٌ»

- البحوث والدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- عند قبول البحث يتعهد المؤلف بنقل حقوق ملكية البحث إلى المجلة، وعدم نشره في أية مجلة أخرى إلا بعد أخذ موافقة خطية من إدارة المجلة، ويكون من حق المجلة نشر البحث في كتاب جماعي؛ وفي حال أراد الباحث نشر بحثه في أي وسيلة نشر ورقية أو الكترونية، فيجب عليه أخذ موافقة خطية مسبقة من إدارة المجلة..
- تلتزم المجلة بإعلام المؤلِّف بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل، أو وفق تعديلات معينة بناءً على ما يرد من ملاحظات المقوّمين، أو الاعتذار عن عدم النشر في غضون مدة لا تتجاوز (30) يوماً، إلاّ في حال الاستكتاب المُبكِر، لكن يتم إعلام المؤلف بذلك.
- في حال رفض البحث فمن حق المجلة إعلام المؤلف بأسباب الرفض أو عدم إعلامه بذلك.
- ترتيب البحوث (المقالات) في داخل المجلة يخضع لأغراض فنيّة، ولا علاقة له بمكانة المؤلِّف (الباحث) وشهرته.
- تدفع المجلّة مكافأة مالية لكل بحث يُنشر في المجلة، وتُعلِم المؤلف بقيمتها أو طريقة احتسابها مسبّقاً.
- المراسلات: ترسل بإسم رئيس التحرير: الدكتور عمّار عبد الرزاق الصغير على العناوين التالية:
- رقم الهاتف: 009647800441489 أو البريد الإلكتروني: Tabyin.magazine@gmail.com

أخلاقيات النشر

- تلتزم إدارة المجلة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين.
- تلتزم إدارة المجلة بمراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العِرق أو الجنس، بل الالتزام بقواعد التفكير العلمي ومناهجه، ولغته في عرض وتقديم الأفكار والاتجاهات والموضوعات ومناقشتها أو تحليلها.
- تلتزم إدارة المجلة بعدم الإفصاح عن أسماء المقوّمين (المُحكمين) للمؤلفين، كذلك تلتزم في الوقت نفسه بعدم الإفصاح عن أسماء المؤلفين للمقوّمين ويبقى هذا الأمر على نحو سري عند رئيس ومدير التحرير فقط.
- احترام حقوق الملكية الفكرية للبحوث المترجمة.
- يُشترط أن يكون البحث متوافقاً مع معايير الأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.
- يشترط ألاّ يكون البحث المرسل للنشر في المجلة منشوراً سابقاً في مجلة أو في كتاب، أو مستلاً من رسالة أو أطروحة، وألاّ يكون تم تقديمه للنشر إلى مجلة أخرى في الوقت نفسه.

دليل المقوّمين

- إن المهمة الرئيسة للمقوّم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة، وتقويمه وفق رؤية ومنظور علمي وأكاديمي لا يخضع لأية أهواء شخصية، ويقوم بتثبيت ملاحظاته البناءة والصادقة بشأن البحث المرسل إليه.
- قبل البدء بعملية التقويم يتأكد المقوّم إذا ما كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي فعليه تقدير كونه يمتلك الوقت الكافي لإتمام عملية التقويم؛ ذلك أنَّ عملية التقويم يجب أن لا تتجاوز (15) يوماً.
- بعد موافقة المقوّم على إجراء عملية التقويم وإتمامها في المدة المحددة يلتزم بإجراء عملية التقويم على وفق المحددات الآتية:
  - أ. تحديد درجة الأمانة العلمية للبحث.
  - ب. تحديد درجة مطابقة عنوان البحث لمحتواه.
  - ج. تحديد درجة وضوح ملخص البحث.

د. تحديد درجة إيضاح مقدمة البحث لفكرة البحث.

ه. تحديد درجة تناسب العناوين الفرعية وترابطها.

و. تحديد درجة المستوى العلمي للبحث.

ز. تحديد درجة المستوى اللغوي والأدبي.

ح. تحديد درجة قيمة المصادر ودقة الاعتماد عليها.

ط. تحديد درجة أهمية البحث وأصالته من حيث الآلية والنتائج.

ي. تحديد درجة حجم البحث.

ك. تحديد درجة صلاحية البحث للنشر.

ل. يحدد المقوّم بشكل دقيق الفقرات التي تحتاج إلى تعديل من المؤلف.

- يحدد المقوّم أسباب الرفض في حال قرر عدم صلاحية البحث للنشر.
- تجري عملية التقويم على نحو سري.
- يتم تبليغ رئيس التحرير في حال أراد المقوّم الأول مناقشة البحث مع المقوّم الثاني.
- ترسل ملاحظات المقوّم العلمي إلى رئيس التحرير لإرسالها إلى المؤلف في حال وجود ملاحظات على البحث؛ لكي يأخذ المؤلف بها للموافقة على النشر، من دون أن يعرف المقوّم من هو المؤلف، ولا أن يعرف المؤلف من هو المقوّم.
- تعتمد ملاحظات المقوّمين وتوصياتهم في قرار اعتماد نشر البحث من عدمه.

دليل المؤلفين

- يجب أن يكون البحث جديداً في طرحه، ولم يسبق لأحد أن تناول الموضوع بالآلية نفسها ووصل إلى النتائج نفسها، وأن يتسم بالعمق والتحليل والنقد.
- يجب أن تكون لغة البحث خالية من الأخطاء اللغوية والطباعية، وأن تراعى في كتابتها علامات الترقيم.
- المعلومات الواردة في البحث يجب أن تكون موثقة من خلال المصادر والمراجع العلمية الدقيقة.

- على المؤلف مراعاة أن تكون عدد كلمات بحثه تتراوح ما بين (4500) إلى (5500) كلمة.
- سيتم استعمال برنامج فحص نسبة الاستلال (Plagiarism Check X).
- سيعرض البحث على برنامج الاستلال قبل تحويله للتقويم، وسيرفض البحث إذا تجاوزت نسبة الاستلال النسبة المقبولة عالمياً (25%).
- في تسجيل الهوامش المرتبطة بالحواشي المرجعية، فإن الكاتب سيستعمل نظام (شيكاغو المعدل)، ويُدرج الهوامش في أسفل الصفحة (Footnote) عبر الادراج التلقائي.
- مثال على نظام شيكاغو المعدّل:
  - في حال التوثيق من كتاب: اسم المؤلف: عنوان الكتاب، ذكر الجزء أو المجلد، رقم الصفحة.
  - في حال التوثيق من مجلة: اسم كاتب البحث أو المقال: عنوان البحث، اسم المجلة، العدد، رقم الصفحة.
  - في حال التوثيق من كتاب جماعي: اسم كاتب مع عبارة وآخرون: عنوان الكتاب أو البحث، رقم الصفحة.
  - في حال التوثيق من رسالة أو أطروحة: اسم الباحث: عنوان الرسالة أو الأطروحة، الجامعة والكلية، رقم الصفحة.
  - توثّق الآيات في المتن عقب النص القرآني مباشرة بذكر السورة متبوعة بنقطتين، ثم رقم الآية داخل حاصرتين، هكذا: (الإنسان: 25).
  - الآيات القرآنية تُدرج محرّكة وفق التشكيل القرآني، وتوضع بيم مقوسين خاصين، هكذا: ﴿بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾.
  - ملاحظة: ما تم ذكره في أعلاه من مصادر إن كانت إلكترونية فيتم إدراج الرابط بعد رقم الصفحة في الأسفل.
- يُدرج في نهاية البحث ثبت بالمصادر والمراجع، وفق ما ذكرنا أعلاه مع اضافة باقي التفاصيل المرتبطة به: دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر، رقم الطبعة.

يستعمل الكاتب في بحثه باللغة العربية خط (simplified Arabic) بحجم (14) في المتن، ونفس الخط بحجم (12) في الهامش.

أما باللغة الإنجليزية فيستعمل (Times New Roman) بحجم (14) في المتن، بحجم (12) في الهامش.

يكتب في الصفحة الأولى الآتي:

- عنوان البحث باللغة العربية.
- اسم المؤلف باللغة العربية (اذا كان عربيا)، مع ادراج حاشية سفلية يذكر فيها: جنسيته، توصيفه العلمي، الدرجة العلمية والشهادة، وجهة الانتساب (الجامعة، الكلية)، أو (المؤسسة البحثية).
- ملخص للبحث باللغة العربية على ألا يتجاوز الملخص الواحد (100) كلمة.
- الكلمات المفتاحية على ألا تتجاوز (7) كلمات.
- تقوم المجلة بإجراء ترجمة الملخصات إلى اللغات التي تراها مناسبة.

تعهد حقوق الملكية

إني المؤلف الباحث: .....

صاحب البحث الموسوم بـ: .....

.....

أتعهد بنقل حقوق الطبع والنشر والتوزيع إلى مجلة (تبيين) ومركز براثا للدراسات والبجوث.

التاريخ:

التوقيع:

تعهد الملكية الفكرية

أنا الموقع أدناه: .....

صاحب البحث الموسوم بـ: .....

.....

أتعهد بأن البحث الذي أنجزته لم يتم نشره أو تقديمه للنشر إلى مجلة أخرى، سواء أكانت داخل لبنان أو العراق أو أي دولة أخرى، وأرغب بنشره في مجلة (تبيين) ومركز براثا للدراسات والبحوث.

التاريخ:

التوقيع:

المحتويات

الافتتاحية

13 | **أهل البيت عليهم السلام نموذج الخلافة الإلهيّة الأمثل**
د. عمار عبد الرزاق الصغير

المحور

19 | **حتميّةُ تحقُّق المشروع المهدويّ**
د. نور مهدي الساعدي

41 | **إثباتُ المهدوية في القرآن**
محمد مهدي حائري بور

65 | **الإمامة بين ضَرورتَيْ الحُضور والاحْتِجاب**
الشيخ حسين إبراهيم شمس الدين

79 | **عِلَل غَيْبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف**
د. أحمد ذهيب حسين

103 | **فلسفةُ الابْتلاء في المشروع المَهدويّ**
الشيخ محمد عبد الحسين الخالدي

149 | **فلسفةُ إقامة العَدل ونهاية الظُّلم في المجتمع المهدويّ**
أ. عبد الخالق مرحب

171 | **الأَثَرُ القُرآني في بعض نُصوص دُعَاء الافْتِتَاح**
د. أحمد مُوَفّق مهدي

دراسات وأبحوث

192 | **الأطروحةُ المهدويّة بين مقولات الاستشراق والنُّصوص القرآنية**
أ. قاسم شعيب

221 | **عقيدةُ الانتظار والمهدويّة في رؤى المُستشرقين**
د. شهيد كريم محمد الكعبي – م. م آيات عزيز جري

قراءة في كتاب

249 | **المهدي المُنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الإمام الثّاني عشر** للسيد محمد سعيد الحكيم (طاب ثراه)
د. رؤوف أحمد الشمري

أهل البيت عليهم السلام نموذج الخلافة الإلهيّة الأمثل

رئيس التحرير
◆ د. عمار عبد الرزاق الصغير

لا يختلفُ المسلمون في الدور التفسيري الرائد الذي قام به النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، بوصفه المفسِّر الأوّل للقرآن الكريم، إلى جانب دوره المحوري في مجال تطبيق مفاهيم القرآن، وتبيين نظرته العامّة إلى الكون والحياة، هذا الدور الذي يحتاج إلى دراساتٍ تخصّصيّةٍ موسّعةٍ لمعرفة حُدوده ومدياته.

ولعلّ أبرز ما يُلحظ في هذا الدور التفسيريّ للنبيّ صلى الله عليه وآله، تمثله في مستويين: المستوى الأوّل هو المستوى العام الذي يُبيّنه للعامّة، بحدُود الحاجة، ومتطلّبات الواقع، وبقدر الاستيعاب ومستوى التلقّي. وبسببه اعتقد البعض أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يُبيّنْ من القرآن إلّا عددًا محدودًا من الآيات، كما في الخبر الذي أخرجه البزّار: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُفسِّر شيئاً من القرآن إلا آيًا بعَدد، علَّمه إيّاهُنَ جبريل"[1]. وهذا الاعتقاد مخالفٌ لقوله تعالى في بيان وظيفة النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[النحل:44]، فقد وضّح القرآن الكريم أنّ تبيينه صلى الله عليه وآله كان تفسيراً شاملاً.

أمّا المستوى الثاني، فهو المستوى التفسيري الخاصّ، الذي يتطلّب وعيًا عميقًا واستيعابًا شاملاً للأغراض القرآنيّة، وحملاً لتراث القرآن الكريم، ولم يكن بين المسلمين من يمتلك هذه الأهلية

1 - الخبر رواه البزار عن عائشة، انظر: تفسير الطبري، ج1 ، ص 29.

سوى الإمام علي(عليه السلام)، الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[الحاقة:12]، الأمر الذي يُتيح له أنْ يكون مرجعاً أمينًا بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله) في فهم القرآن، وإفهامه للأمّة، وضماناً لعدم تأثر فهمها بأفكار خاصّة أو منحرفة أو مسبقات ذهنيّة، أو رواسب جاهليّة. وقد فسّر النبيّ(صلى الله عليه وآله) القرآنَ للإمام علي(عليه السلام) تفسيراً مُستوعبًا تفصيليًّا يُناسب قابليته، وقام الإمامj بدوره بنقله إلى الأئمة من أبنائه، فتوارثوه جيلاً بعد آخر.

وقد أسّس النبيّ (صلى الله عليه وآله) بهذا الأسلوب مبدأ مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) في شتّى الجوانب الفكريّة للرسالة، وهذا يفصح عن أهليّتهم للخلافة الإلهية، وأنّ مشروعهم لا يقتصر على زمانهم، لأنّ الخلود الذي أراده القرآن لنفسه، واستمرار فاعليته مرجعًا ودستورًا، يتطلّب وجود أنموذج معياري وأمثل في تفسيره وتطبيقه، ملازم له على نحو الدوام، وههنا نستظهر قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأنّ القرآن وأهل البيت «لن يفترقا أبدًا». ولم يكن هذا التأبيد ممكنًا لو لم يكن ما عند أهل البيت (عليهم السلام) -منهجًا ومشروعًا- تمثّلاً ناطقًا ومطابقًا للقرآن نفسه، بمعانيه ومقاصده وأغراضه.

إذ إنّ القرآن الكريم بيانٌ للمعارف الإلهيّة، وحقائق الوجود، والشرائع والإرشادات والوصايا في الحياة الدنيا والآخرة، على نحو القواعد الكليّة والأصول العامّة في الغالب، ممّا أظهر الحاجة إلى مزيدٍ من التفصيل والإيضاح والتبيين، فكان الرجوع الى سُنّة النبيّ(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) هو السبيل لتفصيل الكليّات وبيان الإجمال، وتطبيق ذلك بالسُنّة – القوليّة والفعليّة والتقريريّة- لتتّضح معالم كلّ قاعدةٍ دينيةٍ معرفية، وتُطبَّق على وجهها الأمثل.

لذلك، آمن الشيعة الإمامية بنظرية محورية القرآن ومدارية السُنّة، ولم يكتفوا بمحوريّة القرآن[1]، خلافًا لمقولة: "حسبُنا كتاب الله"، والتي تُعدّ من التفسير بالرأي المنهي عنه، لأنّ ذلك يعني إلغاء دور السُنّة وعلاقتها بالقرآن، وإقصاء القناة التفسيرية الأنقى، المتمثّلة بالنبيّ وأهل بيته، فهم المخاطبون الأمثل له، والحلقة الأساس بين الله والبشريّة، فلا يَفهم النصّ إلاّ من خُوطِب به، وهو حديث الإمام الباقر (عليه السلام) «إنّما يعرفُ القرآنَ من خُوطِب به»[2] . وفي هذا الإطار، فقد سأل

1 - كذلك لا تكتفي بنظرية الاكتفاء بالسنّة الشريفة من دون القرآن.
2 - الكليني: الكافي، ج8، ص312.

رجل الإمام الرضا عليه السلام فقال: إنّك لتفسِّر من كتاب الله ما لم يُسمع. فقال عليه السلام: «علينا نزل قبل الناس، ولنا فُسِّر قبل أن يُفسَّر في الناس، فنحن نعرف حلاله وناسخه ومنسوخه و..»[1].

والنبيّ لا ينطق عن الهوى[2]، فهو المصدر الثاني للمعرفة الدينية والتشريع، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وآله: «ألا إنيّ أُوتيت القرآن ومثله معه»، ولأنّ الإماميّة يعتقدون بعصمة الأئمة عليهم السلام وخلافتهم للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهم حملة القرآن بعده[3]، لقول صلى الله عليه وآله: «إنيّ تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا أبدًا حتى يَردَا عَليّ الحوض»[4]، فقد وسَّعوا من مفهوم السنّة ليشمل أحاديث المعصومين كافة، وقولهم وتقريرهم. وعلى هذا فإنّ قول المعصوم عليه السلام نبيًّا كان أم إمامًا هو حجّة في مقام بيان مُراد الله تعالى ومقاصده في القرآن، فمع ثبوت صدوره عنه عليه السلام لا شُبهة في لزوم الأخذ به.

وتدلّ آياتٌ عديدةٌ أنّ بولاية أهل البيت عليهم السلام اكْتَمل الدّين وتمّ، منها قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:3]. وقد نزلت بعد مبايعة الإمام علي عليه السلام في غدير خُم، وبعد أن علّق -سبحانه- تبليغ الدين الإسلامي على التبليغ بها، بقوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[المائدة:67] ، وقد بلّغ الرسول صلى الله عليه وآله ما يُراد منه بقوله صلى الله عليه وآله: «من كنتُ مَوْلاهُ فعليٌّ مَوْلاه»[5]، بكلّ ما يحمل النصّ من إطلاقٍ عابرٍ للزمن والكيفية، في نقل قيادة مشروع النبيّ إلى الإمام علي عليه السلام، ومنحه المرجعية الدينية والفكرية والسياسيّة على الأمّة بعده صلى الله عليه وآله، هذه المرجعية التي نقلها الإمام -بدوره- إلى حملة التراث المنصوص عليهم من بعده، من قِبل الله تعالى وتبليغ النبيّ صلى الله عليه وآله.

فتمامُ الرسالة بهذا التبليغ الذي علّق عليه إظهارها وكمال الدين، ممّا يُبيّن التطابق التّام بين ما

---

1 - تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة الحويزي، ج 4، ص 595، ح 19.

2 - لقوله -تعالى-: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[النجم:3-4-5].

3 - وردت روايات متواترة عن النبيّ صلى الله عليه وآله بضرورة التمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، وروايات مستفيضة في أنّهم معدن العلم والوحي والنبوّة، وأنّهم ورثة علم الأنبياء والمرسلين، وأنّهم أعلم الناس بالقرآن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وورثة علمه.

4 - الكليني: الكافي، ج2، ص415، النسائي. السنن الكبرى، باب فضائل علي، ج5، ص46، ح: 8148 .

5 - الصدوق: الخصال، ص 572 ، ح1 .

يحمله الإمام والقرآن الكريم، لاسيّما إذ نظرنا إلى الأسلوب الشرطي والإلزام الذي يقتضي هذا التطابق.

وممّا يُبيّن وحدة نهج القرآن وأهل البيت عليهم السلام، قاعدة عرض الحديث على القرآن الكريم، ففي حديثه صلى الله عليه وآله بمنى قال: «أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتابَ اللّه فأنا قلتُه، وما جاءكم يخالفُ كتابَ اللّه فلم أقلْه»[1]، لهذا كلّ ما يأتون به هو وحي، بوصفه تطبيقًا للأصل النبوي، أو تمثيلاً له، أو مصداقه الأمثل. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ شيءٍ مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديثٍ لا يُوافق كتابَ الله فهو زخرف»[2].

ولعلّ من وظائف السُّنة هو تطبيق الآيات على مصداقها الأمثل والسيرة العملية - أي فعل المعصوم- مثل قوله صلى الله عليه وآله: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي»[3]. لتكون السيرة العملية وفِعل المعصوم ومشروعه حجّةً وتمثيلاً للمشروع الإلهي، فإنّها تُبيّن جزئيات الأحكام وتوضّح العناوين التكليفية التي ذكرها القرآن، أي تكون الوجه الواقعي والفعلي التطبيقي للمُراد القرآني وغرضه وقصده.

ومع استمرار الزمن، ونظرًا للتحوّل والتغيّر المستمر لأحوال المجتمع وظروفه، تبرز الحاجة أكثر إلى السُّنة العمليّة، وتطبيقها الأمثل، يأتي مشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إحياءً للمعالم الدينيّة المندثرة، وإعادةً لحركة الدّين إلى مسارها الصحيح، بعدما طالتها يدُ التلاعب والإهمال، فصارت غريبةً مُستصعبة.

فمثلما جاء القرآن بآيات وتشريعات مُجملة كليّة، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله ببيانها لتناسب مستوى المخاطَبين، وتفصّله لهم، كذلك، سيأتي مشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليُعيد هذا البيان إلى أصوله الواقعيّة، ويطبّقه بوجهه الأصح، سواء بالمصداق أم ببيان وجه التأويل، لإعادة بناء الإسلام الأصيل، وتقديم النموذج الإلهي السليم للدولة التي أرادها الإسلام للبشرية.

1 - وسائل الشيعة: ج 18، ص79، الباب 9 من أبواب صفات القاضي، الحديث 15.
2 - الكافي: ج1، ص69، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب، الحديث 3.
3 - المجلسي: بحار الأنوار، ج82، ص 279.

وهنا، يتّضح بأنّ منطلقات مشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بكلّ ما يحمل من فعلٍ وقول وتقرير، ومرتكزاته التي يتحرك في ضوئها، تنبعث من القرآن الكريم وسُنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ليكونا مرجعيةً له لا يختلف عنهما ولا يتخلّف، أيّ لن يفترقا أبدًا، فيكون مشروع الإمام تمثيلاً تطبيقيًّا للقرآن الكريم، بكلّ جزئياته وتفصيلاته.

انطلاقًا ممّا تقدّم، يَأْتي هذا العدد من (مجلة تبيين)، ليكشف عن المرجعية الإسلامية للعقيدة المهدوية، وقد احتضن محور العدد، مجموعة من المقالات والبحوث، أكّدت على الجُذور القرآنية والسُّنية للإمامة الشيعية وللمشروع المهدوي، كما كشفت عن فلسفة إقامة العدل والقضاء على الظُّلم والجَوْر في هذا المشروع، بالإضافة إلى مُناقشة عدد من الشُّبهات والإشكاليات المُرتبطة بأسباب وعِلَل غَيْبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأهمّية انتظار الفَرَج.. بالإضافة إلى مناقشة موقف الاستشراق الغربي من عقيدة الخلاص والمهدوية، في باب البحوث والدراسات، وقراءة في كتاب: «المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف».

نأمل أنْ يُساهم هذا العدد، في إثراء الحديث حول هذا الموضوع، الذي هو اليوم مَثارَ جَدل ونقاش، حيث البشرية تتطلّع نحو الخلاص ونشر العدل، وقد بدأت الأرض تمتلئُ ظُلماً وجَوْرًا..

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

رئيس التحرير

حتميّةُ تحقُّق المشروع المهدويّ

دراسةٌ قرآنية في مفهوم "الظُّهور على الدِّين كُلِّه"

◆ أ. م. د. نور مهدي كاظم الساعدي[1]

■ **خلاصة**

انطلق البحث من فرضية أنّ المشروع المهدوي وعدٌ إلهي حتمي التحقُّق، وِفْق المعطيات القرآنية من جهة، والنواميس الإلهية من جهة أخرى، التي لها خصائص لازمة لا تنفكُّ عنها، تحقيقاً لعدل الله تعالى وحكمته وعظمته..

ومن هُنا تظهر العلاقة الوثيقة بين وراثة الأرض التي عبّر عنها البحث بـ "المشروع المهدوي"، وبين ظهور الاسلام على الدين كله، وهي علاقة السّبب والنتيجة، وهو ما اهتمّ البحث بعرضه وبيانه.

الكلمات المفتاحية: المشروع المهدوي - القرآن - ظُهور الدين - وراثة الأرض - الحتميّة، السُّنن الإلهية..

1 - كلية العلوم الإسلامية - جامعة وارث الأنبياء عليهم السلام - العراق

المقدمة

المشروع المهدوي من الموضوعات المهمة التي ينبغي زيادة البحث فيها، لمدخليتها في صياغة مستقبل الانسانية، وكيفية التعامل مع التحديات التي تواجهها سيما تلك التي تُهدد وجودها، عبر الصراعات الفكرية والسياسية وحتى الاقتصادية.

وبما أنّ المشروع المهدوي يهدف إلى إيصال الإنسانية لضفَّة النّجاة، عبر ما يُقدمه من منجزات تنقل البشرية نقلة نوعية نحو الكمال على المستوى المادي والمعنوي، فإنّ جميع النظريات والاتجاهات الفكرية تسعى لتبنّي ذلك المشروع وتنسبه إليها، مُتناسين أنّ التطبيق إذا تباين عن النظرية، ففيه دلالة على عدم صِدق الدعوى.

أهمية البحث

عبرّ النّص القرآني عن المشروع المهدوي الذي بشّر به بمُصطلح "وراثة الأرض"، وتلك الوراثة اتّسمت بالحتمية، بمعنى أنها كائنة لامحالة.

من هنا جاءت أهمية البحث عن حتمية ذلك المشروع، وِفق المعطيات القرآنية، سيما مسألة ظهور الاسلام على الدين كُلّه، وعلاقة ذلك الظهور بتلك الحتمية.

المطلب الأول: المشروع المهدوي سُنّة إلهية

أوّلا: مفهوم السُّنن الإلهية

ما يُطلق عليه في الفلسفة إسم نظام الكون وقانون الأسباب، يُسمّى في الدين أو في النّص القرآني بالسُّنن الإلهية[1]، ويُراد بها: تلك القوانين التي تجري على وفقها المقادير، فلا تقبل التخلّف ولا تتعرَّض للتبديل[2]، وهذا ما بيَّنته الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾[الأحزاب:62]، ممَّا يعني أنَّ لله -سبحانه- في عالم التكوين والتشريع قوانين وأُصولاً ثابتة، وهذه القوانين الإلهية كانت حاكمة على الأقوام الماضين وتحكمنا اليوم، وستكون حاكمة في المستقبل على الأجيال الآتية[3]، فهي تحكم حركة التاريخ وتنظّم ناموسية التغيير، وتتحكَّم بالدورات الحضارية موضّحة عوامل السقوط وعوامل النهوض الحضاري[4].

ويتَّضح من هذا، أنَّ أرباب اللغة وأهل التفسير توافقوا في الأغلب على أنَّ السُنَّة هي الطريقة، فإذا ما أُضيف إليها لفظ الجلالة لتصبح سُنَّة الله، صار معناها طريقة الله تعالى، ويخلص من ذلك أنَّ طريقته سبحانه في تسيير أمور الكون وفق قانون عامّ فيه معنى التماثل في النتائج إذا تماثلت المقدّمات.

ثانيًا: خصائص السُّنن الإلهية

السُّنن الإلهية لها خصائص لازمة لا تنفكُّ عنها، تحقيقاً لعدل الله تعالى وحكمته وعظمته[5]، والغرض من الحديث عنها هو لبيان علاقتها بالمشروع المهدوي والوعد بتحقُّقه وإقامته في الأرض، وهذه الخصائص هي:

1- مطهري: العدل الإلهي، ص140.
2 - الطباطبائي: تفسير الميزان، ج16، ص 180.
3 - الشيرازي: تفسير الأمثل، ج13، ص 355.
4 - المنتدى الإسلامي السعودي: مجلة البيان، العدد 192، ص 24.
5 - عماد عبد الكريم؛ وخضر إبراهيم؛ السُّنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، ص24.

أ - الاطّراد:

بمعنى أنَّ السُّنن الإلهية ليست عشوائية قائمة على أساس الصُّدفة والاتّفاق، وإنَّما هي ذات طابع موضوعي لا تتخلَّف في الأمور التي تجري عليها، واطّرادها دالٌّ على ثباتها واستمرارها[1]، والقرآن الكريم أكَّد ذلك المعنى في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾[الفتح:23]، وقوله: ﴿**وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً**﴾[الإسراء:77]، والمراد أنَّه ليس هناك من معوِّض ولا مغيِّر لسُنَّة الله، كما لا يُمكن الإفلات منها[2]، ليخلق في الإنسان شعورًا واعيًّا على جريان الأحداث، متبصراً بها من خلال دعوته للتأمّل في تلك الأحداث[3]، لقوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[آل عمران:137]، فلولا اطّرادها لما أمكن الاتّعاظ والاعتبار بها[4].

ب - العموم والشمول:

المُلاحظ من استقراء لفظ (سُنَّة) ومتابعة السُّنن الواردة في القرآن الكريم أنَّ السنن الإلهية حاكمة على جميع الأفراد[5]، فهي عامّة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على أُمّة دون أُمّة[6]، لقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[النساء:26].

جـ - حتميّة الوُقوع والنّفاذ:

هذه الخصيصة تنتزع من قوله -تعالى-: ﴿**إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[آل عمران:47]، وهي تنبني على ما سبقها من خصائص، فقوله -تعالى-: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً**﴾[فاطر:43]، يقضي بأنَّ سُننه كما هو قضاؤه

1 - عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد، ص 3.
2 - رياض الحكيم: مراجعات قرآنية، ص244.
3 - الصدر، المدرسة القرآنية، ص69.
4 - زيدان: السُّنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد، ص7.
5 - رمضان زكي: مفهوم السنن الربّانية، ص45.
6 - زيدان: السُّنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد، ص7.

متحقِّقة لا محالة، لأنَّ السُّنن نوع من القضاء[1]، ولا رادَّ لأمر الله ولا لقضائه، ولن يستطيع البشر بكلّ ما أُوتوا من قوَّة وجبروت أن يُحوّلوا دون وقوع سُننه -تعالى- وتحقّقها، فوعده صادر عن إرادته المطلقة، وعن حكمته العميقة[2].

ثالثًا: المشروع المهدوي سُنّة إلهيّة مشروطة

أيْ إنَّها قائمة على أساس الشرط والجزاء وتُوصف بالقضيّة الشرطية، فالوعد بوراثة الأرض هو وعد مشروط، والقضيّة الشرطية تكون معبرّة عن إرادة الإنسان واختياره، لوجود علاقة بين الشرط (وهو الاختيار وفعل الإنسان أو الأُمّة)، والسُّنَّة (هي الجزاء)، وبهذه الحال ستكون السُّنَّة الإلهية الدينية متلائمة تمامًا مع اختيار الإنسان وإرادته، وهي بمثابة المبيِّن والموضِّح لنتائج اختياره لكي يستطيع أن يختار الفعل بإرادته ضمن رؤية واقعية وليست غيبية[3].

وهي بذلك تختلف اختلافًا جذريًّا عن الحتميات التي أتت بها المدارس الوضعية سواء الحتمية المادّية أو التاريخية التي قال بها ماركس[4] إذ يُشير الى إنَّ وجود الناس - يقصد وجودهم في طور مادّي معينَّ - هو الذي يُعيّن سلوكهم وليس سلوكهم هو الذي يعيّن وجودهم، ومن شذَّ بسلوكه سحقته عجلة التطوّر الحتمي[5].

أو الحتميّة النفسية التي أتى بها (فرويد)[6] ليُبين أنَّ مخزون اللاشعور هو الذي يشكّل للإنسان

1 - عماد عبد الكريم، خضر إبراهيم، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، ص 40.
2 - القرطبي، تفسير القرطبي، ج16، ص280.
3 - الصدر، المدرسة القرآنية، ص93.
4 - كارل ماركس (1818 - 1883) مفكّر اقتصادي، ولد من عائلة يهودية تسكن ألمانيا، صاحب نظرية المادّية التاريخية، وقد حاول تفسير أحداث التاريخ على أساس العوامل المادّية وحدها. (انظر: عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ص.ص. 407-418).
5 - قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 94.
6 - فرويد (1856 - 1939م) ولد من أُسرة يهودية، وهو مؤسّس التحليل النفسي، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها مذهبه أنَّ الغرض الأساسي من كلّ فعل يقوم به الإنسان هو تحصيل أكبر لذَّة، وجعل الألم أقلّ ما يمكن، ورأى أنَّ السلوك الإنساني يتَّجه نحو السعادة بمعنى تحصيل أكبر لذَّة، أو إشباع الحاجات الحسّية. (ينظر: عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ص.ص. 221-321).

سلوكه ولابدَّ له من طاعته، فإنْ خرج عن طاعته أصابته العُقَد والاضطرابات النفسية والعصبية[1].
أو الحتمية الاجتماعية التي جاء بها (دوركايم)[2] ليُبين إنَّ العقل الجمعي هو الذي يشكّل للأفراد عقائدهم وأفكارهم وأنماط سلوكهم من خارج نفوسهم ودون إرادة منهم، ولا يملك الفرد مخالفته ولا حيلة إلاَّ اتّباعه[3].

وجميع تلك الحتميات تلغي إنسانية الإنسان المتمثّلة في الوعي والإرادة والحرّية، بمعنى أنَّ السُّنن الإلهية المتعلّقة بالأفراد والجماعات مستمرّة ودائمة بشكل دالٍّ على شمولها لجميع الأُمم، ممَّا يعني أنَّ تحقّق السُّنن هي من الحتم الإلهي في حال توفّر شروطها المؤدّية إلى قيامها.

رابعًا: حتميّة المشروع المهدوي

بجمع قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء:105]، مع قوله سبحانه: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[النور: 55]، يتّضح أنّ الوعد بالاستخلاف والتمكين في الأرض وبالتّالي، وراثتها هي سُنَّة يقرِّرها الله (عزَّ وجلَّ) ويبيِّن صيرورتها لعباده الصالحين في هذه الحياة وأنها سُنة ماضية في الأفراد والأُمم، ففي قوله: ﴿**مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ دلالة على أنها سُنة مطّردة زيادة على ما في الوعد الإلهي المذكور من دلالة على حتمية الوقوع والتحقّق.

والحتمية في الاستعمال القرآني: يُراد بها تلك "الأُمور التي لا بدَّ من وقوعها"[4]، أو هي "القضاء بوجود الشيء بعد تقديره وتحديده، وذلك رهن وجود سببه التامّ الذي يُلازم وجود المسبَّب على

1 - قطب: حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 94.
2 - دوركايم (1858 - 1917م) فيلسوف اجتماعي ولد في فرنسا من أُسرة يهودية، وتتلخَّص فلسفته في أنَّ الواقعة الاجتماعية لا تفسَّر إلاَّ بواقعة اجتماعية أُخرى، وهذا يعني أنَّه لا يجوز ردّ الظواهر الاجتماعية إلى وقائع اقتصادية، وإلى أسباب أُخرى جزئية. (انظر: عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج1، ص.ص. 480-482).
3 - قطب: حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 94.
4 - الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، ج4، ص 38.

وجه القطع والبتّ"[1].

والسبب التامّ الذي يُلازم وجود المسبَّب هو ما يُطلق عليه اسم السنن والنواميس، ومن ذلك يمكن القول: إنَّ الحتمية هي قطعية التحقّق والوقوع لما تقتضيه تلك السنن والنواميس.

من هُنا يمُكن بيان الفروقات بين السُّنن الإلهية والحتمية بمعناها الديني بما يأتي:

1. إنَّ السُّنن هي القوانين والنواميس، أمَّا الحتمية فهي قطعية تحقُّق ووقوع نتائج تلك النواميس والقوانين، أي "إنَّ الحتمية هي أثر فعل السُّنن"[2].

2. من حيث الزمن، فإنَّ السُّنن التاريخية المتعلّقة بسلوك الإنسان والأُمم، تمَّ استخلاصها من أحداث وقعت في الماضي[3]، أمَّا الحتمية فهي لما سيقع في المستقبل بناءً على فعل تلك السُّنن.

وإذا صحَّت هذه الفروقات، تبيَّن سبب تسمية السُّنن بالحتمية التاريخية والحتمية الكونية، وذلك من باب تسمية الشيء بصفته.

خامسًا: الدلالة على حتمية المشروع المهدوي

الدلالة هي كون الشيء بحال يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدالّ، والثاني هو المدلول[4]، والنصوص القرآنية التي ذكرت قضيّة وراثة الأرض -والتي عبرّ عنها البحث بأنها المشروع المهدوي- جاءت فيها ألفاظ وصِيغ يمُكن عبر دراستها الاستدلال على حتمية تحقّق تلك الوراثة:

1. دلالة القضاء الإلهي على الحتمية: قضى الله -سبحانه وتعالى- بوراثة الأرض من قِبَل الصالحين لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ**

1 - السبحاني: مفاهيم القرآن، ج10، ص 58.
2 - مركز الرسالة: الأمر بين الأمرين، ص 31.
3 - مركز الرسالة: دور العقيدة في بناء الإنسان، ص. ص. 31 - 34.
4 - الجرجاني، التعريفات، ص 34 .

الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء: 105]، ويُعبرَّ بالكتابة[1] عن القضاء الممضي وما يصير في حُكم الممضي[2]، والقضاء دالٌّ على حتمية وجود الشيء عند وجود علّته التامّة[3]، وفي الآية الكريمة إخبار بما حتمه الله بوراثة الأرض، وهذا القضاء كائن لا محالة[4] في المستقبل، لما فيه من وعد بوراثة الأرض[5].

2. دلالة الإرادة الإلهية على الحتميّة: أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يمنَّ على المستضعفين بوراثة الأرض لقوله -تعالى-: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ على الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ**﴾[القصص:5]، ففي الآية إعلان لإرادة الله[6] وكشف لتقديره بوراثة الأرض من قِبَل المستضعفين، وبما أنَّ إرادته سبحانه وتعالى لا تتخلَّف عن مُراده[7]، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[يس:82]، فإنَّ الإرادة الإلهية حتميّة التنفيذ والوُقوع، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ**﴾[هود: 107]، ممَّا يعني أنَّ إرادته بوراثة المستضعفين للأرض هي إرادة حتمية[8].

3. دلالة الوعد على الحتميّة: لمَّا كانت وراثة الأرض من الوعد الإلهي، فإنَّ تحقّقها من الحتم المقطوع بوقوعه، لأنَّه سبحانه لا يخلف شيئًا من الوعد لقوله -تعالى-: ﴿**وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ**

---

1 - أصل الكتابة ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ، ثمّ يتفرَّع منه المعاني، ويُقال: كتب بمعنى قضى كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا**﴾[التوبة: 51]، ويقال: كتب أي فرض كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ**﴾[البقرة: 183]، ويقال: كتب أي جعل كما قال تعالى: ﴿**فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾[آل عمران: 53]، ويقال: كتب أي أمر كما قال تعالى:﴿**ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ**﴾[المائدة: 21]، يعني أمر الله لكم بدخولها، قال: ويقال: هاهنا بمعنى جعل. : (انظر: نصر بن محمد السمرقندي: تفسير السمرقندي، ج1، ص405.).

2 - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 441.

3 - السبحاني: مفاهيم القرآن، ج10، ص 58.

4 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج5، ص 384.

5 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٤، ص 441.

6 - قد تتعلَّق إرادة الله بالشيء مباشرة، فتكون إرادة تكوينية، وقد تتعلَّق إرادته بالشيء في حال وجود علّته التامّة والتي قد يكون من جملة أجزاءها إرادة الإنسان واختياره، وعندها تكون إرادة تشريعية، أي لا بدَّ من وجود المعلول حين وجود علّته التامّة وفقاً للسنن الإلهية، وهذا ليس من الجبر في شيء. (انظر: محمد باقر الحكيم: تفسير سورة الفاتحة، ص73).

7 - الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج17، ص 94.

8 - الشيرازي: تفسير الأمثل، ج13، ص 241.

اللهُ وَعْدَهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: 6]. فوعده صادر عن حكمته وإرادته المُطلقة، لا رادَّ لمشيئته، وأنَّه لا بدَّ من وُقوع ما وعد به في الحال والشروط التي ذكره[1]. ومماّ تقدم تبيَّن أنَّ تحقّق وراثة الأرض هي من المحتوم المقطوع بوقوعه حتَّى وإن تأخَّر.

المطلب الثاني: ظُهور دين الحقّ على الدّين كُلِّه

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[التوبة:33] و[الصف:9]، وقال -سبحانه-: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**[الفتح:28]، إذ إنّ الآيات الكريمة تُشير إلى ظهور الإسلام على بقية الأديان، حتى عدّها المفسرون وعدًا إلهيًّا لابدّ من تحقُّقه، وفي ظلِّ ظهور الإسلام على بقية الأديان لن يبقى لها وجود، «فلو استمرّت الأديان في مُوازاة الإسلام على أحقّيتها، لم يكن هناك مجال لكي يظهر الله دينًا ما من الأديان الحق»[2].

أوّلا: مفهوم دين الحقّ

جاء لفظ الدّين مُضافًا للحق في القرآن الكريم في أربعة موارد، ثلاثة منها تقدم ذكرها في صدر المطلب، والرابعة في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ﴾**[التوبة:29]، وقد انْقسم المفسرون في المُراد من "الدِّين الحقّ" على رأيين هما:

الأوّل: إنّ المُراد به دين الإسلام، وأضيف إلى الحقّ لأنّ غير دين الإسلام باطل، فلا يُوجد دين آخر يمُاثله في كونه حقًّا[3]، فهو الثّابت الناسخ لسائر الأديان ومُبطلها[4].

1 - البقاعي: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص 289.

2 - قراملكي: محمد، القرآن والتعددية، ص 60.

3 - الأزدي: تفسير مقاتل بن سليمان، ج 2، ص 167، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج14، ص 198، الزمخشري: الكشاف ج1، ص195.

4 - البيضاوي: أنوار التنزيل، ج3، ص 77.

الثّاني: هو الدّين الذي أنزله اللّه على أنبيائه[1]، وسُمِّي بالحقّ لأنه يهدي إليهما فيه من التسليم لإرادة الله التشريعية المنبعثة عن إرادته التكوينية[2]؛ لقوله -تعالى-: ﴿**قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[الأحقاف:30]، ومن يدين به يجب أن يتحقّق عنده التسليم النفسي والخضوع القلبي للشريعة الإلهية[3]، وبذلك يكون المراد من دين الحق هو دين التوحيد عمومًا.

وما يدلّ على رُجحان الرأي الثاني في بيان معنى "دين الحق" الأمر الإلهي في القرآن الكريم باتّباع "ملّة إبراهيم حنيفًا" ومعنى الحنيف: "المائل عن كُلّ دين باطل إلى دين الحق"[4]، إضافة إلى أنّ كل شريعة من الله -سبحانه- هي شريعة حقّ لما فيها من هدى ونور، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**﴾[المائدة:44] وقوله: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ**﴾[المائدة:46].

وتحريف تلك الشرائع هي محاولة لإطفاء نور الله تعالى، ويأبى -سبحانه- إلا أن يتمّ نوره، لقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[التوبة:32]، وقوله: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[الصف:8]، وإتمام النور إنّما يكون بظهور دين التوحيد الذي جاءت به تلك الشرائع، ولذلك أعقبت آيات إتمام النور بآيات ظهور الدين، ممّا يُؤكد أنّ السياق القرآني ناظر إلى كون دين الحق الذي وعد الله سبحانه بإظهاره وإعلاء كلمته هو التوحيد بكل مصاديقه التي تمّ إخفاؤها وإضاعتها وتحريفها، لقوله تعالى في نهاية الآية ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونْ**﴾، والشرك يُقابله التوحيد.

ثانيًا: مفهوم "الظُّهور على الدِّين كُلّه"

يذكر صاحب العين أن الظُّهور في اللغة هو "بُدُوُّ الشَّيءِ الخفِيّ، والظَّفَرُ بالشَّيء، والاطِّلاع عليه، فظَهَرْنا على العدوَّ، والله أظهرنا عليه، أي: أَطْلَعَنا"[5]، والظهور من ظهر وهو "أَصْلٌ صَحِيحٌ

1 - المراغي: تفسير المراغي، ج10، ص 91.
2 - الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج 9، ص 241.
3 - المدرسي: من هدى القرآن، ج 4، ص 155.
4 - النسفي: مدارك التنزيل، ج1، ص 133.
5 - الفراهيدي: العين، ج4، ص 37.

وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ"[1]، وظهر عليه، غَلَبه[2].

وبذلك يكون المعنى اللغوي للظهور يدور بين البدو بعد الخفاء وبين القوة والغلبة بالظفر، ممّا يُفهم منه أنّ ظهور "الدّين على الدّين كُلِّه" من جهة اللغة يعني انكشافه بعد خفاء، واطّلاعه على غيره من الأديان بما لديه من قوة للظفر بها وغلبتها.

أما معنى "ظُهور الدّين على الدِّين كُلّه"، لدى القُدامى من المفسرين والمحدثين فهو إعلاء دين الإسلام على جميع الأديان، بالحُجة والحُكم والغلبة والقهر لها، حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا غلبه وانتصر عليه، وفي الآية دلالة على عالمية الإسلام، ووَعْد بغلبته على سائر المِلل والأديان[3]، ولكن هل معنى غلبة الإسلام على الأديان الأخرى، يعني زوال تلك الأديان، لاسيّما التوحيدية منها؟

من خلال المعنى اللغوي وما ذهب إليه المفسرون في بيان المُراد من ظُهور الدّين، أنّ الظهور لا يحمل معنى زوال الظاهر عليه، وهذا ما التفت إليه القُرطبي في أحكامه إذ قال: "ليسَ المُرَادُ بِالظُّهُور أَلَّا يَبْقَى دِينٌ آخَر من الأَدْيَان، بل المُرَاد يَكُون أَهل الإِسلام عَالِين غَالِبين"[4]، ثم يُضيف إِنّ الظهور إذا كان من الإظهار، فهو يعني "أَلَّا يَبْقَى دِينٌ سِوَى الإِسلام فِي آخِر الزَّمَان"[5]، ومسألة ظهور الإسلام في آخر الزمان تحتاج إلى تفصيل سيأتي لاحقًا، ولكن حتى لو كان المُراد من قوله تعالى﴿**لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه**﴾، الإظهار وليس الظهور، فهو أيضًا لا يعني انعدام وجود الأديان الظاهر عليها، لأنه سيتّضح من خلال التفصيل الآتي أنّ أهل الملل السّماوية، إمّا أن يُسلموا وإمّا أن يدفعوا الجزية، وفي حال دفعهم للجزية، يعني بقاءهم على دينهم، ممّا يعني بقاء أديانهم.

1 - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص 471.
2 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج1، ص 434.
3 - انظر: الطبري: جامع البيان، ج3، ص 453، الطوسي، التبيان، ج 5، ص 209، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 16، ص 40، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8 ص8؛ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 9، ص 247.. وغيرها.
4 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 86.
5 - القرطبي: ج18، ص86.

ثالثاً: كيفية ظُهور دين الحقّ على الدِّين كُلّه

تعدّدت آراء المفسرين في كيفية غلبة دين الحقّ وظهوره على بقية الأديان، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1 - الظُّهور بالإخبار والإطلاع

يقول (البغوي) أنّ الضمير المتّصل في "ليُظهره"، يرجع إلى الرسول الأعظم، وعلى هذا الأساس تدل الآية على أنّ الله -سبحانه- أرسل النبي بالهداية ودين الحق، ليُعلّمه شرائع الدين كلها، فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء، وهو رأي نسبه (البغوي) لـ(ابن عباس)[1]، مع أنّ (العلامة الطباطبائي) قد استبعد أن يكون الضمير راجع للرسول ﷺ[2]، إلا أنّه وجه لا يخلو من صحّة، لأنّ الدين الحق -في ضوء ما تقدّم- كي يَظهر على الأديان كُلّها، لابدّ له من مُظهِر، ولكي يتمكّن المظهر من إظهار دين الحق لا بدّ أن يكون مُطّلعًا على الشرائع السماوية السابقة، كي تكون له الحجة في ذلك الإظهار من جهة، وله الأحقية في الاتباع من جهة أخرى.

2 - الظهور بالغلبة الفكرية والبرُهانية

يذكر (أبو إسحاق الثعلبي)، أنّ ظهور الدين على الأديان كُلّها يكون بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة، فتكون حجة هذا الدين أقوى[3]، إلا أنّ (الفخر الرازي) يرفض هذه الكيفية في الغلبة، لأنّ صياغة الآيات تدلّ على أنه -سبحانه- يعِد ويُبشر بأمر لم يتحقَّق ساعة نزولها، في حين أن غلبة الدين الإسلامي على سائر الأديان بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة شيء قد حصل في بداية الأمر، فكل من الوعد والبشارة يخص أمراً لم يتحقّق، بل إنّ تحققه سيكون في المستقبل[4].

---

1 - البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 2، ص 340.
2 - الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج9، ص 247.
3 - الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 5، ص 36.
4 - الرازي: مفاتيح الغيب، ج 16، ص33.

أقول: إنّ الظُّهور أمرٌ تشكيكي[1] ذو مراتب، بمعنى إنّه درجات كما الإيمان درجات، فقد يكون الدين ظاهر على غيره من الأديان بالبراهين والحُجج بدرجة ما في وقت نزول الآية، أو حتى بعد نزولها، ولكن بأعلى درجات الظهور لم يظهر بعد وهو ماسيكون في المستقبل، ولذلك، لا يمنع تحقُّقه فيما سبق البشارة به فيما هو آت مُستقبلا.

3 - الغلبة بتسلُّط المسلمين على جميع أهل الأديان والملل

يُبيِّن الطبري في تفسيره أنّ ظُهور الإسلام على بقية الأديان، يعني أن "يُبطل الله به الملل كلها حتى لا يكون دين سواه"[2]، ويُوافقه الآلوسي بقوله: "ليُعلِيه على جنس الدين بجميع أفراده أي ما يُدان به من الشرائع والملل، فيشمل الحق والباطل.. وإظهارُه على الحق بنسخ بعض أحكامه المتبدلة بتبدُّل الأعصار، وعلى الباطل ببيان بطلانه، وجوز غير واحد، ولعله الأظهر بحسب المقام، أن يكون إظهاره على الدين بتسليط المسلمين على جميع أهل الأديان"[3]، ثم يُوضح الألوسي كيفية تسلط المسلمين على غيرهم من الأديان وذلك بقتالهم ووعد الله -سبحانه- بفتح البلدان لهم، وذلك بخروج المهدي ونزول عيسى[4].

وفي نقد هذه الكيفية من ظهور دين الحق، سواء كان دين التوحيد عمومًا أو الإسلام خصوصًا عدّة أمور منها:

- الإسلام نهى عن الإكراه في الدين، وتسلُّط المسلمين على غيرهم من أهل الملل، بشكل لا يبقى معه وجود لأهل ملة أخرى، يعني إكراههم على الاعتقاد به، وعندها لاتكون غلبة بالمعنى القرآني، وإنّما تسلُّط قهري، وحاشا لله تعالى أن يظهر دينه

1 - الأمر التشكيكي هو الكلي المتفاوتة أفراده في صدق مفهومه عليها، كالبياض مثلاً فإنه مفهوم كلي ينطبق على بياض الثلج وبياض القرطاس، ولكن بياض الثلج أشد من بياض القرطاس مع أن كليهما بياض، ويقابله الكلي المتواطئ فإنه المتوافقة أفراده فيه كالإنسان بالنسبة إلى أفراده فإنهم متساوون في الإنسانية. (أنظر: المنطق، محمد رضا المظفر، ص 71).

2 - الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج21، ص 320

3 - الألوسي: روح المعاني، ج13، ص 275.

4 - الألوسي: ج13، ص 275.

بذلك، نعم يكون الدخول للإسلام من خلال الاقتناع بالحجج والبراهين، بحيث لا يبقى دين إلا هو، عن قناعة ورضًا، لا عن قهْرٍ وتسلُّط.

- القتال في الإسلام لا يكون إلا على من اعتدى أو بغى، "فلا تجوز مُقاتلة العدو ما لم يشهر سيفًا ولم يبدأ بقتال"[1]، وذلك ما صّرح به النّص القرآني في قوله -تعالى-: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:-190 193]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[التوبة:36]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾[الحجرات:9]، والإطلاق في الآيات الكريمة يقتضي النّهي عن كلّ اعتداء صغيراً كان أو كبيراً، "سواء كان في الابتداء بالقتال أم في التجاوز في القتل أم في المكان، وسواء كان في النفس أم في المال أم في العرض أم في الأدب في الكلام أم في الفعل وغير ذلك"[2]، وحتى المُعتدي إذا جنح للسلم فلا قتال[3]، لقوله -تعالى-:﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[الأنفال:61].

ومن ذلك يظهر أنّ قتال أهل الشرك والكفر ليس بعنوان شركهم أو كُفرهم، بل بعنوان اعتدائهم وبغيهم - وهذه نقطة مهمة جدًّا لا بدّ من بحثها في بحث مستقل ليس هنا مقامه - فإذا كان الإسلام لا يرتضي ابتداء الآخر بقتال فكيف يفرض وجوده وسلطته بالقتال؟!

1 - الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، ج2، ص 19.
2 - السبزواري: مواهب الرحمن، ج 3، ص 130.
3 - البلاغي: آلاء الرحمن، ج1، ص 166.

ويخلص من ذلك، أنّ القول بتسلُّط المسلمين على أهل الأديان الأخرى بالقتال، لا صحّة له لمخالفته النّص القرآني.

وبذلك يتّضح أنّ لإظهار دين الحق على كل دين بُعدان:

الأوّل: البُعد المعرفي من خلال ظهوره بالحجج والبراهين، وبالاطلاع على أحكام الشرائع السماوية الأخرى وتفعيلها ورفع التعطيل، عنها مالم تكن منسوخة في الإسلام.

الثّاني: البُعد الدفاعي العسكري الذي يُحصّن دين الحقّ من الاعتداء عليه أو على الإنسانية عمومًا.

وهذا الجمع بين الأمرين هو الأكثر مناسبة لكيفية إظهار الإسلام على بقية الأديان، لما فيهما من هيمنة تتوافق مع معنى الهيمنة القرآنية على الكُتب السماوية، والتي تظهر بمجموعة من المظاهر تتلخص في كون القرآن الكريم مُرتبط بالكتب السماوية من جهة: التصديق، والتفصيل، والحفظ والمُراقبة والشهادة[1]، وإقامة أحكام الله سبحانه التي تضمنتها على اتّباعها[2]، إضافة لتصحيح العقائد المحرفة التي أضيفت لتلك الكتب، فإنّ هذه المظاهر تُؤدّي إلى استيعاب الآخر بجميع حيثياته العقدية والتشريعية وحتّى الأخلاقية والثقافية، فتتّفق وتُقر ما يتوافق معها، وتفصّل وتبيّن إجمالها وتُصحِّح مسار مالا يتّفق مع الحقّ، وبالتّالي، يكون الإسلام مشروع إحياء شريعة الله في كل كتاب سماوي، لكونه "مُشتملٌ على جميع الأحكام الشرعية الباقيةِ في الكتب الإلهية"[3]، التي أميتَتْ بسبب التحريف والتلبيس والإخفاء الذي شهدته تلك الكتب على يد بعض الرُّهبان والأحبار.

ولكن يبقى تساؤل: إنْ كانت هيمنة الإسلام أمر ثابت وحاصل في عصر الرسالة فما وجه البشارة بحصوله مستقبلا؟

1 - الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 2، ص 390
2 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص 179.
3 - العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص 45.

رابعًا: إظهار الدّين بتطبيق هيمنته

القرآن الكريم يُهيمن على ما سبقه من كتب سماوية، وبالتّالي، فالإسلام يهيمن على غيره من الشرائع السماوية، هذا أمر نظري لم يطبق على أرض الواقع بصورته التامة إلى يومنا هذا، وتمام تطبيقها إنّما يكون بنفاذ قوانينه في الأرض وحاكميتها على الجميع[1]، فلا معنى ولا أثر لسيادة الإسلام بالكثرة الظاهرية والغلبة العسكرية وفرض سلطته بقوة السيف وأحكامه معطلة أو محرفة، وإذا فرضت سيادة الإسلام وغلبته على أهل الملل بالقوة والتسلط عليهم، فهو دليل على افتقار الإسلام للحجة، لأنّ الفكر القائم على أساس القمع، هو فكر سقيم يعاني من نقص معرفي وقيمي، وحاشا للإسلام أن يكون كذلك، لأنه الدين الكامل لقوله -تعالى-: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:3]، إضافة إلى أنّ عبارة "ليُظهره على الدين كُله" إنّما "تُشير إلى ظهور الدين الحق على جميع الأديان من خلال معرفة الهدى، بمعنى أنّ الناس لهم دين لكنهم في ضلال وليس هو الدين الحق"[2]، ومعرفة الدين عن هدى لا يكون بالإكراه أو بالسيف والقتال وما شاكل، وإنما بالحُجج والبراهين والاستدلال العقلي وإعمال الفكر، ومُحاججة الآخر بما يؤمن ويعتقد به.

ولكن لابدّ لهذا الهدى من هادي، ولتلك الهيمنة القرآنية من مُطبق، ولذلك ذكر المفسرون أنّ آيات ظهور الدين إنّما يأتي تأويلها عند خروج المهدي ونزول عيسى[3].

فقد اتّفق المسلمون عمومًا على خروج المهدي عجل الله فرجه الشريف في آخر الزمان وأنه من عترة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بالرغم من اختلافهم في كونه مولودًا أم سيولد فيما بعد، إلا أنّ هناك اتّفاق مُجمل على ما سيكون في عصر ظهوره من أحداث[4].

1 - الشيرازي: مرتضى، مَنْ سيُظهر دين الله، ص11.

2 - النيلي: عالم سبيط، طور الاستخلاف، ص 106.

3 - انظر: الطبري، جامع البيان، ج3، ص 453، الطوسي، التبيان، ج5، ص 209، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج16، ص 40، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8 ص 8، الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 9، ص 247.

4 - انظر: العميدي، ثامر، المهدي في الفكر الاسلامي، ص. ص. 25 – 38 .

خاتمة البحث

4. إقامة المشروع المهدوي حَتْمٌ لابدّ منه، وهذا ما أكّد عليه النص القرآني بوضوح، وأنه مُتحقق لا محالة ولَوْ بَعْد حين.

5. العلاقة الوثيقة بين ظُهور دين الحق على الدّين كُلّه، وبين وراثة الأرض من قِبل الصالحين تتجسّد تطبيقيًّا عبر المشروع المهدوي الذي عبرّ عنه النص القرآني بالوراثة.

6. هيمنة الإسلام، تتجلّى من خلال بسط حكم الله في الأرض، والذي جاء في الشرائع السماوية مما يتفق مع حُكم الإسلام من جهة، ويتمظهر فيه معنى الرقابة والشهادة والحفظ.

7. بما أنّ ظُهور الدين الحقّ على كُلّ دين وَعدٌ إلهي، إذن لابدّ له من مُظهِر وهو جزء من ذلك الوعد الإلهي، فبدونه لا يُمكن للدّين أنْ يظهر بمعناه التّام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

■ ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط1 - 1959م.

■ ابن عباس، عبد الله، تنوير المقباس، جمعه مجد الدين الفيروزابادي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت)

■ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ.

■ الأزدي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث، (د.ت).

■ الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 1415 هـ.

■ البغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط1 - 1416هـ.

■ البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم المقدسة: مؤسسة البعثة، ط1 - 1420هـ.

■ البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى(د.ت).

■ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1-1418هـ.

■ الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1 - 1422هـ - 2002 م.

■ الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط2 - 1995 م.

■ الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر، ط3 - 1985م.

■ الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف، عمان- الأردن: دار دجلة، ط1 - 2007م.

■ السبزواري، عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن، بيروت: موسسة أهل البيت، ط-2 1409هـ.

■ الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم المقدسة: منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(ع)، ط1 - 1421هـ.

■ الصدر، محمد صادق، تاريخ ما بعد الظهور، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط1 - 1992م.

■ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، طهران: دار الكتب الإسلامية، ط- 1361هـ.

■ الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث- قم المقدسة، (د.ت).

■ الطبرسي، ميرزا حسين النوري، النجم الثاقب، تحقيق وتعليق السيد ياسين الموسوي،

قم المقدسة: أنوار الهدى، ط1 - 1415هـ.

■ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1 - 2000م.

■ الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قُم المقدسة: دار الثقافة، الطبعة الاولى.

■ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد قصير العاملي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى(د.ت).

■ العمادي، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

■ العميدي، ثامر، المهدي في الفكر الاسلامي، قم المقدسة: مؤسسة الرسالة، ط1 - 1417هـ.

■ الفراء: يحيى بن زياد أبو زكريا، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، (د.ت).

■ الفراهيدي، أحمد بن خليل، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط1 - 1988م.

■ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8 - 1426هـ - 2005 م.

■ قراملكي، محمد حسين، القرآن والتعددية، بيروت: دار الولاء، ط1 - 2014م.

■ القرطبي، محمد بن أحمد شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2 - 1964م.

■ الكلانتري، علي أكبر، الجزية وأحكامها، قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1 - 1426هـ.

■ الكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي، قم المقدسة: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط1 - 1411هـ.

■ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، بيروت: مؤسسة الوفاء، ط3 - 1983م.

■ المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، طهرا: دار محبي الحسين، ط1 - 1419هـ.

■ المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، القاهرة: طبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1 - 1946م.

■ المرتضى، علي بن الحسين الشريف، تنزيه الأنبياء، قم المقدسة: انتشارات الشريف الرضي- الطبعة الأولى،(د.ت).

■ المروزي، نعيم بن حماد، الفتن، تحقيق د. سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 - 1993م.

■ المظفر، محمد رضا، المنطق، قم المقدسة: مؤسسة النشر الاسلامي، (د.ت).

■ النسفي، حافظ الدين، مدارك التنزيل، تحقيق يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ط1 - 1419 هـ - 1998 م.

■ النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، قم المقدسة: منشورات أنوار الهدى، ط1 - 1422هـ.

■ النيلي، عالم سبيط، طور الاستخلاف، العراق: مركز النيلي للدراسات، ط1 - 1424هـ.

■ هانتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك عبيد ومحمود محمد، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر، ط1 - 1999م.

إثباتُ المهدوية في القرآن من خلال أهداف الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض

◆ محمد مهدي حائري بور[1] ◆ ترجمة: د. محمد فراس الحلباوي[2]

■ **خلاصة**

تستندُ جميع الفرق الإسلامية إلى القرآن الكريم، وبما أنّ المهدوية من العقائد المُشتركة بين المذاهب الإسلامية، فإننا نجد الإشارة إليها في آيات قرآنية متعددة، لأنّ القرآن الكريم فيه تبيان كل شيء.

بالطبع، ينبغي التأمل في الإطار والشكل الذي ذكر فيه هذا التّبيان الإلهي، لأنّ من الجليّ أنّ كثيراً من المعارف الإلهية لم تُذكر في ظاهر الألفاظ والعبارات القرآنية، لذلك ينبغي البحث عنها بطريقة أخرى، فقد بُيّنت ضمن إطار الأهداف المتوخّاة من بعثة الأنبياء وغاية خلق الإنسان، كما أنّ عرض بحث المهدوية ومستقبل العالم في هذا السياق وبهذا التوجه، يُبرز الكثير من الآيات التي اشتملت عليه، ولن نجد تطبيقًا عمليًّا لتلك الفئة من الآيات دون تحقق المهدوية، وهو الأمر الذي تشهد عليه أحاديث وروايات كثيرة، وما كتبه المُفسرون الشّيعة والسُّنة.

في هذه الدراسة، سيتمّ إثبات نظرية المهدوية من خلال الكشف عن أهداف الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض، وعلاقة المهدوية بمستقبل العالم في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: المهدوية - مستقبل العالم - أهداف الأنبياء - الدولة العالمية - المُناداة بالعدل.

1 - عضو الهيئة العلمية في مؤسسة المستقبل المضيء (مركز بحوث المهدوية) قُم المقدسة- إيران.

2 - دكتوراه في اللغة الفارسية وآدابها، أستاذ محاضر في جامعة دمشق- سوريا.

المقدمة

القرآن الكريم كتابٌ جامعٌ كامل، وقد احتضن جميع مسارات تحقّق الهداية البشرية، مُستفيدًا من جميع الإمكانات المتوفرة لدى الإنسان وعالم الوجود لهداية البشر باتّجاه الكمال، ومن جهة أخرى، مهّد الطريق لوصول البشر إلى السعادة الأبدية من خلال تبيين تاريخ الأمم السابقة، وأخذ العِبر الصحيحة واللائقة منه، والإشارة إلى عاقبة أعمال المؤمنين والكافرين وغايتها.

بعبارة أخرى، القرآن الكريم كتابٌ يُبيّن التاريخ المُنصرم كما يرسم الآفاق والمشهد المستقبلي بوضوح أيضًا، لأنّ التحليل الصحيح لماضي التاريخ البشري، والتّخطيط الصحيح لمستقبل العالم، يُمكن أن يُساعد الإنسان في فهم الهدف من خلقه ودرجات رُقيّه وكماله وقُربه من خالقه.

لكن، يبقى السؤال الرئيس هنا هو، هل اللغة القرآنية المستخدمة في تبيين التاريخ السابق، وفي رسم معالم مستقبل العالم، مُتشابهة وواحدة؟ أم أنها مختلفة؟ الجواب الصحيح عن هذا السؤال، يُمكن أن يفتح الطريق أمام الباحثين والمحققين لفهم وإدراك المفاهيم القرآنية.

ويتّضح بعد قراءة متأنّية للآيات القرآنية، أنّ أسلوب القرآن في تبيين الحقائق السالفة وتوضيحها هو بيان للمصاديق الكلية والجزئية لها، وهذا الأسلوب ينطبق على القواعد البشرية وقوانينها أيضًا، لكن عندما يتطرّق القرآن لمستقبل العالم ومصير حياة الإنسان، فإنه يتحدّث عن السُّنن، وأيضًا عن الأهداف الإلهية للخِلقة وغايتها ونتائجها، بدل ذكر المصاديق الجزئية. كما يُعطي تصوّرًا واضحًا عن المستقبل من خلال ذلك الأسلوب.

ويمُكن من خلال هذا الفهم للقرآن الكريم، البحث عن قضايا مهمة ومصيرية فيه، واستنادًا إلى

آياته فهو تبيانٌ لِكلّ شيء[1]، ولم يفرّط بأيّ شيء[2].

بعد هذا التوضيح الآنف، يمُكن القول إنّ القضية المهدوية لا يمُكن أن تكون بعيدة عن الرؤية القرآنية، وهي القاسم الاعتقادي المشترك بين المذاهب الإسلامية، والراسم للأفق الإنساني الجليّ في سائر الأديان الإلهية، وهي الهدف الإنساني الأهم والذي سيحدِّد العاقبة الحسنة للمؤمنين في هذا العالم والجزاء السيء للكافرين والمشركين، وقد عُبّر عن هذه القضية في الكثير من الآيات القرآنية خلافاً لبعض ادّعاءات مُخالفي الشّيعة، لكن، بالطبع ليس من خلال تحديد المصاديق والتصريح باسم الموعود في الإسلام، بل بالتّعريف بالسُّنن والأهداف الإلهية وتبيينها الجليّ.

لذلك، يمُكن القول في مجمل الحديث: إنّ القرآن الكريم قد استخدم في تبيين معارفه أساليب متنوعة، نذكر منها ما يأتي:

- بيان المِصداق والتّصريح بالإسم[3]
- بيان المصداق بالنّظر إلى الأوصاف والميزات[4]
- بيان السُّنن والقواعد العامة لحياة الإنسان وغاية العالم وهدفه[5].

فالقرآن يعرض غالبًا القضية المهدوية بالأسلوب الثاني والثالث[6]، سيّما بالأسلوب الثالث، ولو درسنا المهدوية بدقة من خلال الأهداف والنتائج، فإنّنا سندرك أنّ أهداف الأنبياء الكبرى في القرآن، هي عبودية البشر لله تعالى، والعدالة الشاملة والعامة، وأيضاً الآمال الكبرى المُستندة إلى فطرة البشر، والوعود الإلهية الحتمية والقطعية، وسُنّته المُبتنية على نجاة الإنسان من الظلم

1 - قال الله -تعالى-: ﴿.. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: 89].

2 - قال الله -تعالى-: ﴿.. مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ..﴾[الأنعام: 38].

3 - مثل قوله -تعالى-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..﴾[الفتح: 28].

4 - مثل قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: 55].

5 - مثل قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء: 105].

6 - بالطبع يرى بعض العلماء والمحققين أن آيات مثل الآية 55 من سورة التوبة مثلا تتحدث بصراحة عن والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والحَيْف، وكذلك الوعد بسيادة الإسلام العالمية.

وبالتنسيق مع الأسس النظرية للمهدوية والتنبؤات القاطعة في هذا المجال، وبالتدقيق في الآيات القرآنية لموضوعات مثل الإسلام والمسلمين، التي تنعكس في الآيات القرآنية جميعها، نجد أنه يُمكن تحقيقها وإجراؤها في ظل العقيدة المهدوية، ولا يُمكن تحقيقها دونها.

المهدوية القرآنية هي ثمرة لأهداف الأنبياء

ذُكرت أهداف بعثة الأنبياء الإلهيين في القرآن الكريم، كما عُرضت في روايات الفريقين[1]، أهدافٌ لقيام المهدي وثورته في آخر الزمان، وبالتدقيق في هذا الموضوع والدراسة المقارنة له، يتبيّن الانسجام الكامل بين القرآن والمهدوية في أهدافهما وغاياتهما. وتُثبت هذه القضية المهمة بأنّ المهدوية قد استلهمت من الثقافة القرآنية والإسلامية الأصيلة. وأنّ ما بيّنه القرآن بكونها أهدافاً كليّة لبعثة الأنبياء لا تتحقّق إلا بسيادة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولا يُمكن تطبيقها بدونه.

إذن، فتبيين أهداف الأنبياء في القرآن هو نوع من رسم معالم للحكومة المهدوية العالمية، لأنّ التحقق العملي لتلك الأهداف والغايات رهين بحكومة عالمية عادلة.

والقرآن الكريم يُركِّز في تبيينه لأهداف الأنبياء عليهم السلام على محوري العدالة والعبودية للإنسان، وفي هذا المجال سنتطرق إلى دراستهما وتطابق تلك الأهداف وانسجامها مع أهداف حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

القرآن والعدالة

في القرآن الكريم ثمّة آيات مُتعددة حول العدل والعدالة وأهميتهما وآثارهما، كما يُركّز فيها على المستويات الفردية والاجتماعية المختلفة، ما يجعل منهما مطلبًا رئيسًا لها، يقول عز من قائل في آيات منها: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾[النحل:90]. ويقول في مكان آخر مُخاطبًا الجميع: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾[المائدة:8].

1 - سيُشار إلى نماذج من هذه الروايات في نهاية الدراسة.

إنّ أمر الله بالعدالة بنحو مطلق، يعني أنه يطلب من الجميع القيام بالعدالة في جميع الحالات، ولا يرضى بالتقصير في ذلك، كما كان النبي الأكرمﷺ - بكونه الحُجّة الإلهية الكبرى والهادي للبشرية والأنموذج الأسمى والأكمل للبشرية - مأمورًا بالعدل وإجرائه في المجتمع[1]، ليُتابع الناس بعد النبي الأكرم ﷺ، وعلى ضوء التعاليم السماوية، تنفيذ العدالة وتحقق الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية وليقوم الجميع بإجراء العدالة كما كان جميع الأنبياء مأمورين بإجراء العدالة الاجتماعية[2]. بالطبع، إنَّ هذه العدالة المطلوبة في القرآن لا تُحدّ بالمجتمع، بل تشمل حتى النِّطاقات الصغيرة مثل البيت والعائلة[3].

وبناء عليه، فإنّه كما صرّح القرآن، لقد بعثت السلسلة النورانية للأنبياء الإلهيين لغاية إجراء العدالة في المستويات المختلفة لحياة البشر، يعني لتحقيق العدالة الفكرية والعَقَديّة ومنع الناس عن الشرك في العبادة، وأيضاً لتحقيق العدالة الأخلاقية والحدّ من الانحرافات السلوكية، وأيضًا لتحقّق العدالة السياسية وحكومة المُتَجبين.

وفي كلمة واحدة، لتحقيق العدالة في سائر المجالات الفردية والاجتماعية، لكن تاريخ الأنبياء يشهد على أنه ولأسباب متنوعة لم يتمكنوا من تحقيق هذا الهدف كاملاً بحيث ساد الظُّلم والحَيْف في المجتمعات البشرية، هذا في حين ترغب البشرية فطريًّا في العدالة وتُحبّ ذلك. واستناداً إلى الحكمة الإلهية ينبغي تحديد إجابة لهذه الحاجة الفطرية الخاصة بها، وبالطبع، في الظرف المُناسب واجتماع الشروط اللازمة.

---

1 - يقول القرآن الكريم في هذا المجال: ﴿.. وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[الشورى:15].

2 - يقول عز وجل: القرآن: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: 25].

3 - يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[النساء: 3].

المهدوية محقّقة للعدالة القرآنية

بشهادة الأحاديث المتواترة لدى الفريقين، فإنّ تحقُّق العدالة العالمية في الآفاق المستقبلية في العالم، أمر قطعي وحتمي، وقد أخبر النبي الأكرم ﷺ وأئمة أهل البيت الأطهار عن مرحلة زمنية تملأ العدالة فيها الأرض برمتها، وذلك في زمن ظهور مهديّ آل محمد ﷺ[1].

وبتعبير آخر، في الآفاق المستقبلية للإسلام سُيقام حُكم عادل، وهو بتعبير النبي الأكرمﷺ وبالنقل المتواتر عن الفريقين: "يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً"[2]، يعني بظهوره ستعمّ العدالة الحقيقية العالم، وستشمل جميع أبعاد الحياة البشرية.

وببيان آخر، سيتحقّق في ذلك الحُكم، هدف الأنبياء الكبير علميًّا وعمليًّا. هذه الحكومة هي حكومة الإمام المهدي من آل محمد ﷺ التي أخبرت عنها الروايات الشّيعية والسُّنية المتواترة[3].

المهدوية والعدالة وَجْهان لِعُملة واحدة

ثمّة روايات كثيرة عن النبي الأكرم ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام تضع المهدوية والعدالة إلى جانب بعضهما، نذكر بعضًا منها:

---

1 - في كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر» هناك روايات كثيرة من مصادر العامة، مثل: مسند البزّاز، مج1، ص-281 على ما في هامش الطبراني الكبير، صفة المهدي لأبي نعيم: على ما في عقد الدرر، أربعون أبي نعيم، على ما في كشف الغمة، المعجم الكبير، مج10، ص168، ح10229، قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما مضمونه بشارات بظهور المهدي والعدالة العالمية في زمنه مثل الرواية المذكورة أعلاه وأيضاً نُقلت روايات كثيرة أخرى في الموضوع نفسه في مجلدات أخرى من هذا الكتاب بالترتيب عن الإمام علي عليه السلام وحتى الإمام العسكري (ع) وقد ذكرت نماذج لها في النص.

2 - من المصادر الشيعية: الغيبة للنعماني، ص81؛ كمال الدين تمام النعمة، مج1، ص22؛ أمالي الصدوق، ص36، الاحتجاج على أهل اللجاج، مج1، ص69، أعلام الورى بأعلام الهدى، ص286 و...، أيضاً من المصادر السنية: البيان في أخبار صاحب الزمان، ص482، العرف الوردي في أخبار المهدي، ص53، القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، ص41 .

3 - أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل، ص56، عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص39، العُرف الوردي في أخبار المهدي، ص47، الإرشاد، مج2، ص340؛ كمال الدين، مج1، ص280؛ الغيبة للطوسي، ص46 .

قال رسول الله ﷺ في تبيين حتمية ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف بهدف إجراء العدالة في شتّى أنحاء الأرض:

«لَوْ لم يبْق من الدنيا إلاّ يوم واحد، لَطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من وُلدي يُواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا»[1].

وأيضًا عن الإمام علي عليه السلام في التعريف بشخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وأهدافه، يقول:

«.. وليعزلنّ عنكم أمراء الجَوْر وليُطهِّرنَّ الأرض من كل غاش وليعملنَّ بالعدل وليقومنّ فيكم بالقِسطاس المُستقيم»[2].

وكذلك يقول: الإمام الرضا عليه السلام في تبيين اشتمال العدالة المهدوية لجميع الناس:

«..الرابع من وُلدي ابن سيدة الإماء، يُطهِّر الله به الأرض من كل جَوْر ويقدِّسها من ظلم، وهو الذي يشك الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرض بنوره، ووُضع ميزان العدل بين النّاس، فلا يُظلم أحدٌ أحدًا»[3].

إذن، فقد ذُكر مبدأ إجراء العدالة، وأيضًا حتمية ذلك وأيضًا كمّه وكيفه واشتماله بالنسبة لسائر نطاقات حياة البشر في الروايات المهدوية التي تُبيّن هذه الحقيقة بأنّ قيام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو استمرار لبعثة الأنبياء الإلهيين ومُتابع لها، وأنّ هذه الحركة من حيث الغاية والهدف النهائي منسجمة تمامًا مع ما ذكره القرآن الكريم بكونها هدفًا لبعثة الأنبياء. لذلك، فإنّ ادّعاءنا بأنّ القرآن الكريم قد تطرّق للمهدوية ليس تصريحًا وإنّما توصيفًا يصبّ ضمن إطار الأهداف والدوافع. وبتعبير آخر: إنّ توجّه القرآن في قضية ما يُريدها الله والناس من عدل، بالإضافة إلى تبيين أهداف الأنبياء في إجراء العدالة ضمن المجتمع البشري، لهو نوع من توصيف المهدوية بكونها المستقبل البشري الموعود.

1 - المفيد: الإرشاد، مج2، ص340.
2 - ابن ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة، مج3، ص 9.
3 - الصدوق، الخصال، مج2، ص371.

القرآن وعُبودية البشر

لقد ذكر القرآن الكريم هدفًا مهمًا ورئيسًا آخر لبعثة الأنبياء وهو إيصال البشر إلى مقام العبودية لله، يقول عز وجلا في هذا المجال: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:36].

وقد ذكرت هذه الغاية المهمة جدًّا في آيات أخرى من القرآن أيضًا بكونها عنوانًا لرسالة الأنبياء[1]. كما هو في الآية الشريفة: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات: 56]. فإنّ عبودية الله هي الهدف النهائي والغاية الرئيسة للخلقة، ولهذا السّبب ينبغي أن يتوافر في التشريع الإلهي برنامج بيّن جليّ لتحقّقه الكامل، وإلا سيكون نقضًا للغرض وهذا محال بالنسبة لله.

حقيقةً، كيف يكون البشر في دائرة العبودية الإلهية وفي أيّ مسار؟ أيُمكن على الرغم من وجود موانع اجتماعية كبيرة في طريق سريان العبودية، كحُكم الطواغيت، لابدّ من مشاهدة أفق ما يُضفي الأمل على البشر لتحقيق هذا الهدف الكبير، وليجعلهم يحثُّوا الخُطى بشوق وأمل عارم نحوه؟

مُتابعة لهذا السؤال، نصل إلى هذه الحقيقة الأصيلة، وهي أنّ القرآن الكريم قد وعد إلى جانب دعوته إلى العبودية، بتحقيق مجتمع يحكمه المؤمنون ممّن يتمتّع بالأمان الكامل، ويسود فيه دين الله، وفي هذه الحالة تتوفر الشروط اللازمة والأرضية المناسبة لعبودية الناس لله، يقول عز وجل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[النور:55].

والشاهد على ذلك، أنّ العبارة الأخيرة في الآية هي النتيجة الحتمية لهذه الوعود الإلهية، وهي تحقُّق العبودية الكاملة ورفض أيّ نوع من الشرك في المجتمع، أي مع تأسيس حكومة المؤمنين واستحكام الدين الإلهي المَرْضيّ وتوفير الأمن العام في حياة الناس، ما يُمهّد لمسار العبودية الإلهية كاملاً، وتتمّ الحُجّة على الجميع بحيث لن يبقى محلّ للكفر والجُحود.

1 - مثل سورة المائدة: 72، والأعراف: -59 -65 -73 85، المؤمنون: 23، والعنكبوت:16.

والسؤال المُهم الذي يُطرح هنا، هو مَنْ سيكون الحاكم في هذا المجتمع الإلهي، وكيف سيكون الحُكم لتتحقّق العبودية نتيجة لذلك؟

في معرض الإجابة ينبغي القول: إنّ هذه الآية الكريمة تنطبق على حكومة الإمام المهدي(عليه السلام)، والمرحلة الزمنية لظهوره من جهة القرائن الداخلية لها[1]، ومن جهة الشواهد التاريخية أيضًا[2] وأيضًا الروايات المتعددة الشارحة لهذه الآية[3]، وهي تُؤيّد هذا الموضوع بأنّ أهداف حكومة الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) متناسقة مع الوعود الإلهية وأيضًا مع غايتها – يعني تحقق العبودية المذكورة في الآية 55 من سورة النور- وقد ذكر مضمون الآية الآنفة، ونتائج حكومة الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) ومكتسبات لها في روايات الفريقين وجود وتأكيد، وتُشير إلى هذه النقطة المهمة بأنّ تيار المهدوية يسعى إلى تأسيس المجتمع المرغوب والمطلوب من قِبَل أنبياء الله تعالى، وأنّ المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) سيقوم - استنادًا إلى تلك الرسالات والمهام النبوية - بتحقيق ما كان يصبوا الأنبياء والأئمة إليه عمليًّا.

نذكر عدّة روايات تُشير إلى التناسق بين حكومة المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) والآية مدار البحث:

---

1 - مثل اشتمال الآية على الوعد الإلهي بالنسبة إلى حاكمية المؤمنين وغلبة الإسلام وأمن المسلمين، وهو بمعنى بشارة للمستقبل يستحيل على الله الخلف بها، وهي إذن لا تترك شكًّا في حتمية حصول مفاد الوعد الإلهي في الستقبل.

2 - لم يشهد تاريخ الإسلام منذ عصر حكومة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة وحتى اليوم تحقق الوعود الثلاثة المدرجة في الآية. بالطبع بعض المفسرين من أهل السنة كالفخر الرازي ادّعى أن مضمون الوعود الإلهية في الآية قد تحقق في عهد الخلفاء الراشدين، لكن هذا الادعاء غير صحيح، لأن الإسلام لم يكن عامًا وشاملاً في ذلك الحين، ولم ترتفع مخاوف المسلمين وقلقهم كما ينعكس ذلك في هذه الرواية: "... قال المفضّل: فقلت يا ابن رسول الله، فإنّ هذه النواصب تزعم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه السلام)، فقال: لا يعدي الله قلوب الناصبة، متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً بانتشار الأمن في الأمة، وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء، وفي عهد علي (عليه السلام) مع ارتداد المسلمين والفتن التي تثور في أيامهم والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم ..." انظر: الصدوق، الخصال، مج2، 356.

3 - مثل هذه الرواية التي أوردها الطبرسي تحت هذه الآية: عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا، وهو مهدي هذه الأمة؛ وهو الذي قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً. انظر: الطبرسي، أعلام الورى بأعلام الهدى، مج3، 117.

أوّلاً: رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال حول الآية: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[الحج: 41]، هذه لآل محمد والمهدي وأصحابه، يُملّكهم الله تعالى مشارق الأرض، يظهر الدين ويُميت الله عز وجل به وبأصحابه البدع والباطل، كما أماتَ السَّفهة الحقّ حتى لا يُرى أثرٌ من الظلم[1].

ثانيًا: وقد روي عنه أنه عليه السلام قال: «القائم منّا، منصور بالرُّعب.. يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدّين كله ولو كره المشركون...»[2].

ثالثًا: نُقل عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «.. وبنا يُدفع [يُرفع] الله الزمان الكَلِب... ولو قد قام قائمنا...ولذهبت الشّحنا من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدمها إلا على النبات، وعلى رأسها زينتها لا يُهيّجها سبُعٌ ولا تخافه»[3].

رابعًا: رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجَوْر وأمنت به السُّبل، وأخرجت الأرض بركاتها ورُدَّ كلّ حقّ إلى أهله، ولم يبْق أهلُ دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[آل عمران:83]»[4].

يُلاحظ في هذه الروايات التركيز على أمور، كسيادة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على كل الأرض، وعُمومية الدّين، وانتشار الحق والأمان للناس، وتوفير الأرضية المناسبة للعبودية الإلهية الخالصة، وهي الحالات نفسها التي ذُكِرت بكونها وُعودًا إلهية للمؤمنين الصالحين في الآية 55 من سورة النور.

1 - القمِّي، تفسير القمي، مج2، ص 78.
2 - الصدوق، الخصال، مج1، ص 331 .
3 - الصدوق، الخصال، مج2، ص626.
4 - المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مج 2، ص 284.

وبُناء عليه، فإنّ الروايات الآنفة والشارحة للآية (55) من سورة النور، تكشف حقيقة أنّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الموعود الإلهي نفسه الذي سيُحقّق أهداف الأنبياء والغايات والأهداف الإلهية من الخِلقة، ويمُكننا بهذا التعبير أن ندّعي أنّ الآية (55) من سورة النور، هي من الآيات التي تحدثت عن دولة المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف وبشّرت به.

لذلك، فإنّ ثمة هدفين رئيسين لبعثة الأنبياء في القرآن الكريم، هما نشر العدل والعبودية لله، وقد ذُكر بجلاء هذان الهدفان في الثورة العالمية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وقيامه، وهكذا فإننا نستنتج أنّ المهدوية هي ثمرة أهداف الأنبياء الإلهيين.

إنّ الفكر المهدوي في الإسلام، هو نتيجة لترشيد بعثة الأنبياء في الفكر القرآني، بعبارة أخرى، ما ذكره القرآن الكريم من العبودية والطاعة وأيضًا العدالة وأبعادها المختلفة وعدّها أهدافاً كبيرة للأنبياء الإلهيين، وأيضًا ما قدّمه بكونه مطالبات فطرية للبشر، لا يتحقّق عملاً وإجراءً إلا بالسيادة المطلقة للوليّ الإلهيّ وحُجة الحق، وهذا النوع من التعبير، يعني رسم القضية المهدوية في القرآن ضمن إطار الأهداف والبرامج.

المهدوية هي تشييد لحُكومة الإسلام العالمية

لإثبات المهدوية بالرؤية القرآنية، ثمّة تعبير آخر وهو عبارة عن تقديم دولة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بكونها الأفق القرآني لانتشار الإسلام في العالم. بعبارة أخرى، ما يذكره الشّيعة بعُنوان المهدوية ويؤمنون به، هي البشرى الكبرى التي يقدمها القرآن الكريم بالحكم الإسلامي العالمي.

فبرُؤية القرآن وبشهادة آيات عديدة منه، سيعمّ الإسلام شتّى بقاع الأرض يومًا ما، وهذا وعدٌ إلهي وقَدرٌ حَتْمي. ومن جهة أخرى في الأفق المستقبلي للحكومة العالمية الحقّة التي ستعمّ أرجاء العالم، ليس ثمّة حكومة إلا حكومة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، كما يُؤمن جميع المسلمين - استناداً إلى نبوءات النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بهذه الحكومة العالمية العادلة. وبناء عليه، يستند الوعد القرآني إلى حاكمية الإسلام العالمية، المنطبقة على العقيدة الإسلامية المهدوية. ومن اللازم أن نستعرض بعض الشواهد حول انطباق تلك البشارة القرآنية على العقيدة الإسلامية.

البِشارة القرآنية بعالمية الإسلام

لقد أخبر القرآن الكريم في آيات كثيرة، أنّ الإسلام سيسيطر على العالم برمته، وسيظهر على سائر الأديان، ومن بين تلك الآيات آيةُ الإظهار التي سنتحدث عنها باختصار، يقول عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: 33].

جديرٌ بالقول: إنّ هذه البشارة ذُكرت أيضًا بالعبارة نفسها في سورة الصف الآية 9، وأيضًا في سورة الفتح الآية 28، وهذا التكرار هو تأكيد مضاعف على التحقق الجازم لما تُفيده هذه الآية الكريمة.

دراسة لمفهُوم الغلبة في الآية

ثمّة اختلاف في آراء المفسرين حول القصد من غلبة الإسلام على سائر الأديان، و متى سيحصل ذلك، لكن يتّضح من الشواهد والقرائن الموجودة في هذه الآية وأيضًا الروايات الشارحة لها وآيات أخرى في القرآن الكريم[1]، أنّ المقصود من هذه البشارة هو الوعد الإلهي بعالمية الإسلام والنّصر القطعي والسيادة الكاملة له على سائر الأديان، وهذا الأمر يتحقّق في عصر ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يقول المرحوم الطبرسي في تفسير هذه الآية:

"معناهُ ليُعلي دين الإسلام على جميع الأديان، بالحُجة والغلبة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوبًا، ولا يغلب أحدٌ أهل الإسلام بالحُجة وهم يغلبون أهل سائر الأديان بالحُجة، وإما الظُّهور بالغلبة، فهو أن كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك، ولحقهم قَهر من جهتهم، وقيل أراد عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدّى الجزية، عن الضحاك قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد، فلا يبقى أحدٌ إلاّ أقرّ بمحمد صلى الله عليه وآله، وهو قول السّدي. وقال الكلبي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام، وسيكون ذلك، ولم يكن بعد، ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك، وقال المقداد بن الأسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدر ولا وَبر إلا أدخله الله

1 - من بينها الآية 55 من سورة النور، التي سنعرض توضيح لها في بقية الدراسة.

كلمة الإسلام، إمّا بعزّ عزيز، وإمّا بذُلٍّ ذليل، إما يُعزِّهم فيجعلهم الله من أهله فيعزّوا به، وإما يُذلّهم فيدينون له»[1].

وفي التفسير الأمثل، إطلاق ما هو موجود في الآية، وأيضًا استعمال كلمة إظهار بمعنى الغلبة الخارجية في حالات مشابهة من الآيات، وهي شاهد على إرادة الغلبة الظاهرية في الآية محلّ البحث، وقد فسّر الآية هكذا:

بعضهم عدّ هذه الغلبة غلبة منطقية واستدلالية فحسب، ويقول لقد حصل هذا الأمر...، لكن بدراسة الحالات التي استعملت فيها مادة الإظهار في القرآن تظهر أن هذه المادة قد ذكرت بمعنى الغلبة الجسدية والقهر الظاهري مثل: ﴿**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[الكهف:20]، وأيضًا قوله عز من قائل: ﴿**كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً..**﴾[التوبة: 8]. وبدهيّ أنّ الغلبة في هذه الحالات هي غلبة عملية وعينية. والأصحّ هو أن نعدّ الانتصار والغلبة الآنفة، غلبة من جميع الجوانب، لأنها تنسجم أكثر مع مفهوم الآية المطلقة من أي جانب أيضًا، يعني سيأتي يوم يغلب فيه الإسلام من الناحية المنطقية والاستدلالية، ومن ناحية النُفوذ الظاهري، سيسُود على سائر أديان العالم ويُسيطر عليها جميعًا[2].

القرينة الأخرى المكنونة في هذه الآية الكريمة، أنّ غلبة الإسلام من حيث المنطق والاستدلال، كانت منذ إشراقة شمس الإسلام، ومنذ ذلك الحين، نفذت كلمة التوحيد في قلوب الناس، ولأنّ الكفار والمشركين عجزوا عن مجابهة المنطق الإسلامي الأسمى والغالب، فقد كالوا تُهمًا جوفاء لنبي الإسلامﷺ مثل: كاذب وساحر وشاعر ومجنون، ليمنعوا نفوذ كلمة الإسلام والنبي، ويُبْعدوا الناس عنه (صلوات الله عليه).

هذا في حين إنّ الآية محلّ البحث تعود إلى أواخر عهد الرسالة في موارد نزولها الثلاثة[3]، وأنه

1 - الطبرسي، أعلام الورى بأعلام الهدى، شرح الآية 33 من سورة التوبة.
2 - مكارم شيرازي، تفسير الأمثل، مج7، ص-371 372 .
3 - نزلت هذه الآيات في: 111 من سورة الصف، و112 من سورة الفتح، و114 من سورة التوبة، انظر: العلوم القرآنية، ص75.

لا معنى لأن يبشّر القرآن الكريم في هذا الظرف الزمني بغلبة منطق الإسلام على سائر الأديان، بل ينبغي أن تكون هذه البشارة الإلهية للغلبة العينية والنّصر الخارجي والسيادة الشاملة للإسلام، وهو الأمر المتوقع تحققه في المُستقبل (وليس حين نزول الآيات).

رأي مفسري أهل السّنة:

احْتمل الفخر الرازي ثلاثة معاني في تفسير آية الإظهار والمعنى المقصود من الغلبة، وقد اختار في النهاية معنى الغلبة الخارجية فقال: هذا الظهور (إما) بالحُجة أو بالوفور والكثرة أو بالغلبة والاستيلاء، ولأن الآية في مقام البشارة، فينبغي أن تُبشر بأمر ما لم يحصل حتى الآن، في حين إنّ الحجة وكثرة الدين الإسلامي، كان محددًا ومعلومًا أثناء نزول الآية، إذن ينبغي أن تحصل الغلبة والاستيلاء في المستقبل، وهو أمر لم يتحقّق حتى الآن[1].

عدّ الطبريّ الغلبة على الأديان، بمعنى إبطال جميع الأديان عدا الإسلام، وقال إنّ هذا سيحدث حين نزول عيسى عليه السلام[2]. كما ذكر الماتريدي في الوجه الثاني من معاني الإظهار في هذه الآية: يعني أنّ الإسلام سيغلب جميع أتباع الأديان الأخرى، لدرجة ينتصر فيها أهل الإسلام ويغلبون... وذلك في وقت نزول عيسى عليه السلام، إذ سيغدو أتباع جميع الأديان تابعين لدين واحد وهو الإسلام[3].

وكلام هذين المفسرين الكبيرين من أهل السُّنة، هو أوّلاً، تأييد للمقصود من الإظهار في هذه الآية، وهي الغلبة الخارجية وهيمنة الإسلام الشاملة، وثانيًا، أنّ هذا الأمر لم يتحقق بعد، وسيقع في آخر الزمان.

كما ذكر القرطبي تعبيراً مشابهًا في تفسيره لهذه الآية، فقد صرّح أن نزول عيسى عليه السلام سيكون عند خروج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. يقول: قال أبو هريرة والضحاك: هذا عند نزول عيسى عليه السلام وقال

1 - الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مج16، ص 32.
2 - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مج26، ص 69.
3 - الماتريدي، تأويلات أهل السنة، مج5، ص 360.

السّدّي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام.

جديرٌ بالقول، إنّ القرطبي تطرق إلى شخص الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف متابعاً لهذا الكلام: وقيل: المهدي هو عيسى فقط وهو غير صحيح لأنّ الأخبار الصِّحاح قد تواترت على أنّ المهدي من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يجوز حمله على عيسى عليه السلام. والحديث الذي ورد في أنه «لا مهدي إلا عيسى»، غير صحيح[1].

وكذلك السيوطي، - وهو من كبار علماء أهل السُّنة - ينقل رواية عن جابر حدّد فيها معنى الإظهار بالتأكيد على شمولية أهل الإسلام وانْهزام أتباع سائر الأديان الأخرى، ومن بينهم اليهود والنصارى[2].

رؤية المعصومين حول الآية:

عُدّت الغلبة أيضًا في روايات عديدة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في الآية الشريفة محلّ البحث، بمعنى الغلبة النهائية وحاكمية الإسلام الشاملة، بحيث تمحو أي نوع من الشّك والترديد، من هذه الروايات نذكر:

الأولى: يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الآنفة: «عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: 33]، قال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عجل الله فرجه الشريف، فإذا خرج القائم عجل الله فرجه الشريف لم يَبْق كافر بالله العظيم ولا مُشرك بالإمام إلا كَره خروجه، حتى لو كان كافرًا أو مشركًا في بطن صخرة، قالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكْسرني واقْتله»[3].

1 - انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، نفسير سورة التوبة الآية 33.

2 - السيوطي، الدر المنثور، مج3، 231.جدير بالذكر، أن مفسرين كبار آخرين مثل: الثعلبي (الكشف والبيان، مج5، ص 35)، ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم، مج6، ص 1786)، ابن الجوزي (زاد المسير، مج3، 290)، وأبو حيان الأندلسي (البحر المحيط، مج5، 34) قد عدّوا الإظهار بمعنى الغلبة الظاهرية وحاكمية الإسلام على سائر الأديان، وانتهاء أتباع سائر الأديان، ويُؤمن أغلبهم أنّ هذا الأمر سيحدث في زمن نزول عيسى عليه السلام.

3 - العروسي، نور الثقلين، مج3، 108، شرح الآية. وتعبير المُشرك بالإمام يعني المخالف للإمام والذي عُدّ في الروايات في مستوى الشرك، انظر: الكليني، الكافي، مج1 ص 196.

الثانية: سأل الإمام علي عليه السلام أصحابه عن الآية الآنفة: «أظهر ذلك بعد؟ قالوا نعم، قال: كلاّ فوالذي نفسي بيده، حتّى لا يبقى قرية إلا وتُنادي بشهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله بُكرةً وعشيًّا»[1].

الثالثة: عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام، قلت: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؟ قال: «هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه، والولاية هي دين الحق». قلت: ليُظهره على الدّين كلِّه؟ قال: «يُظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام».[2]

الرابعة: عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «منّا اثنا عشر مهديًّا أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من وُلدي وهو القائم بالحق، يُحيي الله تعالى به الأرض بعد موتها، ويُظهر به دين الحق على الدين كلّه، ولو كره المشركون، له غيبة يرتدُّ فيها قومٌ، ويثبت على الدين فيها آخرون»[3].

يُستنتج بالتّدقيق في هذه الروايات، أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام قد حدّدوا معنى الإظهار في الآية 33 من سورة التوبة، بمعنى الغلبة الخارجية والسُّلطة الظاهرية.

بناء عليه، فإنّ الآية الشريفة طبقًا لتفسير الأئمة عليهم السلام أيضًا بمعنى حكومة الإسلام العالمية، التي أخبرت عنها هذه الروايات، التي تتحدث عن دولة المهدي الموعودة عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان.

وعد استخلاف المسلمين وسيادتهم

ثمّة حالات أخرى لآيات أيضًا، تُقدّم لنا البشارة القرآنية بالنسبة للسيادة النهائية للإسلام في

1 - انظر: الكاشاني، الصافي، شرح الآية:33 من سورة التوبة.

2 - انظر: الكليني، الكافي، مج1، 431. جدير بالذكر، إنه فضلاً عن هذه الروايات ثمة روايات أخرى أيضاً في تفسير البرهان في شرح هذه الآية، كما أن استنادنا إلى روايات أهل البيت(عليهم السلام) هو للفهم الدقيق للآية لأنه وطبق بيان رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين هم صنو القرآن الكريم ومعصومون عن الخطأ وكلامهم حجة.

3 - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2، ص 69.

المستقبل تنسجم كليًّا مع الروايات المتعلقة بالحكومة العالمية للمهدي عجل الله فرجه الشريف. إحدى هذه الآيات وأهمها وأكثرها صراحة الآية 55 من سورة النور التي سنتحدث عنها بإيجاز.

هاجر المسلمون - بعد طيّهم لمرحلة من الحرمان والاستضعاف في مكة - إلى المدينة وظهرت انفراجات في حياتهم ونَجَوا من بطش مشركي قريش وظلمهم المباشر، لكنهم كانوا لا يزالون يتعرضون لأذى المشركين في ذلك الزمن، وكانت أرواحهم وأموالهم في معرض الهجوم الخَطِر من المشركين، وقد فُرضت عليهم حروب مُتعددة، وقد استمرت هذه التهديدات بعد ذلك ولازالت حتى اليوم، تُواجه المسلمين في مناطق مختلفة من أصقاع الأرض. لكن القرآن الكريم بشّر المسلمين خاصة، بمستقبل سيحظون فيه بدولة كريمة وسيُكتب الغلبة للإسلام في العالم وسيعيش المسلمون في أمن كامل وشامل، يقول عز من قائل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[النور: 55].

توضيح مفاد الآية وتفسيرها برأي مُفسِّري الفريقين

قيل في شأن نزول هذه الآية:

عندما هاجر النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون إلى المدينة واستقبلهم الأنصار بكل حفاوة، وانبرى كل العرب لمُعاداتهم، كانوا مضطرين لعدم الغفلة عن أسلحتهم بتاتاً، فكانوا ينامون الليل مع أسلحتهم وينهضون من نومهم مُمسكين بها (كانوا في حالة استعداد كامل)، فصعب الأمر على المسلمين، وتحدث بعضهم بهذا الأمر علنًا، مُتسائلا: إلى متى سيبقى الأمر كذلك؟ هل سيأتي زمان نحظى فيه بليلة مفعمة بالراحة والسكينة ويسودنا الاطمئنان وراحة البال، وألا نخشى أحداً إلا الله؟ فنزلت الآية الآنفة وبشرتهم بأنه سيأتي زمان كهذا[1].

1 - الشيرازي، تفسير الأمثل، مج14، ص527. وقد ذكر ذلك عدد من المُفسرين الشيعة وأهل السُّنة مثل: الطبرسي في: (مجمع البيان، مج7، 239) والسيد قطب (في ظلال القرآن، مج4، ص2529) والقرطبي في (الجامع لأحكام القرآن، مج12، ص 297) والسيوطي في (الدر المنثور، مج5، ص55) (مع قليل من الاختلاف) في تفاسيرهم.

رأي العلامة الطباطبائي (رحمه الله)

أما العلامة الطباطبائي، فقد ألقى نظرة أكثر عمقًا وأعمل كثيراً من الفكر في الآية فَفَتَّق منها نقاطًا أدقّ وقد عبرّ عن زوايا متنوعة للآية بهذا الشكل:

هذه آية مُفعمة بوعدٍ جميل ورائق للمؤمنين ممّن لديهم عمل صالح إذ تُشيّد لهم دعائم المجتمع الصالح الخاص بهم عما قريب، وتضع الأرض تحت تصرفهم وتُمكّن لهم دينهم، وتستبدل أمنهم بالخوف الذي كان لديهم، أمن لا يجعلهم خائفين من المنافقين وكيدهم، ولا من الكفار ومنعهم، ليعبدوا الله بحرية ولا يشركوا به أحداً... والمقصود من الخلافة هو توريثهم الأرض وتمكينهم منها، كما قال عز وجل في هذا المعنى: ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[الأعراف:128]، وأيضًا قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء:105].

وتمكين الدين عبارة عن العمل به في المجتمع، يعني ألاّ يحدّه كُفر وألا يُستهان به، وأن تكون أصول دينه محلّ اعتقاد الجميع، وألاّ يكون ثمة اختلاف وتخاصم فيه، والمقصود من دينهم، ذلك الدّين الذي ارتضى لهم وهو الدين الإسلامي، وفي عبارة ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾[النور:55] المراد من الخوف هو الخوف الذي كان لدى المؤمنين في صدر الإسلام من الكفار والمنافقين.

وقد اختلف المفسرون في معنى عبارة: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ..**﴾[النور:55]، ومفهومها، لكن ما يبدو من سياق الآية الشريفة أنها تتحدث بدون شك عن بعضٍ من أفراد الأمة وليس جميعها، وليس عن أشخاص محدّدين من الأمة، وهؤلاء الأفراد هم عبارة عمن كانوا مصداقاً للآية ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، والنّص يصبّ في هذا المعنى.. والمُراد من الاستخلاف لهم في الأرض هو نظير استخلاف أسلافهم والأمم السابقة من أصحاب القوة والشكيمة التي ورثوها.

والمقصود من تمكين الدين المرضي لهم في الأرض - كما مرّ سابقاً - هو أن دينهم المُرتضي يمكنّهم، بحيث لا يزلزل دينهم حتى مع اختلافهم في الأصول وتساهلهم في إجراء الأحكام

والعمل بفروعها، وتبقى اجتماعاتهم بريئة من لوثة النفاق دائماً. والمُراد من تبديل خوفهم إلى أمن، هو أن يُظلّل الأمن والسلام مجتمعاتهم، بحيث لا يخشون على دينهم ودنياهم مِنْ أعداء الداخل أو مِنْ أعداء الخارج، ولا مِنْ أعداء العلن، ولا من أعداء الخفية. وما قاله بعض المفسرين من كَوْن المُراد من الخوف هو الخوف من أعداء الخارج، كما كان خوف المسلمين في الصدر الأول من الكفار والمشركين، الذين كانوا يَصْبُون لإطفاء نور الله ويُبطلوا دعوة الدّين الحقّة، هو كلام لا يُعتدّ به، وليس لديهم أيّ دليل مُعتبر على كلامهم، لأنّ لفظ الآية مطلق وليس ثمة قرينة تُثبت ادّعاءهم.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ الآية الكريمة في مقام الامتنان، وما هي المِنّة التي منّها الله على المجتمع لكي لا يتسلّط العدو الخارجي عليه، في حين نجد أنّ الفساد قد أحاط عُمْق المجتمع. وتُهدّد أنواع البلاءات ذلك المجتمع من كل صوب، بحيث لا يبقى أمنٌ لأرواح الأفراد فيه، ولا لعرضهم ولا لمالهم. والمقصود من أنهم يعبدون الله ولا يشركون به أحداً، هو المعنى نفسه الذي يدل اللفظ عليه حقيقة، وتلك العبارة، هي أنّ الإخلاص في العبادة يعمّ، وتُهدّ أركان أي كرامة غير كرامة التقوى.

وما يُستنتج من سائر هذه المواضيع، هو أنّ الله سبحانه وتعالى يَعِدُ من آمنوا وعملوا صالحًا بتشييد مجتمع لهم عمّا قريب يتّصف بالصلاح التام، مُطهّر من عار الكفر والنفاق والفِسق. ولم يَرَ العالَم منذ بعثة النبي الأكرم ﷺ وحتى الآن مجتمعاً كهذا، ولن يكون له مصداق إلا في عصر المهدي عجل الله فرجه الشريف، لأنّ ثمّة أخبار متواترة عن النّبي الأكرم ﷺ والأئمة عليهم السلام تحدثت عن خصائصه، وتُخبر بظهور هذا المجتمع في زمنه..»[1].

الرّوايات التفسيرية لهذه الآية:

في تأييد تفسير العلامة الطباطبائي(رحم الله) وسائر المفسرين، يمُكن الالتفات إلى الروايات المفسِّرة لهذه الآية أيضًا، وهي التي تعدّ عصر ظُهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف مصداقًا للآية الشريفة:

1 - انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج5، ص199، تفسير الآية 55 من سورة النور بإيجاز.

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: في قوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[النور: 55]، قال: «نزلت في القائم وأصحابه»[1] وقد تلا الإمام السجاد عليه السلام هذه الآية وقال: «هو والله شيعتنا، أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا. وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو لم يبق في هذه الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسْمه اسْمي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظُلمًا وجَوْرًا. ورُوي مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[2].

كما رويت الرواية نفسها عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أيضًا. يقول الطبرسي بعد نقله لهذه الروايات:

بالنّظر إلى هذه الروايات، فإنّ المُراد من ﴿**الّذينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ**﴾ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام. وتشتمل الآية على بشارة استخلافهم وسطوتهم في البلاد، وأنّ الخوف سيرتفع عنهم حين يقوم مهديّهم.. وعلى هذا إجماع عترتهم الطاهرة، وإجماعهم حُجّة بدليل كلام النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: «إنيّ تارك فيكم ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلوا أبدا، كتابُ الله وعترتي أهل بيتي، ولن ينفصلا حتى يردا عَليَّ الحوض»، وأيضًا (الشاهد على هذا القول)، لم يجْرِ التمكين في الأرض بالنحو المطلق في الماضي، إذن ينبغي أن يحصل ذلك في المستقبل، لأَنّ الله لا يُخلف الوعد..[3].

بالنّظر إلى ما قيل في توضيح الآيات الآنفة، ثبت أن المهدوية ودولة الإسلام العالمية، هُما

1 - النعماني، الغيبة، ص240، وقال في رواية أخرى: هذه الآية (حتى عبارة من قبلهم) نزلت بشأن علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من أبنائه ومتابعة للآية التي قال فيها (وَلَيمكِّنَنَّ لَهمْ دِينَهم .... لا يُشْركون) قال: المقصود من هذا القسم من الآية هو ظهور القائم عليه السلام.. انظر: القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق، مج9، ص 339.

2 - الطبرسي، مجمع البيان، مج7، ص 239.

3 - الطبرسي، مجمع البيان، ص 240.

وجهان لعُملة واحدة، والمهدوية في الحقيقة ترسم مخطط دولة الإسلام العالمية التي ذُكرت صراحة في القرآن الكريم، وبتعبير آخر، فإنّ الله سبحانه وتعالى يُوصِّف حكومة المهدي عليه السلام بتبيينه لدولة الإسلام العالمية.

النتيجة

عُرض فيما سبق، النظرة العامة والشاملة في القرآن إلى قضية المهدوية، التي ذكرت من خلال دراسة الآيات ذات الصِّلة والتي تُركّز على مستقبل العالم والمصير الحَسَن للمؤمنين والعاقبة المشؤومة للظالمين والمُستكبرين، وأيضًا تحليل السُّنن الإلهية المبنية على نجاة المظلومين والمستضعفين.

وقد اتّضح من خلال هذه الدراسة، أنّ المهدوية قد ذُكرت في آيات كثيرة من القرآن الكريم، بحيث لا يُمكن تفسير هذه المجموعة من الآيات إلا من خلال وُجود الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان، وقيامه ونهضته العالمية. لذلك، يمكن القول: إنّ المهدوية قد تمّ الحديث عنها في القرآن الكريم بالإشارة، وضمن الآيات التي عرضناها، وهذا ما أكدته أيضًا أقوال مُعظم مفسري الشّيعة وأهل السُّنة، كما عرضناها بالتفصيل. أما أهداف المشروع المهدوي المستقبلي، فهي نفسها الأهداف والغايات التي نزلت الرسالات الإلهية لتحقيقها على الأرض، وبَشّر بها جميع الأنبياء والرّسل عليهم السلام عبر التاريخ..

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط- 1419هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن محمد، زاد المسير، بمسعى: عبد الرزاق، بيروت: دار الكتاب العربي، ط- 1422هـ.
- ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، بمسعى: شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط- 1419هـ.
- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، بيروت: دار الثقلين، ط1 - 1420 هـ.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، بيروت: دار الفكر، ط1-1420هـ.
- البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، قم -إيران: مؤسسة بعثت، 1416 هـ.
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، بمسعى: ابن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط- 1422هـ.
- السيد قطب، إبراهيم الحسيني، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، 1425هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، قم- إيران: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط1 - 1404هـ.
- الشريف الرضي، محمد بن حسين بن موسى، نهج البلاغة، (دون تاريخ أو طبعة).

■ الصافي الكلبايكاني، لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، دار كوثر للنشر، ط3 - 1430هـ.

الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الخصال، تحقيق: علي أكبر غفاري، جامعة المدرسين، ط1-1983م.

■ الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ترجمه بالفارسية: السيد محمد باقر الموسوي الهمداني، قم، مكتب النشر الإسلامي: ط5 - 1995م.

■ الطبرسي، فضل بن الحسن، الأمالي، بيروت: الأعلمي، ط5 - 1400هـ.

■ الطبرسي، فضل بن الحسن، جوامع الجامع، طهران: نشر جامعة طهران، ط- 1406هـ.

■ الطبرسي، فضل بن الحسن، كمال الدين وتمام النعمة، طهران: المكتبة الإسلامية، ط2 - 1395هـ.

■ الطبرسي، فضل بن الحسن، مجمع البيان، بيروت: دار المعرفة، ط1406-هـ.

■ الطبرسي، فضل بن حسن، أعلام الورى بأعلام الهدى، قم- إيران: مؤسسة آل البيت(ع)، ط- 1417هـ.

■ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، 1412 هـ.

■ عروسي حويزي، عبد العلي بن جمعة، نور الثقلين، قم – إيران: دار إسماعيليان للنشر، ط- 1415هـ.

■ الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط- 1415 هـ.

■ القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط- 1415هـ.

■ القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق، تحقيق: حسين دركاهي، طهران: وزارة الإرشاد، ط- 1989م.

■ القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القميّ، تحقيق: الجزائري، قم- إيران: دار الكتاب، ط- 1984م.

الكاشاني، الفيض، الملا محسن، الصافي، تحقيق: حسين أعلمي، طهران، الصجر، ط- 1415هـ.

■ كوراني، عليّ، معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم- إيران: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط2 - 1428هـ.

■ الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السّنة (تفسير الماتريدي)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 1326هـ.

■ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، طهران: الكتب الإسلامية، ط2-1984م.

■ معرفت، محمد هادي، علوم قرآنى [العلوم القرآنية]، قم- إيران، مؤسسة التمهيد للثقافة والنشر، ط- 2002م.

■ المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حُجج الله على العباد، قم- إيران، دار المفيد، ط1 - 1993م.

■ مكارم شيرازي، ناصر، تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، طهران: إيران: دار الكتب الإسلامية، ط- 1996م.

النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق: فارس حسون، قم- إيران: أنوار الهدى، ط1 - 1422هـ.

الإمامة بين ضَرورتَي الحُضور والاحْتِجاب

نقدٌ معرفيّ قرآني

◆ حسين إبراهيم شمس الدين[1]

■ **خلاصة**

يُعتبر بحث الإمامة في الفكر الإسلامي عمومًا من المباحث الدقيقة، والتي تدخل في تشكيل الهوية الإسلامية الاجتماعية والعقدية، ولكن لم تكن هذه المسألة محلّ اتِّفاق عند الفرق الإسلامية المختلفة، بل نجد أنّ المذهب الإمامي قد طرحها انطلاقًا من رؤية وجودية أنطولوجية مرتبطة بالتوحيد وخلق العالم وغايته، بحيث نجد أنّ قضية وجود الإمام مرتبطة بالرؤية حول الإنسان الكامل، وليست فقط مسألة قيادة أو رئاسة عامة، كما نجدها عند بعض المذاهب الأخرى.

هذه المسألة، انعكست بشكل جليٍّ على قضية حضور الإمام وغَيبته، فلم تكن الغَيبة في قوة عدم وجود الإمام، وذلك لأنّ غاية وجوده غير مُقتصرة على مُجرد حضوره، وإنْ كان الحضور هو التجلّي الأكبر لفاعلية الإمام ووجوده، ولكن غَيبته واحتجابه عن الناس، غير مُنافٍ لضرورة وُجوده في عالم التّكوين..

الكلمات المفتاحية: الإمامة - الحضور - الغيبة - الإنسان الكامل..

1 - طالب دكتوراه في علم الاجتماع ومختص في الفلسفة - الحوزة العلمية/ قُم - إيران.

مقدمة

يُشكّل البحث عن المنظومة الفكرية الإسلامية، تحديًّا فكريًّا لأي باحث يريد بيان جزئية أو تفصيلاً معينًّا ضمن هذه المنظومة، وذلك لما يتميّز به البناء الفكري في الإسلام والفكر الإسلامي من عناصر متشابكة ومُتعاضدة فيما بينها، بحيث يُمكن وصف هذا الفكر، بأنّه شبكة ترفد بعضها بعضًا، ولا مجال للتهافت الداخلي بين العناصر، وإلا سيكون علامة على عدم إدراك الواقعية الحقيقية لهذه المنظومة.

بعبارة أخرى، إن منظومة الأفكار الإسلامية هي منظومة منسجمة فيما بينها، فالفكر العقائدي فيها لا بدّ أن يكون منسجمًا مع الفكر القيمي والسلوكي، والعكس بالعكس، وهذا ما نجده حاضرًا عند دراسة أي جزئية من جزئيات الفكر.

ومثال ذلك، أننا لو أردنا أن نبحث حول قضية الإمامة مثلاً، والتي تُعدّ من أمّهات الأفكار في الفكر الإسلامي – لا سيّما الفكر الإمامي الاثني عشري- فإننا لا يُمكن أن نبحث عن هذه القضية من منظار التاريخ فقط، بحيث يلجأ الباحث إلى رصد الوثائق والكتب التاريخية لتحديد موضوع الإمامة طبق مسار التاريخ، بل لا بدّ من الرجوع إلى المباني العقائدية والحكمية التي تحكّم علينا معرفة مواصفات الإمام، طبق الرؤية الكونية النابعة من أصل التوحيد والربوبية الإلهية، فالعقيدة ترفد رؤيتنا للتاريخ، كما أنّ التاريخ لا يملك في نفسه معيار القيمة والحق، إلا بالعرض على الأصول العقدية والعقلية والنّصيّة الصريحة في القرآن الكريم.

لذلك، يجد الباحث الذي ينطلق من فكر إسلامي، موقفه واضحًا تُجاه القضايا التاريخية، موقف مُدعّم بأصول وافتراضات مُسبقة هي التي تحكم تقييمه لأحداث الحاضر والماضي، إذ

الزمان والزمانيات ليست إلا وقائع حدثت في إطار "ما هو كائن"، وتحتاج في تقييمها إلى دعامة "ما ينبغي أن يكون"، قبل إصدار الأحكام القِيمية عليها.

من هنا، يمُكن القول: إنّ قضية الإمامة – التي هي محل البحث- قضية لا بدّ قبل الخوض في البحث التاريخي فيها من تقديم مادة نظرية وعقدية حاكمة عليها في البحث التاريخي، وهذا هو إنصاف الباحث الإسلامي، وما يقتضيه الانطلاق من الرؤية الكونية الإسلامية عند البحث التاريخي، وأما لو افترضنا وجود شخص لا ينتمي إلى الفكر الإسلامي بالأساس – كبعض المستشرقين مثلاً-، فإنّ غاية ما يمُكن أن يقدمه هو عرض تحليلي وفق منظاره الخاص الواعي أو اللاواعي تجاه القضايا التي استطاع أن يحصل على نتائج من خلال رصدها وتتبعها.

بالنسبة للإمامة، تُعتبر قضية ماهية الإمامة وعلاقتها بالمأمومين من الناس، وعلاقة الناس بها، وما يتفرّع على ذلك من ضرورة حضور الإمام وسط شرائح الناس، أو غيابه عنهم واحتجابه عن التواصل معهم، من القضايا التي لا بدّ من تأصيلها وفق الرؤية القرآنية بشكل أساسي، حتى يمكن للباحث في الفكر الإمامي وضع قضية المهدوية بشكل خاص في سياقها الفكري الإمامي الخاص، وكي لا يتراءى للناظر تهافت عنوان "الإمامة" مع عنوان "الغَيبة والاحتجاب".

إذْ قد يسأل سائل: إنّ الإمامة هي قيادة وحضور وتنفيذ وإدراة اجتماعية، فما معنى "الإمام الغائب" عندئذ؟ وهذه الإشكالية ترجع إلى الرؤية حول فكرة الإمامة وماهيتها، فإذا عرفنا روح الإمامة في الفكر الشيعي، فلن يبقى لهذا السؤال مجال.

أولاً: ماهية الإمامة في القرآن الكريم

قَالَ سُبْحَانَهُ و تَعَالىٰ: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:124]. تشكّل هذه الآية القرآنية نقطة محورية في فهم الإمامة الإلهية في الفكر الشيعي الإمامي، إذ تشتمل على عناصر عديدة مهمة هي:

العنصر الأول: إنّ الإمامة هبة وعطاء إلهي، وليست بجعلٍ من النّاس، على وفق القيادات

والرئاسات البشرية التي يفوّض فيها الناس أمرًا أو أمورًا من شُؤونهم السياسية أو الاجتماعية لشخص من الأشخاص، ففي قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾، إشارة إلى قضية الجعل الإلهي لمنصب الإمامة.

العنصر الثاني: الإمام لا بدّ أن يكون حائزًا على الخصائص النفسانية العالية، وهي التي تكون مشهودة له قبل قيادته أو استلامه للرئاسة العامة، وبعبارة أخرى، إنّ التجربة البشرية في تشخيص الأليق للقيادة، قد تكون نابعة من مشاهدة تجارب القادة والمسؤولين في تجربتهم القيادية نفسها، فالمسؤول إنّما يتمُّ ترفيعه لمستوى أعلى من المسؤولية، بسبب نجاحه السابق في رُتبته الأدنى، أو قد يتمّ تنصيبه في منصب معين بسبب نجاحات أو توسّمات يجدها الناس في شخص يتمتع بحسٍّ قيادي أو إداري ما، وأمّا ما نجده في هذه الآية القرآنية، فهو أمر آخر، مرتبط بالخصائص الخُلقية والنفسانية للإمام، فقوله -تعالى-: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾، يدل على الابتلاء الإلهي الذي كان له دور في تجوهُر النفس الإبراهيمية على مستويات باطنية وداخلية لا قيادية فقط.

وبحسب تعبير العلامة الطباطبائي: "فقوله: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ، الابتلاء والبلاء بمعنى واحد، تقول: ابتليته و بلوته بكذا، أي امتحنته و اختبرته، إذا قدمت إليه أمرًا أو أوقعته في حدث فاختبرته بذلك واستظهرت ما عنده من الصفات النفسانية الكامنة عنده كالإطاعة والشجاعة والسخاء والعفة والعلم والوفاء أو مقابلاتها"[1]، إلى أن قال: "..إذا عرفت ذلك، ظهر لك أن المُراد بقوله تعالى: بِكَلِماتٍ، قضايا ابْتُلي بها، وعُهود إلهية أريدت منه، كابتلائه بالكواكب والأصنام، والنار والهجرة وتضحيته بابنه، وغير ذلك. ولم يُبين في الكلام ما هي الكلمات، لأنّ الغرض غير متعلق بذلك، نعم قوله: قالَ إِنيِّ جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً، من حيث ترتبه على الكلمات، تدلّ على أنها كانت أمورًا تُثبت بها لياقته عليه السلام لمقام الإمامة"[2].

وما يتفرع على هذا المقام من العصمة مثلاً، يأتي في سياق إثبات الصفات النفسانية الخاصة

1 - الطباطبايى، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص 268.
2 - الطباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص 270.

بالإمام، وبيان ذلك أنّ العصمة قد نبحثها تارة من جهة الغرض والغاية، كأن نقول إنّ الإمام لمّا كان قائدًا للناس على الهداية، فلا بدّ أن يكون مطاعًا وأن يكون هاديًّا لهم، وكونه غير معصوم خلاف الغرض، وينقض الغاية والوظيفة التي لأجلها كان إمامًا.

وبالتالي، لا بدّ من عصمته حتى يتحقق الغرض. لكن تارة أخرى نحلّل حقيقة العصمة لا من حيثية غائية، بل من حيثية ذاتية نفسانية، فنسأل عن حقيقة العصمة في نفس المعصوم والإمام ما هي؟ فيجيب الحكماء أنّ العصمة في الحقيقة هي ملكة نفسانية راسخة ناشئة من العلم والكشف التام الحاصل للإمام أو النبي بالله تعالى وأسمائه وصفاته وبالشريعة ومراسم العبودية، وهذا الذي يكون باعثًا على العصمة، وبيانه أنه "لا شك أنّ الفعل الاختياري إنما هو اختياري بصدوره عن العلم والمشيئة، وإنما يختلف الفعل طاعة ومعصية، باختلاف الصورة العلمية التي يصدر عنها، فإن كان المقصود هو الجري على العبودية بامتثال الأمر مثلا، تحققت الطاعة، و إن كان المطلوب- أعني الصورة العِلمية التي يُضاف إليها المشيئة- اتّباع الهوى واقتراف ما نهى الله عنه، تحقّقت المعصية. فاختلاف أفعالنا طاعة و معصية، لاختلاف عِلمنا الذي يصدر عنه الفعل، و لو دام أحد العِلمين، أعني الحكم بوجوب الجري على العبودية وامتثال الأمر الإلهي، لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية - والعياذ بالله - لم يتحقق إلا المعصية، وعلى هذا، فصدور الأفعال عن النبيﷺ، بوصف الطاعة دائمًا، ليس إلا لأنّ العلم الذي يصدر عنه فعله بالمشيئة صورة علمية صالحة غير متغيرة، وهو الإذعان بوجوب العبودية دائمًا، ومن المعلوم أنّ الصورة العلمية والهيئة النفسانية الراسخة غير الزائلة، هي الملكة النفسانية، كملكة العفة والشجاعة والعدالة ونحوها، ففي النبي ملكة نفسانية تصدر عنها أفعاله على الطاعة والانقياد، وهي القوة الرادعة عن المعصية"[1].

وخلاصة القول: إنّ التصوّر الإمامي عن الإمامة، هو تصوّر ناظر لشخصية الإمام قبل وظيفته الاجتماعية والسياسية والقيادية، فهو إمام في نفسه ولأجل خصائصه التي وهبها الله تعالى له، لا لمجرد كونه حاضرًا وقائدًا بالفعل، بل إنه صار قائدًا لأجل هذه الخصائص النفسانية.

1 - الطباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ج 2، ص: 138 – 139 .

ثانيًا: الإمام الإنسان الكامل وليس الحاضر القائد فقط

النقطة الأساسية التي نخرج بها من البحث السابق، أن الإمامة ليست مجرّد رئاسة عامة في الفكر الكلامي والعقائدي الإمامي، بل هي تعبير عن شخصية الإنسان الكامل الذي يمتلك المؤهلات والموهبات الإلهية، والتي من أجلها استحق مقام الرئاسة العامة وولاية الأمر، وبالتّالي، فإنّ الكلام عن ضرورة الإمام وفق هذا السياق، ليس كلامًا متفرّعًا فقط على ضرورة الحضور القيادي له، بل هي ضرورة تكوينية نابعة من هندسة الوجود وفق العناية الإلهية الأزلية التي اقتضت وجود الإنسان الكامل في كل زمان ومكان.

وبيان ذلك بوجه آخر، وفق الفكر الكلامي القرآني الذي يتبناه الإمامية حول قضية الإمامة، لا ينبع فقط من ضرورة الرئاسة والقيادة العامة، بل ينظرون إلى القضية من باب أنّ الله سبحانه وتعالى عندما خلق الخلق وأفاض الوجود الإمكاني لم يمكن ذلك على وجه مُبعثر ومُشتّت، بل كان وجهًا حكيمًا يُراعى فيه ترتيب الأشرف فالأشرف.

وبالتّالي، فإنّ وجود الإنسان الكامل في حياة البشر هو من مقتضيات الخِلقة، في كل زمان، بحيث لا يمكن أن يخلو منه زمان أصلاً، وهذا مفاد الكثير من الروايات حول ضرورة الحجة، وقد أشار صدر المتألهين الشيرازي إلى هذه الحقيقة، حيث قال: أنّ الآيات والروايات تدل على " عدم خلوّ الزمان عمّن يقوم به حجة اللّه على خلقه، إذ علم أنه بهذا جرت سنّة اللّه من لدن آدم و نوح و آل إبراهيم إلى وقت نبيّنا - صلوات اللّه عليهم أجمعين - ولن تجد لسنّة اللّه تبديلا، لكن النبوة قد ختمت برسولنا ﷺ، والولاية التي هي باطن النبوة باقية إلى يوم القيمة، فلا بدّ في كل زمان - بعد زمان الرسالة - من وجود وليّ يعبد اللّه على الشهود الكشفي من غير تعلّم، و يكون عنده مأخذ علوم العلماء و المجتهدين، وله الرئاسة العامة في أمر الدين والدنيا، وهو الداعي للخلق بحسب الفطرة من قبل اللّه، سواء أطاعته الرعية أو لا، والناس أجابوه أو أنكروه، و سواء كان ظاهرًا مشهورًا، أو مستترًا مغمورًا - كأكثر الأئمة الطاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين -"[1].

1 - الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، ج 6، ص 298.

وإذا أردنا أن نسلك مسلكًا قرآنيًا حول هذه المسألة، فإنّ مفسرينا - بالاعتماد على إشارات من روايات أهل البيت ﷺ - قد أثبتوا هذا الأمر من خلال عدّة آيات، لا سيما سورة القدر المباركة، حيث تُشير إلى أنّ ليلة القدر التي تتنزّل فيها الملائكة في شهر رمضان من كل سنة، ليست محصورة في زمن النبي، بل هي مستمرة في كل الأزمان والسنوات، ففي كل سنة ليلة قدر تتنزل فيها الملائكة، وتنزّل الملائكة لا يكون إلى بوجود قابل بشري إنساني تتنزّل عليه الملائكة "من كل أمر"، لأنّ تنزُّل الملائكة روحاني معنوي ولا يكون هذا التنزّل إلا إلى متنزّل عليه يُسانخها.

وبالتالي، فتنزل الملائكة والروح يقتضي وجود قلب روحاني كامل يُسانخها، كقلب رسول الله ﷺ الذي كانت تتنزل عليه الملائكة والروح في ليلة القدر في عصره، وهذا القلب المستمر في كل الأزمنة ليس إلاّ قلب الإنسان الكامل والإمام المعصوم ﷺ، "إذن فليلة القدر مستمرة [...] ليلة القدر تعني ليلة الإنسان الكامل، ليلة الولي الكامل، [...] يقول سُبْحَانَهُ: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾[القدر:4]، أي إنّ الملائكة والروح ينزلون بأمر من ربهم إلى الأرض، فهي ليلة لم ينقطع فيها الارتباط بين السماء والأرض، إنها ليلة الارتباط بين السماء والأرض [...] يقول الأئمة عليهم السلام إسألوا هؤلاء، عندما تنزل الملائكة والروح ليلة القدر، إلى أين تنزل؟ هل تنزل إلى الأرض أم أنها تنزل على القلب؟ إن الملائكة تنزل على الإنسان، على قلبه، فينبغي أن يكون قلب الإنسان قلبًا جديرًا بنزول الملائكة عليه. إنّ النزول لا معنى له غير هذا. فالقضية هي أن ليلة القدر هي ليلة الإنسان الكامل"[1].

ثالثًا: أهداف الإمامة على المستوى الإنساني: الحضور والفاعلية

ظهر ممّا تقدّم أنّ الرؤية الإمامية حول شخص الإمام وهي رؤية نابعة من تأمل مفهوم الإمامة في القرآن الكريم، تُفيد أنّ الإمامة قبل أن تكون حركة اجتماعية، هي ضرورة وجود لشخص إنساني كامل في عالم الإمكان، وهنا نفرّق بين أمرين أساسيين: الأول، هو ضرورة الإمام من باب ضرورة الحضور والظهور، والثاني، هو ضرورة الإمام من باب ضرورة الوجود التكويني له

1 - مطهري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن، ص 85.

بحسب ما تقتضيه هندسة الوجود الإلهي، والفكر الإمامي يعتبر أنّ الضرورة التكوينية من باب ضرورة وجود الإنسان الكامل هي الأصل، وأنّ قضية الحضور هي فرع وتابعة لمستلزمات إنسانية واجتماعية كما سنوضحها لاحقًا.

وعليه، فالغيبة أو الاحتجاب ليس خروجًا عن أصل ضرورة الإمامة كما يمُكن أن يُتوهّم، وكما ذكره أبو حامد الغزالي عند مناقشته بعض فرق الشيعة، من أنه لا فرق بين الموت والغَيْبة، حيث قال : "الصّواب الاعتراف بالحاجة إلى المُعلم، وأنه لا بدّ وأن يكون المُعلم معصومًا، ولكن معلمنا المعصوم هو محمد ﷺ فإذا قالوا: هو ميّت فنقول: ومُعلمكم غائب، فإذا قالوا: مُعلمنا قد علّم الدعاة وبثهم في البلاد، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول: ومُعلمنا قد علّم الدعاة وبثهم في البلاد وأكمل التعليم إذ قال الله تعالى:﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:3]، وبعد كمال التعليم لا يضرّ موتُ المُعلم كما لا تضرُّ غيبته."[1]

حيث يظهر من كلامه هذا، عدم التفريق بين الغَيْبة والموت لجهة الوظيفة الاجتماعية فقط، وأما لو التفت إلى القول بالضرورة التكوينية لحضور الإنسان الكامل المعصوم، فلا يقع في هذا التهافت. وكيف كان، يبقى السؤال عن الوظيفة الاجتماعية مطروحًا أيضًا، وأنّ حضور الإمامة والإمام في حياة البشر من أي سنخ هو؟ ففي هذا المجال نجد أنّ الفكر الإمامي القرآني يختلف عن غيره، حيث نجد في بعض كتب المتكلمين من غير الإمامية أنهم يرون الإمامة ليست سوى قيادة ورئاسة عامة فقط، وهو ظاهر بحصرها ببُعدها التنظيمي الاجتماعي لتحقيق العدالة الاجتماعية على أبعد تقدي.

ولذا لم يشترطوا الكثير من الشروط في شخصية الإمام عندهم. بخلاف الإمامية الذين نظروا لحضور الإمام وفاعليته بين الناس نظرة أعمق، تتجلّى في قضية تحقيق المدينة الفاضلة المهدوية، في كل مستويات الإنسانية، من العدالة الاجتماعية إلى العدالة القيمية والاعتقادية والفكرية، فالمقصود من الحضور ليس بناء "مواطنة إسلامية"، بل المُراد هو بناء الإنسان في

1 - الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 116.

جميع مستوياته، وهذا يتطلب أن يكون الإمام والقائد عالمًا ومحيطًا وواصلاً إلى قرب الله تعالى، بحيث يتعرّف إلى المقامات المعنوية والإلهية التي لا بدّ للبشر من سلوكها، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المجتمع لهداية الناس إلى قِمم الإنسانية، وبعبارة أخرى، "العمل في الدنيا، يكون عملاً للآخرة أيضًا، فالدنيا مرتبة من العوالم المتصلة ببعضها، وتحقيق العدالة والقسط فيها غاية، قَال اللَّهُ سُبْحانَهُ وتعالىٰ: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد: 25].

ولكن هذه الغاية، ليست غاية أرضية فقط، بل هي غاية في طول وعلى مسار غاية الطهارة والتزكية لقُلوب البشر، وهي غاية العبودية، قَال اللَّهُ جَلَّ و عَلاَ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:56]. إنّ تحقيق الأرض الطيبة، هو ككلمة طيبة، أصلها أرضي ثابت وفطري، ولكنها مُتصلة بالسماء.

إنّ بركات الأرض تخرج بالإيمان والتقوى، ومن دون الإيمان سترتدُّ عليهم قاحلة، وسيضعُف نسلهم، وتجفّ أرضهم، فالسماء والأرض عبادٌ مطيعون لله، قَالَ اللَّهُ جَلّ في عُلاه: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[فصّلت:11]، وهي ذات روح عابدة، لا تمكّن الإنسان من نفسها إلا بعدل منه، ولذا أخرجت الأرض بركاتها للمستقيمين على الطريقة، قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾[الجن:16]، وقَالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾[المائدة:66]"[1].

رابعًا: الغيبة احتجاب الإمام عن الأمة أم احْتجاب الأمّة عن الإمام؟

تبيّن ممّا سبق عدم المُساوقة بين وجود الإمام وحضوره الظاهري، كما لا مُساوقة بين عدمه

1 - شمس الدين، المدينة الفاضلة المهدوية، ص 107.

وغيبته، فقد يكون الإمام موجودًا غائبًا، ولا معنى للقول: إنّ غيبته في قوة عدمه، بعدما ظهر أن وجوده في عالم الإمكان فرع لضرورة وجود إنسان كامل في كل زمان، ولكن يبقى السؤال عن سبب الغيبة والاحتجاب، أو حِكمته والغرض من ورائه.

وهنا لا بدّ من التفصيل بين أمرين، الأول، هو كون غيبته نتيجة فَقْد أسباب الحضور الذي به تكون تمام المنفعة منه، والثاني، هو وجود غرض ومنفعة من غَيْبته بمعنى أنّ الاحتجاب أمر مطلوب في نفسه لتحصيل منفعة معينة.

وبعبارة أخرى، قد يُقال إنّ الغرض الأسمى والغاية القصوى تتحقق في حضور الإمام (عليه السلام) بين الناس وقيادتهم إلى ذروة قِمم الإنسانية، ولكن الانتفاع من هذا الحضور معلول لسلسلة من العِلل والأسباب، فمع فقْد إحْداها لا يتمّ للحضور منفعة، فيتحقّق الغياب وفُقدان المنفعة من حضوره، لفُقدان العِلّة، فيكون غيابه خاليًّا عن منفعة الحضور، ولكن لفَقْد السبب الراجع إلى الأمة مثلاً، كتقصيرها عن نصرته أو الالتزام بخططه وبرامجه، وتارة أخرى، نقول إنّ الغيبة نفسها أمر مطلوب وحالة مثالية يتطلبها تكامل البشرية، كأن يُقال إنّ من كمال البشرية احتجاب الإمام عنها، كي تستكمل على مستويات معينة بشكل مستقل مثلاً، فالفرض الأول، نُعبّر عنه باحتجاب الأمة عن الإمام لتقصيرها في تحصيل غرض حضوره، والثاني، نعبّر عنه باحتجاب الإمام عن الأمة لتكميلها بالنفع الراجع إليها من غيبته.

وهذا البحث يتطلب السّير فيما يُسمى (عِلل الغيبة)، والظاهر عند مراجعة كلمات الأعلام المستنبطة من النصوص الدينية المعتبرة، أنّ الوجه الأول هو الأظهر - أي احتجاب الأمة عن الإمام-، وإنْ كان اللائح من كلمات البعض احتمال أو التصريح بالوجه الثاني، فمن القائلين بحتمية كون الغيبة لأجل تقصير الأمة واحتجابها، ما ذكره المحقق الطوسي في غيبته حيث قال: "ووُجوده لُطف، وتصرّفه [لطف] آخر، وغيبته منّا."[1]

حيث يصرّح بأن غَيبته سببها الأمة لا نفسه هو، أو ما يقتضيه نفس كونه إمامًا، وهذا ما صرّح

1 - المحقق الطوسي، تجريد الاعتقاد، ص221 .

به أيضًا العلامة الحلّي حيث قال: "لُطف الإمامة يتمّ بأمور: (منها) ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعِلم والنّص عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى. (ومنها) ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله لها، وهذا قد فعله الإمام. (ومنها) ما يجب على الرّعية وهو مساعدته والنُّصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم تفعله الرّعية، فكان منع اللطف الكامل منهم، لا مِنَ الله تعالى ولا مِنَ الإمام"[1].

أما الوجه الثاني، للغَيبة وهو – احتجاب الإمام لمصلحة في الغيبة نفسها- فقد احتمله بعضهم، ولكن وضعوا هذا الاحتمال بصيغة أنّ الغَيبة سرّ من أسرار الله تعالى، لم يطلع عليها أحد، وقد جاء في هذا المعنى بعض النصوص، منها ما نقله الصدوق في "كمال الدين وتمام النعمة": «حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبْدُوسٍ الْعَطَّارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمْدَانُ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةً لَا بُدَّ مِنْهَا يَرْتَابُ فِيهَا كُلُّ مُبْطِلٍ، فَقُلْتُ: وَلِمَ جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ لِأَمْرٍ لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي كَشْفِهِ لَكُمْ، قُلْتُ فَمَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِهِ، قَالَ: وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِهِ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَاتِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، إِنَّ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِهِ كَمَا لَمْ يَنْكَشِفْ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِيمَا أَتَاهُ الْخَضِرُ عليه السلام، مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ وَ قَتْلِ الْغُلَامِ وَ إِقَامَةِ الْجِدَارِ لِمُوسَى عليه السلام، إِلَى وَقْتِ افْتِرَاقِهِمَا يَا ابْنَ الْفَضْلِ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ، وَمَتَى عَلِمْنَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ، صَدَّقْنَا بِأَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا حِكْمَةٌ وَإِنْ كَانَ وَجْهُهَا غَيْرَ مُنْكَشِفٍ»[2].

أخيرًا، بعد أن اتّضحت حقيقة الإمامة السارية في جهتي الحضور والاحتجاب، تأتي قضية الانتظار أيضًا، كامتداد لبناء النفوس الإنسانية في ظرف الغياب، حيث مُدح هذا الانتظار بما يمتلك من أمل مدفون في فطرة البشر، ولذا، فإنّ توجُّه النفوس إلى الأمل الموعود وانتظاره هو من مقتضيات فطرتهم التي تشكّل أحد عوامل تربيتهم، وهذا ممّا لا يخفى أنه أحد الأبعاد

1 - العلامة الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص 492 .

2 - الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص 479 .

التربوية في علاقة المأموم بالإمام، وبعبارة أخرى، "لم يكن الأمل يومًا أمرًا هامشيًا في حياة البشر، فالإنسان مهما أحاطت به الشدائد، يبقى في داخله شُعاع يجعله يعلّق آماله على نهاية سعيدة أو مُرضية، ولذا، عدّ بعض الحكماء اليأسَ والكآبة من الأمراض النفسية التي لا بدّ من علاجها، وكأن الرؤية المُعتمة للنهايات، هي أحد الأمور التي ينفر منها الإنسان، والتي تُعبّر عن خروج عن الطبيعة المستقيمة والصحيّة، كما يكون الإحساس بالمُرورة عند تذوُّق العسل أمرًا مَرَضيًّا، وخروج عن الذائقة المستقيمة، ولكن في الوقت نفسه، ألا يُعدّ "خيال" الأمل وأسطوريته وعدم واقعيته نوعًا من الكذب الذي لا يُلغي الكآبة، ولا يُحقق الأمل عند فاقده؟ هل يَقنع فاقد الأمل بوَهْم الأمل؟ حتمًا لا، لأن الأمل الموهوم لا يقلّ عن عدم الأمل، كما أنّ من أشبع نفسه بأوهام الأكل والشرب، لا يصبح شبعانًا مُرتويًّا.

فالأمل الذي تصبو إليه النفس، هو أمل مقرون بالواقعية، وليس أملاً أسطوريًا، كاذبًا، هذه هي حقيقة النفس، في أحد ميولها الجبلّية، ولا نتكلّم فقط عن أمل نهائي شامل لحياة الإنسان والبشرية، بل حتى الآمال الجزئية، هي عنصر أساسي في وجدان الإنسان، فالأمل بالارتواء أمر ضروري لحركة العطشان، والأمل بالنَجاة هو أحد أسباب سعي المأزوم أو الغريق لأن يتحرك، وكذا أمل الإنسان من حيث هو إنسان – لا من حيث هو جائع أو غريق- بل الإنسان في إنسانيته، له أمل وراء جزئيات حياته اليومية، أمل بأن يخلو عالمه الذي يعيش فيه من ضيق والمآسي ومن الظلم والجور"[1].

خاتمة

يظهر ممّا سبق، أنّ علاج الإشكالية الأساسية التي انطلق منها البحث، وهي إشكالية الإمامة التي ينظّر لها الفكر الإمامي، والتي تمتد إلى حالتي الظهور والغيبة، الحضور والاحتجاب، حيث يُقال: ما الفرق بين عدم الإمام وبين غيبته؟

وكان البحث السّابق، إعادة تعريف وتبيين لجوهر الإمامة في الفكر الشيعي، حيث يكون إثبات

1 - شمس الدين، المدينة الفاضلة، ص 96 - 97 .

الإمام ووجوده نابعًا من ضرورة فلسفية حكيمة وقرآنية، حيث نجد أنّ الإمامة تنبع من ضرورة تكوينية لا يستقيم بدونها هندسة الوجود، وهي ضرورة وجود الإنسان الكامل في كل زمان، وأن الوجود البشري لا يكون محلّ عناية إلهية، إلا بوجود الإنسان الكامل.

فهذا هو المنطلق الأساسي لفكرة الإمامة، ويتفرع عليها فروعات متعدّدة، منها أنّ حضور الإمام بين ظهراني الناس بشكل منكشف يُحقّق لهم العدالة الاجتماعية، بل العدالة الإنسانية بجميع مستوياتها، ولكن بشرطها وشروطها. وغَيبته لا تنقض أصل وجوده التكويني بل لها دواعٍ وأسرار، ولانتظاره أيضًا منافع وثمار.

ولذلك، من اقتصر في التنظير لفكرة الإمامة على ضرورتها الاجتماعية، سيقع في إشكالية عدم الفرق بين الغَيبة والموت، بين الاحتجاب والانعدام، ولكن الفكر الإمامي الذي يقبل الغَيبة والاحتجاب، مُنسجم مع طرحه حول الإمامة التي يجعل لأُفق الوجود، امتدادًا أوْسعَ من الحضور الاجتماعي نفسه، كما تقدّم تفصيله..

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

■ الحلي، الحسن بن يوسف ابن المطهر، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، قم المقدسة: جامعة المدرسين، 1417هـ.

■ شمس الدين، حسين إبراهيم، المدينة الفاضلة المهدوية، بيروت: مركز براثا، ط1 - 2024.

■ الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم. تفسير القرآن الكريم. ، بيدار، قُم - إيران، ط- 1366 هـ.

■ الصدوق، محمد بن علي، المعروف بابن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، طهرا: دار الكتب الإسلامية، ط- 1395هـ.

■ طباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط-2 1390 هـ.ق.

■ الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد، تجريد الاعتقاد، طهران: مكتب الإعلام الإسلامي، 1407هـ.

■ الغزالي، أبو حامد محمد، المنقذ من الضلال، القاهرة: دار الكتب الحديثة، بدون تاريخ.

■ مطهري، الشهيد مرتضى، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن، بيروت: دار الإرشاد، ط - 2009م.

علَل غَيْبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
مُقاربة قرآنية مع قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل

◆ د. أحمد ذهيب حسين[1]

■ **خلاصة**

تُعدُّ قضية غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، من القضايا الإشكالية التي وقع حولها الاختلاف بين المسلمين.

في هذه الدراسة، مُحاولة لتسليط الضوء على هذه القضية، للتعرُّف على أسبابها وعِلَلها وفلسفتها، وهل هي سُنّة من سُنن الوجود؟ كلُّ ذلك، من خلال مقارنة هذه الغَيبة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بغيبة نبي الله موسى عليه السلام، والتي تُعتبر غَيبة مُختصرة عن غيبة الإمام، ومن خلال هذه المقارنة، والتأمل في القصص القرآني التي تحدثت عن غَيبة عدد من الأنبياء عن أقوامهم، يُمكن استنتاج الدروس واستلهام العبر. وبالتّالي، التعرُّف على الثّمار التي جناها هؤلاء الأقوام - ومن بينهم بنوا إسرائيل-، من غيبة أنبيائهم، للتفكُّر في مآلاتها، وكيفية التعامل مع غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف اليوم، بما يُفيد البشرية المُنتظرة للمُخلِّص العالمي..

الكلمات المفتاحية:

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف- الغَيبة – الانتظار – موسى عليه السلام – بنو إسرائيل..

1 - مُختص بالدراسات القرآنية – العراق.

المقدمة

ثمَّة قاعدة أساسية في الحياة، وهي أنه لا بدّ للإنسان بعد حياته أن يأتيه الموت، مهما تقدّم به العمر، وقد تُخرق هذه القاعدة أحيانًا، لكن الأصل يبقى ثابتًا، فقد تحدثت بعض الأخبار والروايات مثلاً عن أشخاص كالخضر عليه السلام وعيسى عليه السلام، بالإضافة إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قد استمروا في الحياة ولم يُدركهم الموت حتى هذه الساعة.

لكن هذا الخرق لهذه القاعدة، لم يأْتِ اعتباطًا، وإنّما لغايات وعِلل انكشف جزءٌ منها وبقيت أجزاء أخرى مخفية، سنُحاول في هذا البحث الوقوف عندها، مع التركيز على غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومقاربة هذه الغَيبة وعلّتها مع ما وقع لنبي الله موسى عليه السلام وبني اسرائيل، فقد كانت غيبة موسى عليه السلام عن قومه تجربة متقدمة، ولنقُل مُختصرة ومختزلة لغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. لذلك، سندرس هذه الغَيبة كي نتلمَّس الدروس منها، ونَستلهم العِبر التي حملتها، ومن ثمّ نجني ثمار هذه القصة التي نقلها لنا القرآن بشكل مُفصل، بحيث شغلت قسمًا كبيراً منه.

وهذا ما يدعونا إلى أن نقف عندها ونتأملها ونجعلها نصب أعْيُننا حينما ننتظر صاحبنا(المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف)، كي نتجاوز العقبات والاخطاء التي وقع فيها القوم قبلنا، ونُعجّل بظهوره الشريف. كما سيُحاول البحث القيام بمُقارنة بين الغيبتين، غَيبة نبي الله موسى عليه السلام وغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وذلك من خلال مقدمة ومجموعة من المطالب.

أولاً : الانتظار سُنة أنطولوجية:

يعيش الإنسان على الأمل، ويستلهم منه وجوده ويحافظ على دوره في الحياة ، يقول الشاعر:

أُعلّل النّفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فُسحة الأمل[1].

إنّنا نرى كيف أنّ الانسان يقضي يومه كيفما كان، وهو ينتظر الغد، الذي يعتقد أو يحلم أنه سيكون أفضل من الأمس، وهكذا هي سُنة الكمال عند الانسان، وهو يحلم بالقادم، ويتحمّل المصاعب والمشاق، ولا يخيب ظنه بخالقه، عسى أن يُحقّق له أمنياته مهما كانت مستحيلة، ويتجسّد الأمل لدى الإنسان الأول في قصة النبي آدم عليه السلام، حينما خرج من الجنّة، فقد كان لديه إيمان ويقين بأنّ خالقه سيغفر له ويُسامحه على عدم الامتثال لأوامره، وتأتي هذه الثقة لأنه كان ينتظر الفرج بعد الشدّة والانفراج بعد الضيق قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة:37]، ويرى أحد الباحثين أنَّ "التعبير بالتلقي يُؤكّد على هذا الانتظار من قبل آدم عليه السلام لتلك الكلمات"[2]. ويمرُّ الزمن، ويصل الأمر إلى نبي الله يعقوب عليه السلام حينما غُيِّب يوسف عليه السلام عنه فما كان منه إلا أن تحلّى بالصّبر قائلا: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[يوسف:18]، وتتكرر محنته، ويفقد ابنه الآخر، فيستعين بالصّبر أيضًا: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾[يوسف:83]، وهو بذلك يمُنّي نفسه بعودتهما ولقائهما، وقد حقّق الله له ذلك: ﴿**فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[يوسف: 96].

ويستقرُّ بنو إسرائيل في مصر، فيخبرهم يوسف عليه السلام أنهم سوف يُعانون من اضطهاد حكام هذه الأرض بعده، وستضيق عليهم مصر إلى أن يأتي من أبناء لاوي من يُخلّصهم من هذا العذاب، فيعيش بنو إسرائيل على هذا الأمل في الخلاص من فرعون وأعوانه، على يد نبيهم موسى عليه السلام.

ويصل الدور إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله، الذي اعتزل المجتمع المكي الذي كان غارقًا في الشرك

1 - الطغرائي، ديوان الطغرائي، ص 306.
2 - العاملي، براءة آدم حقيقة قرآنية، ص 116.

وعبادة الأصنام والمفاسد الأخلاقية. وتفرغ للعبادة والتفكر في الملكوت، على رأس جبل في غار حراء، لقد كان النبي ﷺ ينتظر الفرج، أي انتظار نزول الوحي والتكليف بالنبوة، لينذر قومه ويدعوهم للتوحيد ونبذ عبادة الأصنام، وهذا ما وقع.

الخلاصة، إنّ انتظار الفرج والتغيير إلى الأحسن، ليس جديدًا على الساحة الدينية، بل وجدنا له شواهد كثيرة في التاريخ، وقد اقتصرنا على الإشارة إلى أمثلة خاصة، لنُدلِّل بها على أنّ الانتظار هو من السُّنن التي جرت على أقوام وأُمم سبقتنا، وما علينا إلا أن نعمل وفق ما أراده خالقنا منّا، بالسير على هذه السُّنن والاستفادة منها، كي نُحقق ما ننشده، ونصل إلى أهدافنا السامية التي اختطها -سبحانه- لنا.

ثانيًا: عقيدة الغَيبة بين التاريخ والفكر الاسلامي

1 - عقيدة الغَيبة في التاريخ:

تعتقد كثيرٌ من الشعوب بفكرة الانتظار، بل إنّ انتظار الخلاص أصبح اليوم من الهواجس التي تعيشها شعوب الأرض، فهذه الفكرة من عقائد أهل الأديان السماوية، كما اعتنقتها مُعظم شعوب الأرض، لذلك، فالإيمان بحتمية ظهور مخلص أو مصلح العالمي لإقامة دولة العدل الإلهي في كلِّ الارض من نقاط الاشتراك البارزة في جميع الأديان[1]، أما "الاختلاف فيما بينها فهو في تحديد هوية هذا المصلح الديني العالمي الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء عليهم السلام"[2].

يرى السيد محمد باقر الصدر أنّ المهدي كعقيدة عند المسلمين وفكرة عند غيرهم، ليس تجسيدًا لعقيدة إسلامية فحسب، إنّما هو "عنوان لطموح اتّجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة الإلهام الفطري، أدرك الناس من خلاله – على الرغم من تنوع عقائدهم

1 - ينظر: زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية، ص 13.

2 - محمود، مجلة الفكر الاسلامي، العددان (18 - 19)، السنة الخامسة – ربيع الثاني – رمضان 1418هـ بحث بعنوان: على هامش بشارات الأديان بالمهدي الإمامي، ص 241.

ووسائلهم إلى الغيب – أنّ للإنسانية يومًا موعودًا على الأرض، تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي"[1]. وقد استعرض السيد محمد مهدي خان في الأبواب الستّة الأولى من كتابه "مفتاح باب الأبواب"، آراء الأديان الستّة المعروفة بشأن ظُهور النبي الخاتم، ثم بشأن المُصلح العالمي المنتظر، وبيَّن أنّ كلَّ دين منها بشَّر بمجيء هذا المصلح الإلهي في المستقبل أو في آخر الزمان، ليُصلح العالم ويُنهي الظُّلم والشَّر ويحقّق السعادة المنشودة للمجتمع البشري[2]. وقد أصبح هذا الاعتقاد راسخًا ومُتجذرًا عند المسلمين وغيرهم، فلو تتبعنا الأديان والمعتقدات لدى شعوب الأرض، لوجدنا أنهم يشتركون في هذه الفكرة (عقيدة وتديُّنا)، أي تُوجب عليهم الايمان والانتظار والعمل من أجل تسريع وتعجيل الظهور لهذا المصلح الكبير كي يملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا.

وبنظرة سريعة، نُلاحظ أنّ عقيدة الانتظار "آمن اليهود بها، كما آمن النصارى بعودة عيسى عليه السلام، وصدّق بها الزرادشتيون، بانتظارهم عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحباش بترقُّبهم عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدوا بعودة فيشنو، ومثلهم المجوس إزاء ما يعتقدونه من حياة أوشيدر. وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور بوذا من جديد، كما ينتظر الإسبان ملكهم روذريق، والمغول قائدهم جنكيز خان. وقد وُجد هذا المعتقد عند قدامى المصريين، كما وُجد في القديم من كتب الصينيين"[3].

والأمر ينجرُّ إلى أتباع النبي الخاتم، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، الذين اعتقدوا اعتقادًا جازمًا بفكرة المهدي الموعود فـ "الإيمان بظهور المهدي مبدأ من المبادئ الرئيسية في التشيع، ويجب أن نُضيف إلى ذلك استكمالا لبحثنا، أنّ أهل السُّنة أنفسهم يعتقدون بمجيء مُصلح إلى العالم في آخر الزمان يبعث الله به، ويُسمّونه أيضًا بالإمام المهدي، أي الذي هداه الله إلى الطريق

1 - الصدر، بحث حول المهدي، 7.

2 - المرعشي النجفي، ملحقات إحقاق الحق، ج 29، ص 621-622.

3 - العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، 12- 13، نقلا عن : حسن، المهدية في الاسلام: منذ أقدم العصور حتى اليوم: دراسة في التاريخ العقدي والسياسي والأدبي، ص 43-44.

السوي"[1]، ويُعتبر الشيعة بأنّهم أكثر المذاهب أو الطوائف اعتقادًا وانتظارًا وترقبًا للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهُم يُؤمنون بغيبته، ويعتقدون أنهم أنصاره وأعوانه والسائرون على مذهبه حتى ظهوره الشريف، وهم أيضا أكثر المدافعين عن فكرته، لذلك، تراهم يُشيعونها في مجالسهم سرًّا وعلانية، ويتعبّدون بهذه العقيدة قربة لله تعالى، بل هي من أهم العقائد عندهم، لارتباطها بعقيدة الإمامة، التي هي أصلا من أصول الدّين عندهم. وبهذا، يتبيّن أنّ فكرة المُخلص هي من الأفكار الثابتة والمُترسخة في عقائد الناس، رغم اختلاف صيغتها بين عقيدة وأخرى، إلا أنّ النتيجة واحدة، والمُحصِّلة تصبُّ في الغرض نفسه وهو أنه لابدّ من مجيء مخلص في آخر الزمان، يقضي على الظلم والفساد، وينشر العدل والمساواة بين الناس، ويُحقق لهم ما كانوا يحلمون به.

2 - عقيدة الغَيبة في الفكر الإسلامي:

للبحث عن أيّ فكرة ما أو عقيدة مُعينة، يجب على الباحث أوّلا أن يتتبّع هذه الفكرة والعقيدة في المصادر المتقدمة أو النصوص التأسيسية لهذه العقيدة والبيئة التي انبثقت عنها، لذلك، سنحاول البحث عن هذه العقيدة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية بدرجة أخص، لأنّ هذه الفكرة كانت ممّا توافق عليه المسلمون بمختلف طوائفهم، وهي مُنتشرة كثيرًا في تراثهم الديني، بل إنّها نشأت وترعرعت في البيئة الإسلامية بشكل أساسي، كما لم تخلو كتب التراث سواء الكتب العقائدية أو كتب الحديث من مباحث تتعلق بها أو تتحدث عنها.

أ- عقيدة الغَيبة من القرآن:

إنَّ عقيدة المسلمين بمجيء مهدي آخر الزمان، هي من العقائد المتواترة والمُتّفق عليها بين الشيعة وأهل السُّنة، وقد أيّد القرآن هذا المُعتقد بمجموعة من الآيات التي يُفهم منها التبشير بظهوره في آخر الزمان[2]. فهناك مجموعة من الآيات القرآنية التي استدلّ بها المسلمون على عقيدة المهدي المنتظر، نذكر منها:

1 - جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقّدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ص217.
2 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص 27 وما بعدها.

* قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: 33]. قال القرطبي: " وقال السدّي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل الإسلام" [3].

* وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾[سبأ:51]، حيث رُويت أحاديث في تفسير هذه الآية وأنّ المقصود بها التبشير بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد قال الطبرسي في مجمع البيان: "أورده الثعلبي في تفسيره، وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام" [4]، وما أخرجه الطبري في تفسيره والزمخشري في كشافه عن ابن عباس[5].

* وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾[الزخرف:61]، فقد صرّح البغوي في التفسير، والزمخشري في كشافه، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود، والهيثمي، أنّ هذه الآية بخصوص نُزول عيسى عليه السلام في أخر الزمان[6]، ولا خلاف بين هؤلاء المفسرين أنّ نُزول عيسى عليه السلام مقرونًا بظُهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[7].

* وقوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[القصص: 5]، سيأتي تفسير هذه الآية وما قاله العلماء والمحدثون، في المطلب اللاحق بشكل تفصيلي.

---

3 - القرطبي، تفسير القرطبي ، ج8، ص 128، وينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج16 ص 40، الطبرسي، مجمع البيان، ج5، ص35.

4 - الطبرسي، مجمع البيان، ج4، ص498.

5 - ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج 22، ص72، والزمخشري، الكشاف، ج3، ص 476-468.

6 - ينظر: البغوي، معالم التنزيل،ج 4، ص444، والزمخشري، الكشاف، ج 4، ص26، الرازي، التفسير الكبير، ج27، ص 222، القرطبي، تفسير القرطبي، ج 1، ص 105، أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص 25، ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج4، ص 142، أبي السعود، التفسير، ج8، ص 52، الهيثمي، موارد الضمأن : ح1758.

7 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص 32.

ب- عقيدة الغَيبة من السُّنة الشريفة:

لقد زخرت كُتب الحديث بهذه العقيدة نصوصًا وتعليقًا، و "لا يبعد القول: إنّه ما من مُحدث من مُحدثي الإسلام إلا وقد أخرج بعض الأحاديث المُبشرة بظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان، وقد أفردوا كُتبًا كثيرة في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف خاصة"[1]، وقد أورد العميدي في كتابه (المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي)، أسماء من ذكروا أحاديث الإمام المهدي عليه السلام في كتبهم، وقد استقصاهم على حسب التسلسل الزمني في كتب العامة، أما من علماء الإمامية، فإنّ السيد العميدي يرى أنّ ذكرهم في هذا الموطن فيه ما (يُسمج) البحث، كون هذه العقيدة من البديهيات عندهم، ولهم بها إيمان مُطلق، فهي من أصول عقائدهم، كما يُورد أيضًا أسماء مجموعة من الصحابة الذين نقلوا أحاديث المهدي عليه السلام ويُورد طُرق هذه الأحاديث، ويذكر من صحّحها ومن جعلها من الأحاديث المُتواترة عند المسلمين. فهو بعمله هذا، يستقصي هذا الأمر من جوانبه كافة مما لا يترك مجالا للشك[2].

لعلّ هذا القدر من الأدلة على غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كافٍ لإثبات هذه العقيدة، رغم أنّ البحث غير مُلزم بإثبات هذا الأمر، إلا أنّه من دواعي الإحاطة والشمول بفكرة إثبات غيبته وتستره عن الناس، كون هذا ما سيعرضه البحث في المطالب اللاحقة التي تختص ببيان علّة هذه الغَيبة، ومُقاربة الدور الذي يتحتَّم على المنتظرين القيام به مع قصة النبي موسى عليه السلام وغيبته عن بني إسرائيل التي ذُكرت في القرآن.

والخلاصة، فمُعظم الأديان والمذاهب تتّفق على الإيمان بعقيدة الغَيبة، إلا أنّ هذا الاتفاق له تفاصيله التي تختلف بين دين وآخر ومذهب وآخر أيضًا، وما يخصّ البحث هنا، هو عقيدة الغَيبة ومهام الانتظار عند الإمامية الذين يعتقدون أن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مولود عام (255هـ)، وقد غاب غيبتين (صُغرى وكُبرى)، وقد بدأت غَيبتُه الكبرى عام (329هـ).

كما وجدنا أنّ فكرة المُخلص قد اشتركت فيها معظم الثقافات القديمة والحديثة، وكانت

1 - العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص. ص. 33-34.
2 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص. ص. 34-51.

جميعها تصبُّ في الإطار نفسه، أي إنّ مُعظم شعوب الأرض تنتظر مُخلِّصًا يأتي في آخر الزمان، يُحقق الله على يديه العدل والرخاء، بعدما تفشّى الظُّلم والجَوْر، ومن هذه العقائد والأفكار تنطلق شُعوب الأرض للبحث عن مُخلِّصها، كلٌّ بحسب ثقافته التي تربىَّ عليها وآمن بها.

ثالثًا: غيبة النّبي موسى عليه السلام عن بني إسرائيل مُقاربة مع غيبة الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

تدورُ الأحداث ويُعيد التاريخ نفسه، وهذا ما يُخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله، بأنّ أمته هذه ستتّبع الأمم السالفة في انحرافها عن الحقّ وطغيانها وعُتوِّها، حذو النعل بالنعل، والقَذة بالقذة[1]. وقد غاب مجموعة من الأنبياء عن أقوامهم لأغراض وغايات، ومنهم إدريس وصالح وإبراهيم ويوسف عليهم السلام، واضطرّ موسى عليه السلام إلى الهرب خوفًا من بطش الفراعنة[2]، قال تعالى: ﴿**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الشعراء:21].

وفي قصة موسى عليه السلام – كما ذكرها القرآن- الكثير من المحطات التي تُشير إلى السّتر والغيبة والاختفاء، فقد اضطرت أمه لإخفاء ولادته، ثم لمّا كبرُ فرّ من فرعون ومَلئِه، وغاب عن وطنه، ولم يعرف أحد مكانه حتى بعثه لله نبيًّا لبني اسرائيل، وهذا يُشبه – كما يرى الشيخ المفيد - قول الإمامية - " في التأكيد على اسْتتار صاحب الأمر(المهدي) وغيبته ومقامه رغم طول المُدة، فهذا أقرب إلى العقول والعادات ممّا أوردنا من الأخبار المذكورة في القرآن"[3].

وقد تميّزت قصّة سيدنا موسى عليه السلام [4]عن باقي قصص الأنبياء في القرآن بكونها الأكثر حكاية، وهذا الأمر يجعلنا نقف عندها كثيراً، ونتفكر في الحكمة من التفاصيل الواردة فيها،

1 - ينظر: المجلسي، البحار، ج13، ص 70.

2 - ينظر: الدخيل، الإمام المهدي من الولادة إلى الظهور، ص169.

3 - ينظر: المفيد، الفصول العشرة في الغيبة، الصفحات: 58 - 84 - 87.

4 - ذُكرت قصة موسى وبني إسرائيل في القرآن في سورة القصص بشكل مفصل، ولمن يريد الاطلاع أكثر، فليراجع: الفخر الرازي، التفسير الكبير: 227/24، والطبري، جامع البيان: 20 / 20 - 21، والطبري، تاريخ الامم والملوك: 385/1 - 434، والطبرسي، مجمع البيان: 240/4 - 241، وغيرها من التفاسير وكتب التاريخ.

ونتّخذ منها مثالا حيًّا نستظهر منه ما يتلائم مع قصص أئمتنا ﷺ. ففي مطلع سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[القصص:5]، نجد أنّ السيد الطباطبائي يرى أنّ الآية واضحة بوعده -سبحانه وتعالى- للمؤمنين بالنصر والغلبة والتمكين في الأرض ويجعلهم الوارثين، وهذا الوعد جاء في ثنايا قصة موسى ﷺ مع فرعون[1]، وقد وردت روايات تُؤكد أنّ المقصود في هذه الآية هم الأئمة ﷺ، من هذه الروايات:

1. ما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن المفضل بن عمر قال: «سمعتُ أبا عبدالله ﷺ يقول: انَّ رسول الله ﷺ نظر إلى عليٍّ والحسن والحسين ﷺ فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي، قال المفضَّل: فقلتُ له: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله : قال معناه انَّكم الأئمة بعدي، انَّ الله عزَّ وجلَّ يقول:﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾ فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة»[2].

2. ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن أبي الصادق قال: «قال لي عليٌّ ﷺ: هي لنا وفينا هذه الآية»[3].

3. ومنها: ما رواه الطوسي في الغَيبة بسنده «عن محمد بن الحسين عن أبيه علي بن الحسين ﷺ عن جدِّه عن عليٍّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾، قال هم آل محمد يبعث اللهُ مهديَّهم بعد جَهدهم فيُعزِّهم، ويُذلّ عدوهم»[4].

4. ومنها: ما رواه فُرات الكوفي في تفسيره بسنده «عن ثوير بن أبي فاختة قال: قال لي

1 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 16، ص 2.
2 - الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص79.
3 - النيسابوري، روضة الواعظين، ص 158.
4 - الطوسي، كتاب الغيبة، ص 184 .

عليٌّ بن الحسين عليه السلام أتقرأ القرآن؟ قال: قلتُ: نعم قال عليه السلام: فاقرأ طسم سورة موسى وفرعون، قال: فقرأت أربع آيات من أول السورة إلى قوله: ﴿**وَنجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾، قال لي: مكانك حسبك، والذي بعث محمدًا(ص) بالحق بشيراً ونذيرًا إنَّ الأبرار من أهل البيت وشيعتهم كمنزلة موسى وشيعته»[1].

5. ورواه الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، إلا انَّه قال: "إنَّ الأبرار من أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وانَّ عدوَّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه"[2].

6. ومنها: ما رواه الكليني في الكافي بسنده «عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبدالله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزَّ وجلَّ :﴿**وَنُرِيدُ أَن نّمُنّ عَلَى الّذِينَ استُضعِفُوا فى الأَرْضِ وَنجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾»[3].

وفي كتابه: (كمال الدين)، يروي الشيخ الصدوق بسنده عن سيد العابدين عن أبيه سيد الشهداء عن أبيه سيد الوصيين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّ يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع شيعته وأهل بيته وأخبرهم بشدة تنالهم، تُقتل فيها الرجال وتُشقّ بطون الحبالى، وتُذبح الأطفال، حتى يُظهر اللّه الحق في القائم من وُلد لاوي بن يعقوب وهو رجلٌ أسمر طويل[4].

فهنا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله، يروي لنا قصّة النبي يوسف عليه السلام، وهو يَعِدُ بني إسرائيل بظهور مُخلِّص لهم، في قَابِل الأيام، وهُم تحت وطأة وظُلم فرعون ومَلئه. وما أشبه هذا الذي حصل لبَني إسرائيل مع نبيِّهم وما سيحصل للمُنتظرين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وإمامهم، فقد جاء في الرواية الشريفة الواردة عن إمامنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: «في القائم منّا سُنّة من آدم وسُنّة من نوح، وسُنّة من إبراهيم، وسُنّة من موسى وسُنّة من عيسى، وسُنّة من أيوب، وسُنّة

1 - فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص 314، وينظر: الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص 173.
2 - الطبرسي، مجمع البيان، ج 7، ص 414.
3 - الطبرسي، مجمع البيان، ج 1، ص 306.
4 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 173.

من محمد(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)»[1].

وفي رواية أخرى، عن عبد الله بن سنـان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: في القائم عليه السلام سُنّة من موسى بـن عمران عليه السلام فقلت ما هي سُنّته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده وغيبته عن قومه، فقُلت: كم غاب موسى بن عمران عن أهله ؟ قال ثمانية وعشرين سنة»[2]. وكذلك، ورد عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر يقول: «في صاحب هذا الأمر أربع سُنـن من أربع أنبياء: سُنّة من موسى، وسُنّة من عيسى، وسُنّة من يُوسف، وسُنّة من محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، فأما سُنّته من موسى فخائف يترقب، وأما سنته من عيسى فيُقال فيه مثل ما قيل في عيسى بن مريم عليهما السلام، حيث يقولون أنه مات ولم يمت، وأما سُنّته من يوسف فالسجن والغَيبة، وأما سُنّته من محمد صلى الله عليه وآله، فالسيف - أي القيام بالسيف -»[3].

من خلال هذه الروايات يتّضح لنا أن هنـاك علاقة وثيقة وشَبه واضح بين موسى بن عمران عليه السلام وبين المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنّ للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سُنـن من موسى، حيث إنّ الكثير من الأحداث والوقائـع التي جرت مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ومرّت عليه وعلى قومه وأصحابه، فإنّها سوف تجري على القائـم من آل محمد صلى الله عليه وآله وعلى أصحابه، حذو النّعل بالنّعل، والقذة بالقذة، فقد عاش بنو إسرائيل الانتظار الذي يقول : "سوف يظهر من بينكم من يُقاوم السلطة، فينتصر ويفوز. وكان كلما مرَّ عليهم الزمن، اشتدوا انتظارًا، واستقربوا إنجاز الوعد الشيّق الحلو"[4].

بيد أنّ الانتظار طال عليهم، وهم قومٌ معروف عنهم العَجلة وقلّة الانتظار، فكادوا أنْ ينكصوا على الأعقاب، إلاّ أنّ الله أنجز لهم ما يعدون، فبرَدت قُلوبهم لفترة، واقْترب منهم نبيهم، وحاولوا أن يكون لهم عونًا ضدّ فرعون وأتباعه، فأساء بنو إسرائيل استعمال هذا التقرب، وحاولوا استغلال هذا الأمر، وأوقعوا نبيهم في دوامة الطلب، بعد قتله للقبطي وفضحوا أمره، ممّا اضطره للخروج من مصر والعيش في حالة من الغربة وانتظار الأمر الإلهي بالبعثة والتكليف.

1 - الطوسي، غيبة الطوسي، ص 60.
2 - الأمين، موسوعة أعيان الشيعة، ج، 2ص 58.
3 - الأصفهاني، مكيال المكارم، ج 1، ص 77.
4 - المدرسي، مع الرُّسل، ص78.

وقد طال أمر البعثة إلى حين عودة النبي موسى عليه السلام من أرض مدين، ومُروره بجبل سيناء، وهنا يأتي أمر الله : ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[طه: 43]، ويحصل ما يحصل بين موسى عليه السلام وفرعون، وقصة إيمان السحرة وخروج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من مصر.

ورغم كل ما فعله موسى عليه السلام معهم، وما رأوا من معجزاته، فبمُجرد أن غابهم عنهم أربعين ليلة، حتى عادوا إلى سيرتهم الأولى وعبدوا العجل، وتألّبوا على أخيه وخليفته فيهم، وكأنّ شيئًا لم يكن. هذا ما قدّمه البحث من قصة موسى عليه السلام مع قومه، لتكون لنا عبرة ومثلا نحتدي به، كي نأخذ الدروس منها، ونستلهم العِبر ونعيش الانتظار ونلتمس فوائده، وألاّ نفعل بإمامنا ما فعله بنو إسرائيل بنبيِّهم سابقًا.

رابعًا: عِلل الغَيبة وفوائد الانتظار

إنّ كل فرض يفرضه الله سبحانه على الإنسان، لا بدّ له من علّة ينتفع بها هذا العبد، ومكاسب تصبُّ في النهاية في مصلحته وتكون له منارًا، وتعود عليه بمنافع، يعلم بعضها ويجهل البعض الآخر.

لذلك، من الواجب علينا أن نبحث عن هذه العِلل حتّى يستعين بها العبد على نفسه، ومن هذه العِلل، العِلّة أو الحكمة من غيبة الإمام المنتظر، الذي أخّره الله -سبحانه- إلى آخر الزمان، فلو أمعنّا النّظر فيها، لخرجنا منها بمجموعة من العِلل، نذكر منها:

1. عند سؤال الشيخ المفيد(ت413هـ) عن علّة غيبة الإمام والمنفعة من معرفته وعدم الانتفاع به، أجاب إنّ "معرفتنا بوجوده وإمامته وعصمته وكماله نفع لنا في اكتساب الثواب، وانتظارنا لظهوره، عبادة نستدفع بها عظيم العِقاب، ونُؤدّي بها فرضًا ألزمناهُ ربُّنا المالك للرقاب" [5]. كما يعتقد أنّ استتاره عن الناس، ليس بأمرٍ خارج عن العُرف،

5 - المفيد، الرسالة الأولى في الغيبة، ص 13.

ولا مخالفًا للعادات، بل هذه سُنّة من سُنن الله التي أجراها على الأقوام السابقين[1].

2. يذهب السيّد المرتضى (ت436هـ) أنه "لا يجب علينا بيان السبب في غيبته على التعيين، بل يكفي في العِلم بحُسن الغَيبة منه، علمنا بعصمته، وأنه ممن لا يفعل قبيحًا، ولا يترك واجبًا" [2]، ويسرد مجموعة من العِلل التي يُستفاد منها في غَيبة الإمام أهمها:
   - استلهام الأولياء من وُجود الإمام ولو في غَيبته.
   - الغَيبة لا تمنع الإمام من التأثير والعمل.
   - لا فرق في الاستلهام من وُجود الأئمة بين الغَيبة والحضور.
   - ظُهوره لأوليائه ليس بواجب.
   - إمكان استخلاف الإمام لغيره في الغَيبة والظُّهور.

وبالتّالي، فهو يرى أنّ "العِلة في استتار الإمام في غَيبته عن أوليائه غير العِلّة في استتاره من أعدائه، وهي خوفه من الظهور لهم، لئلاّ ينشروا خبره ويجروا ذكره، فيسمع به الأعداء ويظهروا عليه، فيؤُول الأمر إلى الغاية الموجبة للاستتار من أعدائه" [3].

3. أما العِلّة في غَيبة الإمام واحتجابه عن الناس، عند الشيخ الطوسي (ت460هـ)، فهي تنحصر في خوفه على نفسه من القتل ويُعلِّل هذا بقوله: "لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمّل المشاق والأذى، فإنّ منازل الأئمةعليهم السلام، إنما تَعْظُم لتحمُّلهم المشاق العظيمة في ذات الله -تعالى-"[4].

4. يرى الخواجة نصير الدين الطوسي (ت 672هـ)، أنّ سبب أو علة حرمان الخلق من حضور إمام الزمانعجل الله فرجه الشريف هو: "ليس من الله -تعالى-، لأنه يُخالف مقتضى حكمته، ولا

1 - ينظر : المفيد، الفصول العشرة في الغيبة، 53.
2 - المرتضى، المُقنعُ في الغيبة، 135.
3 - المرتضى، المقنع في الغيبة، ص 158.
4 - الطوسي، كتاب الغيبة، ص 329.

من الإمام لثبوت عصمته، فيكون من رعيته، وما لم يُزل سبب الغيبة لم يظهر، والحُجة بعد إزالة العلّة وكشف الحقيقة لله تعالى على الخلق والاستعباد في طول عُمره بعد ثبوت إمكانه ووُقوعه في غيره جهل محض"[1]، يُعلّق الخواجة هنا، علّة الغَيبة في رِقاب الناس، فهُم عنده سبب استتار الإمام واحتجابه عن أنصاره ومُحبّيه، فهُم يتحمّلون المسؤولية عن غيبته، وبيدهم تعجيل ظهوره.

5. يذهب السيد الشهرستاني إلى أنّ الفلسفة من غيبته هي "من الحوادث التي تكون بتدبير من الله عزّ وجل وإنشائه، فلا بدّ أن تكون جارية على وفق المصلحة والحكمة، سواء أدركنا تلك الحكمة أم لا، عرفنا ذلك السّبب أو جهلناه"[2]، ويحتمل السيد القزويني أن يكون سبب الغَيبة هو أحد أمرين هما:

- إما خوفًا من أعدائه ومُعانديه الذين يتربّصون به، فالتجأ إلى الغَيبة والاستتار.
- أو أنّ هذا الأمر هو اختبارًا للناس، والذي هو من سُنن الله في الأرض، فقد امتحنت أُمم سابقة بغَيبة أنبيائهم، فتكون غيبة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على نحو تلك الامتحانات، لتُبيّن الرُّشد من الغي، وتمُيّز المؤمن من المُنافق، فهذه الغَيبة من أعظم الامتحانات لشيعته وللمسلمين[3].

6. ويرى الشيخ بشير النجفي، أنّ الانتظار هو واجب بحُكم العقل والشرع، فمن جانب العقل فالتوقع والانتظار لدولة الحقّ، يُحتّم علينا الانتظار والعمل، أما الجانب الشرعي فقد جاء في روايات تكاد تصل حدّ التواتر، وهذا ما يجعل الأمر حتمًا على المُتعبّد، كما وأنّ الانتظار لشيءٌ مهم يدفع الإنسان للتهيؤ والإعداد والاستعداد، لما يتوقّعه وينتظره لغرض إقامة دولة الحق على أنقاض الظلم والفساد والجور، فالانتظار يشتمل على عمل للصالحين، وتحذير للظالمين وبثٍّ روح التضحية والفداء للمُخلصين، والدعوة

1 - نصير الدين الطوسي، فصول الخواجة الطوسي، نقله محمد رضا حكيمي في كتابه "الإمام المهدي في كتب الأُمم السابقة وعند المسلمين"، ص. ص. 203-204.

2 - الشهرستاني، المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه، ص. ص. 27-28.

3 - الشهرستاني، ص 29 وما بعدها.

إلى الحقّ للضالين والهداية للمنحرفين وإلزام المُخلصين بالإعداد والاستعداد لذلك اليوم العظيم[1].

7. فيما يذهب السيد علي السبزواري[2] إلى أنّ الانتظار له أثرٌ في النفوس يُخرجها من الإحباط ويبعث فيها الأمل، فهو عملية تربوية هادفة، يحصل فيها ترابط بين المؤمنين والمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالانتظار ليس مجرد طقوس، بل عمل ورؤية وتربية وموقف، يتّخذه المؤمن ليكون مُستعدًا لتلقّي الفيض الإلهي بظهوره الشريف[3].

8. يُسمِّي السيد منير الخباز[4] عِلل الغَيبة بالآثار الروحية المترتبة عليها، ويحدّدها في نقاط ثلاثة نجملها بالآتي:
   - إنّ شعور الأمة بالتقصير يدفع لإعداد الأرضية لخروج الإمام.
   - الاستعداد للقاء الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.
   - تقوية العلاقة القلبية بيننا وبين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف[5].

9. يُجيب أحد الباحثين عن فائدة الانتفاع بالإمام وهو غائب مُتوارٍ عن الأنظار وما فلسفة هذه الغَيبة للمنتظرين، بأن هذه الأمر يجعل الانسان المنتظر يبتعد عن الظُّلم والجَوْر، ويجب أن يكون على حالة من الاستقامة خوفًا من قيام القائم في أيّ لحظة، فيكون المؤمن من أنصاره. كذلك يجب أن يكون المُؤمن بالانتظار، في حالة طوارئ دائمة، ومتهيأ للانضمام لجيش الإمام. وكذلك، فهذه الغيبة تُحفّز المؤمن للنهوض بمسؤولياته، خاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمة التي تعيش

1 - ينظر: مجلة الانتظار، موضوع بعنوان : لماذا الانتظار؟ لقاء مع المرجع الديني الشيخ بشير النجفي (حفظه الله).

2 - هو حجة الاسلام والمسلمين السيد علي السبزواري، نجل المرجع الراحل السيد عبد الأعلى السبزواري.

3 - (53) ينظر : مجلة الانتظار، لقاء مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد علي السبزواري (حفظه الله).

4 - حُجة الإسلام والمسلمين باحث في الحوزة الدينية في النجف الأشرف.

5 - ينظر: مجلة الانتظار، موضوع بعنوان : الغيبة وانسجامها مع الغرض الإلهي والآثار المترتبة عليها، السيد منير الخباز.

حالة الاعتقاد بالمهدي الحي الموجود، تبقى تعيش حالة من الشعور والعزة والكرامة، ولا تنحني لغير الله مهما تجبّر الطُّغاة[1].

10. يذهب باحث آخر، إلى أنّ فلسفة الغَيبة تكمن في تهيئة "الظروف والشروط المناسبة لعملية النُّضوج والتكامل العقلي والإيماني، وبالتالي، بناء الأمة الصالحة المخلصة التي سوف تكون البذرة في تغيير مسيرة البشرية إلى مستوى أرقى مما كانت عليه، ومتى ما تحقّقت هذه الشروط سوف يتحقّق الظهور المبارك بإذن الله تعالى"[2]. فهنا نجد أنّ هذا الباحث يربط عِلّة الغَيبة بعلّة بناء الإنسان الكامل، الذي أراد الله – سبحانه - له أن يسعى لبناء ذاته وتربيتها وتنشئتها، حتى تتحمل أعباء التكاليف التي أوكلت لها ساعة نزولها الى الأرض.

يبقى هناك فوائد كثيرة من الغَيبة، ذكرها البحث أو لم يذكرها عرفها الانسان وتوصّل اليها أم لا، إلا أنّ البحث يكتفي بهذا القدر منها، تجنبًا للإطالة والملل، ليبقى الموضوع شيِّقًا للقارىء سهلا عليه، يأخذ منه ما يرغب فيه، ويُمتّع النظر بالتطلُّع فيه، عسى الله أن يُوفقنا فيما نرغب إليه ونصبوا.

الخاتمة

اعتاد الباحثون أن يضعوا خلاصة أفكارهم وعصارة نتاجهم في خاتمة أعمالهم، وهذا ما ستُحاول الدراسة السَّير عليه، وعدم الخروج عنه، فقد قامت الدراسة في المطالب المتقدمة، ببيان عقيدة الغَيبة وتشكُّلاتها في الفكر الديني القديم والحديث، وكذلك في الفكر الإسلامي، وقد وجدْتُ أنّ المذهب الامامي الاثنا عشري هو الأكثر وضوحًا وتمييزًا لهذا المُعتقد. وقد

1 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص 186 وما بعدها.
2 - هاشم، النظرية المهدوية: دراسة في واقعها العقلي والروائي، ص 319.

أصبحت عقيدة الغَيبة من مرتكزاته الأساسية، إلا أنّ العنوان الذي اختطته الدراسة لنفسها يلزمها بمقاربة فكرة الغَيبة، أو بصورة أوضح عقيدة الغَيبة وعِلَلها وفلسفتها مع قصة النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي كانت مشابهة ومقاربة إلى حدٍّ كبير لغَيبة الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف عند الشيعة الإمامية، رغم أنّ هذا التشابه والتقارب قد فرض مجموعة من العِلل تنسحب عليها فلسفات خاصة تفرض نفسها ووجودها وترتبط مع هذه العِلل.

وعند التأمل في العِلّة الأساسية من الغَيبة، والتي يذهب إليها أغلب من تعرّض لهذه العقيدة، فهي: "حمايةُ شخص المعصوم من القتل أو الأذى"، وسنجد أنّ الفلسفة التي وراء هذه العِلّة أو الغَيبة التي فُرضت على المعصوم، سواء كانت طويلة أم قصيرة فإنّنا سنجدها لحماية شخص المعصوم وإطالة عمره الشريف، لغرض الإفادة من مجهوداته وإطالة بقائه بين الناس، أو لحفظه للظهور في زمان مُعيّن ومكان مُحدّد. ويبدو للدراسة أن هذه العلة هي العلة الأساسية للغَيبة، وباقي العِلل التي افترضها الدارسون، تنجرُّ خَلْف هذه العلة وتنساق معها، وهذا ما حصل فعلا لموسى عليه السلام مع بني إسرائيل، وما يحصل لإمامنا الغائب عجل الله فرجه الشريف.

ومن العلل الأخرى للغيبة، "اختبار المُنتظرين وتمحيصهم حتى يتبيَّن المؤمن من المنافق، والبر من الفاجر"، فهذه العِلة تخص المنتظرين، ولا تخصُّ المعصوم بوجه التحديد، وعند مُقاربة هذه العِلّة مع قصة بني إسرائيل والتأمل في فلسفتها، فإنّنا سنجد أن هناك بونًا شاسعًا بين طبيعة المنتظرين والنتائج التي خرجت بها هذه العِلّة، فبني إسرائيل بمجرد أن غاب عنهم نبيَّهم أربعين ليلة انحرفوا وعبدوا العجل من دون الله، قال -تعالى-: ﴿**إِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**﴾[البقرة: 51]، بينما نجد أتباع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قد تحمَّلوا شتّى أنواع العذاب والألم، ومضت عليهم دهور طويلة وهم ينتظرونه، وقد تحمّلوا جَوْر الحكام والطواغيت، الذين أرادوا حرفهم عن هدفهم الأسمى، فما كان من المنتظرين إلا أن ثبتوا أمام هذا الظلم، حتى كانوا مصداقًا لقوله -تعالى-:﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[آل عمران: 110]. ولكن يشاء الله أن يطول انتظارهم فيزيد في عُمر قائم آل محمد عليه السلام حتى تملأ الأرض ظلمًا وجَوْرًا، ويتحقّق له بعد ذلك وعلى يديه دولة العدل الإلهي التي يملؤُها قسطًا وعدلا.

كما وأنّ من العِلل الأخرى التي وجدتها الدراسة للغيبة، "الوكالة أو التفويض" فإنّ النّبي موسى عليه السلام عندما ذهب لميقات ربه، لم يترك بني إسرائيل اعتباطًا، إنمّا فوّض أمرهم إلى أخيه (هارون)، وقد كان هارون نبيًّا أيضًا، اعتمد عليه موسى عليه السلام في رعاية قومه وتوجيههم في غيبته عنهم، إلا أنهم خالفوا نبيهم واتّبعوا أرذلهم، وعصوا أمر نبيهم وخليفته فيهم. وأمر الوكالة أو التفويض نجده أيضًا عند إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي لم يترك شيعته هكذا دون مُرشد أو مُوجّه لهم، فقد صدر توقيع شريف له من الناحية المُقدسة، نقله السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (ت304 أو 305هـ)، ينصُّ على الرجوع إلى العلماء الثقات من شيعته وهذا نصه: "وأمّا الحوادثُ الواقعةُ، فارجعُوا فيهَا إلى رُواةِ حديثِنَا ، فإنّهُم حُجّتِي عليكُم وأنا حُجّةُ الله"[1]. وأمَّا المقصودُ برُواةِ الحديثِ الواردِ ذكرُهُم في مَتنِ الحديثِ، فهمِ العُلماءِ والفُقهاءِ الذينَ يَستنبطونَ الأحكامَ مِن أحاديثِهم(عليهم السلام)، وليسَ مُطلقَ الرّواةِ ، قالَ المُحقّقُ النّراقيُّ في "مُستند الشّيعة" : "الظّاهرُ المُتبادَرُ منهُ: الرّاوي للحديثِ، المُستنبِطُ المُستخرِجُ منهُ الأحكامَ على الطّريقِ الذي ارتضاهُ الشّارعُ وأمرَ بهِ، لا مُطلقاً"[2].

ناهيك عن العِلل "التربوية والنفسية والأخلاقية" الأخرى التي حملتها الغيبة في طيّاتها، والتي تقود الإنسان إلى التكامل الذاتي، وعودًا على ذي بدء، وبالنظر إلى العِلل السابقة ومقاربتها مع ما حصل مع بني إسرائيل، فقد آتى الانتظار ثماره عند المسلمين، وحقّق أهدافه المرجوة رغم طول الانتظار، فقد استلهموا الدروس والعبر منه، وساروا على المنهج الذي اختطه لهم إمام زمانهم عجل الله تعالى فرجه الشريف، من حيث اتّباع نُوابه في زمان غيبته، حتى يحقق الله مراده وغايته التي لم ينكشف منها إلا الشيء القليل، عسى الله أن يمُتّع أنظارنا بطلعة إمام زماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأن نكون في ركبه ومن أعوانه وأنصاره والمستشهدين بين يديه، قال -تعالى-: ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾[المعارج: 5-6-7] ، والحمد لله ربِّ العالمين.

1 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج4، ص 483، والطبرسي، الاحتجاج، ج 2 ص. ص.281 - 284، والحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 27، ص 140.

2 - النراقي، مُستندُ الشّيعةِ، ج17، ص25.

المصادر والمراجع

■ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر(ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 - 1420هـ - 1999م.

■ أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى(ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د . ت).

■ أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف(745هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 1413هـ ـ 1993م.

■ الأصفهاني، محمد تقي الموسوي، مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم (عج)، قم المقدسة: مؤسسة الامام المهدي (عج)، قم المقدسة، ط-1 1422هـ .

■ الأمين، السيد محسن، موسوعة أعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط- 1403هـ - 1983م.

■ البغوي، محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، بيروت: دار ابن حزم، ط1 - 1423هـ - 2002م.

■ جولدتسيهر، إيجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقّدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ترجمة محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، القاهرة: المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط- 2013م.

■ الحر العاملي، محمد بن الحسن (1104هـ)، تفصيل وسائل الشيعة، قم المشرفة: تحقيق

ونشر مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط2 - 1414هـ.

■ حسن، سعد محمد، المهدية في الاسلام (منذ أقدم العصور حتى اليوم دراسة في التاريخ العقدي والسياسي والأدبي)، مصر: دار الكتاب العربي، مصر، ط1 - 1373هـ - 1953م.

■ حكيمي، محمد رضا، الإمام المهدي في كتب الأُمم السابقة وعند المسلمين، ترجمة حيدر آل حيدر، بيروت: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 - 1423هـ - 2003م.

■ الدخيل، علي محمد علي، الإمام المهدي من الولادة إلى الظهور، بيروت: دار المرتضى، ط1 - 1422هـ - 2002م.

■ الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري فخر الدين(ت606هـ)، التفسير الكبير، بيروت: دار الفكر، ط1 - 1401هـ - 1981م.

■ الزمخشري، أبي القاسم جار الله(538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ط3 - 1430هـ - 2010م.

■ زين الدين، محمد أمين، مع الدكتور احمد أمين في حديث المهدي والمهدوية، بيروت: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط- 1413هـ - 1992م.

■ سيساوي، نبيل، نبوّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدراسات الحداثية للدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر – باتنة/1، كلية العلوم الإسلامية – قسم أصول الدين، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، لسنة 1440هـ - 2019م.

■ الشهرستاني، السيد عبد الرضا، المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه، (دون دار نشر)، ط- 1398هـ.

■ الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط- 1397هـ - 1977م.

■ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر غفاري، قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي، ط5 - 1429هـ.

■ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(381هـ)، معاني الأخبار، عُنيَّ بتصحيحه علي اكبر الغفاري، بيروت: دار المعرفة، ط- 1399هـ - 1979م.

■ طالب الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي(ت558هـ)، الاحتجاج، قم المشرفة: انتشارات الشريف الرضي، ط1 - 1380هـ .

■ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم المشرفة: مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، ط1 - 1430هـ - 2009م.

■ الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن(ت548هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، بيروت: دار المعرفة، ط2 - 1408هـ - 1988م.

■ الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن(ت548هـ)، مشكاة الأنوار، قُم المشرفة: دار الكتب الاسلامية، ط2 - 1385هـ - 1965م.

■ الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1 - 1422هـ - 2001م.

■ الطغرائي، ديوان الطغرائي، تحقيق علي جواد طاهر ويحيى الجبوري، الدوحة: مطابع الدوحة الحديثة، ط2 - 1406هـ - 1986م.

■ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(460هـ)، كتاب الغَيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، قم المشرفة: مؤسسة المعارف الاسلامية، ايران – قم، ط3 - 1425هـ.

■ الطوسي، نصير الدين (672هـ)، فصول الخواجة الطوسي، تحقيق حميد الخالصي، مطبعة

المعارف، ط- 1960م.

■ العاملي، جعفر مرتضى، براءة آدم حقيقة قرآنية، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات، ط3 - 1436هـ - 2015م .

■ العميدي، ثامر هاشم، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ط/2، ستارة- قُم المشرفة: مركز الرسالة، ط2 - 1425هـ.

■ فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، طهران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط2 - 1416هـ - 1995م.

■ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر(671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 - 1427هـ - 2006م.

■ المجلسي، محمد باقر(ت1111هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، (د . ط)، قم المقدسة: نور وحي، ط- 1388هـ ش – 1430هـ ق.

■ المدرسي، السيد محمد تقي، مع الرُّسل، بيروت: دار طريق الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط3 - 1444هـ - 2023م.

■ المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين(ت436هـ)، المُقنعُ في الغَيبة، تحقيق محمد علي الحكيم، بيروت: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، ط- 1419هـ - 1998م.

■ المرعشي النجفي، آية الله العظمى السيد شهاب الدين، مُلحقات إحقاق الحق، ط/1، قم المقدسة: مطبعة حافظ، ط1 - 1415هـ.

■ المفيد، محمد بن علي بن النعمان(413هـ)، الرسالة الأولى في الغَيبة، تحقيق علاء آل جعفر، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط1 - 1413هـ.

■ المفيد، محمد بن علي بن النعمان(413هـ)، الفصول العشرة في الغَيبة، تحقيق الشيخ فارس الحسون، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط1 - 1413هـ.

■ النراقي، أحمد بن محمد مهدي(1245هـ)، مُستندُ الشّيعةِ في أحكام الشريعة، بيروت: تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، ط1 - 1429هـ - 2008م.

■ النيسابوري، أبو علي محمد بن الفتال(508هـ)، روضة الواعظين، قم المقدسة: انتشارات الشريف المرتضى، ط-1 1368هـ.

■ هاشم، يحيى عبد الحسن، النظرية المهدوية (دراسة في واقعها العقلي والروائي)، كربلاء-العراق: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث الفكرية، ط1 - 2023م.

■ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت807هـ)، موارد الظمآن الى زوائد ابن حبّان، تحقيق حسين سليم أسد وعبده علي الكوشك، دمشق: دار الثقافة العربية، ط1-1411هـ - 1990م.

المجلات والدوريات

■ مجلة الانتظار، العدد الأول – جمادى الأولى /1426هـ .

■ مجلة الانتظار، العدد الرابع عشر – رجب /1429هـ.

■ مجلة الفكر الإسلامي، العددان (18-19) السنة الخامسة – ربيع الثاني – رمضان 1418هـ.

فلسفةُ الابْتلاء في المشروع المَهدوي

رؤيةٌ قرآنية حديثيّة

◆ محمد عبد الحسين الخالدي[1]

■ **خلاصة**

تُعتبر سُنّة الابتلاء من السُّنن المهمة والفاعلة في الساحة التاريخية لبناء المجتمعات، وقد حاول البحث تسليط الضوء على تأثيرها وفاعليتها في بيان الغايات التي تسعى لتحقيقها في إطار المشروع المهدوي.

وذلك من خلال دراسة تحليلية للآيات والروايات المتعلقة بالقضية المهدوية، وقد انتهى البحث إلى نتائج مهمة، ترجع إلى بيان أبعاد المشروع المهدوي، ومدى ارتباطها بالحركة التمحيصيّة للابتلاء في المجتمع الإنساني، منذ الأنبياء السابقين وحتى عصرنا الراهن.

الكلمات المفتاحية: الابتلاء - المشروع المهدوي - القراءة القرآنية - القراءة الحديثية - السُّنن التاريخية..

1 - دكتوراه في الفقه والمعارف الإسلامية- أستاذ في الحوزة العلمية وجامعة المصطفى العالمية- إيران

المقدمة

يُعتبر المشروع المهدوي من المشاريع التي بشَّرت بها الديانات السابقة، مُنذ أقدم تجمع على وجه الأرض. وقد تنوّعت البيانات لهذا المشروع الإلهي، وبيان القائد الموعود والمُنقذ الذي تتمحور حوله حركة التاريخ وغاياتها، ويُمثّل المشروع المهدوي لدى المدرسة الإمامية المحور الأساسي في بحث الإمامة، التي تدور حوله رحى السُّنن التاريخية جميعًا، وتُحاول الوصول الى غاياته، وقد صار للابتلاء في تحقيق هذه الغايات وتحريك المجتمع الإنساني نحوها المحرك الأساسي في تحقيق الغايات، من خلال الاقتراب إلى المثل الأعلى المُتمثّل بالحقّ تبارك وتعالى، والمُتجسِّد في وراثة الصالحين للأرض وعمارتها..

وفي هذا البحث، سنُحاول التركيز على بيان تلك السُّنن، والنظرة القرآنية والحديثية لفلسفة الابتلاء وغاياته في هذا المشروع المهدوي الإلهي.

أوَّلا: بحوث تمهيدية

1 - الابتلاء: مفهومه، فلسفته وغاياته وأنواعه ومراتبه

أ- مفهوم الابتلاء

يُعتبر الابتلاء من السُّنن الإلهية المؤكدة، ومن القوانين الحاكمة في الحياة الدّنيا، وقد أكد القرآن الكريم على وجود هذه السُّنة الإلهية في الخلق، بل جُعلت غاية لخلق الأرض وزينتها وموت الإنسان وحياته قال تعالى:﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الكهف:7]، وفي آية أخرى يقول عز من قائل: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ**﴾[الملك:2]. كما ورد عن العترة الطاهرة أخبار نُورانية

كثيرة لبيان سُنّة الابتلاء في الحياة الدنيا، فعن أمير المؤمنين(عليه السلام)، في مكاتبته معاوية قال: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، ولَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ولاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَي بِهَا"[1].

وقد عُبِّر عن سُنّة الابتلاء بعدة تعبيرات في القرآن الكريم، فعُبِّر عنها بالابتلاء والتمحيص كما في قوله تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ**﴾[آل عمران:154]، وعبّر عنها بالافتتان كما في قوله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[العنكبوت:2]. وعبّر عنه أيضًا بالامتحان كما في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[الحجرات:3]. وإنّما اختلفت التعبيرات مع أنّ السّنة واحدة، من جهة اختلاف الموضوع الذي يبتلي الله به عباده، والغاية التي يقع من أجلها الابتلاء. والابتلاء أعمّ من البَلاء، فـ" الابتلاء يكون في الخير والشّر معًا من غير فرق بين فعليهما"[2]، ومنه قوله تعالى ﴿**وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[الأنبياء:35].

والابتلاء لغة، إما من بَلو أو بَلي، وهو " أصلان أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوعٌ من الاختبار"[3] ، والمُراد في المقام، هو المعنى الثاني، وإن كان المعنى الأول من لوازمه.

ب- فلسفة الابتلاء وأهدافه

من الواضح أنّ الابتلاء إنما يجري على العباد لتحصيل العلم والكشف عن الحقائق المجهولة، ولكن حيث إنّ الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم الغيب و﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾[آل عمران:5]، فلماذا يبتلي الله تعالى الناس جميعًا بالسّراء والضّراء كما أخبر في كتابه حيث قال سبحانه: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ**

1 - الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب 55، ص446.
2 - أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص12.
3 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: بلو، ج1، ص292.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[البقرة:214]؟. نقول: إنّ الابتلاء لشخص ما يتضمن أمرين أساسيين "أحدهما تعرّف حاله والوقوف على أمره، والثاني ظهور جودته ورداءته"[1]، أما تعرّفُ حاله، فيتمِّم الحُجة عليه يوم القيامة ويُوقفه على قدراته في الدنيا، وأمّا الثاني فالغرض منه - إضافة لتتميم الاحتجاج- فيُمكن أن يكون إبرازاً لما تستدعيه الذوات باختيارها من الخير والشر، حتى لا يبقى مجال لأحد أن يقول: لِمَ جعل عليًّا إمام المتقين، وجعل معاوية ويزيد من أئمة الضلال والانحراف؟!

فكما أنّ بعث الرُّسل يُحفّز الطاقات الخيّرة والشّريرة في الإنسان إلى منصة الظهور، ويُوجب فصل أهل الحقّ عن الباطل، فكذلك البلاء يُميّز الخبيث من الطيب، والصادق من المُدّعي الكاذب. وللبلاء غايات نذكر أهمّها والتي ترجع جميعها إلى الأمرين المذكورين سابقاً:

1. اختبار العبد: من أهم الغايات التي تستهدفها سُنّة البلاء، جعل العبد في محكّ الاختبار والامتحان، حتى يُبيّن قيمته ومعدنه الموجب لمقامه الأخروي، فالبلاء يعكس ذلك المعدن ويبرزه إلى العلن، بعد أن كان مختفيًّا وراء الشخصية الظاهرية للإنسان، قال تعالى:﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾[الملك:2].

2. تنمية الطاقات: إنّ الابتلاءات الدنيوية تجعل الإنسان على المِحكّ الذي يجبره على تنمية الطاقات وتفجير الخبرات التي يمتلكها، إذ استعدادات الإنسان لا يُمكن أن تظهر في مرحلة التحقُّق والفعلية، إلا من خلال الوسائل الضاغطة عليه، لتفعيل فكره وتحويل استعداداته إلى حيِّز التحقق والفعلية، وهذا إنما يتمّ بسبب البلاءات التي تتعرض لها البشرية.

3. البلاء سبب انقطاع المؤمن إلى الله: يُعتبر البلاء من أهم الأسباب المؤدية للانقطاع إلى الله تعالى واليأس من الأسباب، فالمؤمن قد يبقى على مقام واحد نتيجة لسير الأسباب

1 - الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص145.

الطبيعية على ما يُناسبه، فيأتيه البلاء حتّى يقطعه عن كلِّ ما سوى الله، ليصفو إيمانه، كما في الحُروب وشدّة البأس على المؤمنين، قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيب**﴾[البقرة:241].

4. البلاء تمييز للصُّفوف: يُعتبر البلاء من أهم الطرق، - على المستوى الاجتماعي - لتمييز المؤمن من المنافق، والصالح من الطالح، والصادق من المُدّعي الكاذب وغيرهم، فالصالح يظهر عادة صلاحه في البلاء، بينما الإنسان الطالح يسقط في الاختبار، كما أنّ المؤمن يمُحَّص إيمانه بصُعوبة البلاءات ويظهر نفاق المنافق فيها، وهكذا الصادق يظهر صدقه في تلك البلاءات، والكاذب يتميّز في أيّ مجتمع ويُعرف كذب ادعاءاته، ولهذا تجد القرآن يركز على سُنّة البلاء لتمييز الصفوف قال تعالى:﴿**مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ**﴾[ال عمران:179].

5. البلاءُ سببٌ للتّوبة والرّجوع إلى الله تعالى: النّاس عادة يدفعهم الرخاء والدّعة إلى الابتعاد عن الله تعالى، بل الأمم السابقة لم يكن متابعتهم لأهل الكفر إلا نتيجة الدّعة والراحة والتلهي بالعيش الدنيوي والمعاصي، فيأتيهم البلاء بالبأساء والضراء كي يتضرّعوا إلى ربّهم ويرجعوا إليه قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾[الأعراف:94].

6. البلاء سببٌ للاستدراج: فالحقّ سبحانه وتعالى عندما يرى الكفار يتمادون في كفرهم وغيِّهم وظلمهم واستضعافهم للمؤمنين، يستدرجهم ببلاء النعمة ووُفورها والقوة وعظمتها، فيأخذهم حينما يكونوا غالبين على أمرهم بحسب الظاهر، وقادرين على غيرهم بحسب أسباب التمكُّن الظاهري، قال تعالى: ﴿**وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا**﴾[الإسراء:16]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فَقَدْ أَمْهَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَدَّادَ بْنَ عَادٍ وَثَمُودَ بْنَ عَبُّودٍ وَبَلْعَمَ بْنَ بَاعُورٍ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَأَمَدَّهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَعْمَارِ وَأَتَتْهُمُ الْأَرْضُ

بِبَرَكَاتِهَا لِيَذَّكَّرُوا آلاَءَ اللَّهِ وَلِيَعْرِفُوا الْإِهَابَةَ لَهُ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَلِيَنْتَهُوا عَنِ الاسْتِكْبَارِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْمُدَّةَ وَاسْتَتَمُّوا الْأُكْلَةَ، أَخَذَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاصْطَلَمَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ حُصِبَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْرَقَتْهُ الظُّلَّةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْدَتْهُ الرَّجْفَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَرْدَتْهُ الْخَسْفَةُ، فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً، فَإِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، لَوْ كُشِفَ لَكَ عَمَّا هَوَى إِلَيْهِ الظَّالِمُونَ وَآلَ إِلَيْهِ الْأَخْسَرُونَ، لَهَرَبْتَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ وَإِلَيْهِ صَائِرُونَ»[1]

ولابدّ من العِلم أنّ جميع هذه الأسباب جارية في السُّنة الإلهية للقضية المهدوية، سواء في سنوات انتظاره الطويلة، أم في عصر ظهوره وحكومته العادلة، فالمؤمنون به لابدّ أن يُمحّصوا بالبلاءات حتى ينجحوا في الاختبار، وتُنمّى طاقاتهم وينقطعوا إلى ربّهم ويتعمق إيمانهم بالمشروع الإلهي، وصدق الوعد فيه، بوراثة الصالحين الأرض قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[الأنبياء:105]. وقد ورد في ذيل تفسيرها عن أبي جعفر عليه السلام قال: «هُم أصحاب المهدي عجل الله فرجه الشريف في آخر الزمان».

ت- أنواعُ البلاء

يُمكن تقسيم البلاء إلى عدّة أنواع، وبعدّة اعتبارات، فمن حيث المُتعلق، يُمكن أن يكون البلاء في المال أو الجسد أو الولد والزوجة، كما في البلاءات التي تعرض لها أيوب عليه السلام، وخرج منها جميعها مرفوع الرأس، فمدحه الله تعالى قائلا: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾[سورة ص:44]. وقد يُقسّم البلاء بلحاظ كونه بلاء الشدّة والرخاء، وفي النِّعم والنِّقم كما في ابتلاءات بني إسرائيل، حيث يُحدثنا الله تعالى عن ابتلائهم تارة بالنِّعم وتارة بالتّيه والعذاب والحرب، وكابتلاء صاحب الجنَّة الذي قال لصاحبه وهو معجب بجنته ﴿**قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً**﴾[الكهف:35]، فابتلاه الله تعالى فيما رزقه من المال والجنتين، ليريه قدرة الله تعالى على إهلاكها ليرجع عن غيّه، فلما رآها خاوية على عروشها قال: ﴿**يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا**﴾[الكهف: 42] ، وقد يُقسَّم بلحاظ الجهة المُمحصة في البلاء، كقوة عقيدة

1 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، ج8، ص30.

الإنسان وطاعته وتسليمه، كما في قصّة إبراهيم(عليه السلام) بأمره بذبح ولده إسماعيل، أو ابتلاء يونس بإلقائه في بطن الحوت، وغيرها من جهات البلاء، التي يُمكن تقسيمها على أساسه. ولكن يُمكن تقسيم الجميع باعتبار عام، فيُقال البلاء والابتلاء على خمسة أنواع:

1. الابتلاء بالطاعة: وهو الابتلاء بطاعة الله تعالى وطاعة الإمام المفترض علينا طاعته من قبل الله تعالى، في أوامره ونواهيه، والصبر على ما لا يُدرك العبد ما فيه من وجه المصلحة والحكمة والتسليم فيه، وعدم الشّك في ذلك، وقد بيّن الله تعالى في كتابه بأنّ الإيمان بالله والرسول(صلى الله عليه وآله) مرهون بالتسليم له صلوات الله عليه، فقال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[النساء:65].

2. الابتلاء بالشدّة: وذلك بالابتلاء بالمحن والمصائب ونقص الأموال والأنفس والثمرات، إذ هو من الطرق العامة التي يستعملها الله تعالى لسوق عباده إلى الطاعة والكمال قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾[البقرة:155].

3. الابتلاء بالرخاء: وهو من أعظم البلاءات التي تُوجب انحراف الإنسان وغفلته عن الآخرة، وعمّا وُجد لأجله في الدّنيا، فالعادة في بلاء الرّخاء أنه يُوجب توجُّه الناس إلى عمارة الدنيا والانشغال بالملذات والمشتهيات واللهو واللعب، فيُعمّرون بذلك الدنيا وينسون عمارة الآخرة، مع أنّها دار الحياة الباقية والدنيا دار الفناء والزوال.

ولذلك، عُدّ بلاء الشدّة نعمة، إذا قيس ببلاء الرّخاء، فعن أبي عبد الصادق(عليه السلام) أنه قال: «لَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَتَّى تَكُونُوا مُؤْتَمَنِينَ، وحَتَّى تَعُدُّوا نِعْمَةَ الرَّخَاءِ مُصِيبَةً، وذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ عِنْدَ الرَّخَاءِ»[1].

وكلّ هذه البلاءات الجارية على الأمة بأنواعها المُتعدّدة، تُعدّ تمهيدًا قويًّا للدولة الإلهية والقضية

1 - الصدوق، صفات الشيعة، ص34.

المهدوية، إذْ شدّة الابتلاء من السُّنن الجارية في الأمة، قبل ظهور الإمام الحُجة وفي زمان انتظاره عجل الله فرجه الشريف، فقد ورد عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أَمَا وَاللهِ لَيَغِيْبَنَّ إِمَامُكُمْ سِنِيْنَ مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَتُمَحَّصُنَّ حَتَّى قَالَ: مَاتَ؟ قُتِلَ؟ هَلَكَ؟ بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ؟ وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُوْنُ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَلَتُكْفَأُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِيْ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَهُ، وكَتَبَ فِيْ قَلْبِهِ الْإِيْمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ، قَالَ: فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ فَنَظَرَ إِلى شَمْسٍ دَاخِلَةٍ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَرَى هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّ أَمْرَنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ»[1]. والتّمحيص: "تخليص الشيء وتنقيته من كل عيب"[2]. وهو " كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ"[3] ، فالرواية تكشف عن شدة الابتلاء الذي ستمر به الأمة عند الغَيْبة، وعلى شدّة المَيل والانحراف الذي سيحصل في زمان غيبته، إذ شبه الإمام عملية التمحيص بانكفاء السفينة وتمايلها واضطرابها في البحر المتلاطم، وهو إشارة إلى ميل الناس وانحرافهم في زمن غيبته عجل الله فرجه الشريف، فضلا عن الحيرة التي سيقعون فيها، فلا ينجو من شدّة هذا الابتلاء إلا من أخذ الله ميثاقه في عالم الذَّر، وأيده بروح الإيمان في الدنيا.

ث- مراتبُ البلاء

للبلاء مراتب متعددة ودرجات مختلفة، ترتقي بحسب درجات العبد ومقامه عند الله تعالى، فالأنبياء أشدّ الناس بلاءً ثمّ الأمثل فالأمثل، فعن "عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَجَّاجِ قَالَ: «ذُكِرَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام الْبَلَاءُ وَمَا يَخُصُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْمُؤْمِنَ فَقَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ النَّبِيُّونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ بَعْدُ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِه وَحُسْنِ أَعْمَالِه، فَمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ سَخُفَ إِيمَانُهُ وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلَاؤُهُ»[4]. وقد يكون بلاء المؤمن في الظاهر عقابًا، ولكنه في الواقع مغفرة لذنوبه وتنقية له، فعن "عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعِزَّتِي لَا أُخْرِجُ لِي عَبْداً مِنَ الدُّنْيَا أُرِيدُ رَحْمَتَهُ إِلَّا اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ سَيِّئَةٍ هِيَ لَهُ إِمَّا بِالضِّيقِ فِي رِزْقِهِ أَوْ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ وَإِمَّا خَوْفٍ أُدْخِلُهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ

1 - الكليني، الكافي، ج1، ص336.
2 - ابن فارس، مقائيس اللغة، ج5 ص300. مادة : محص.
3 - الأصفهاني، مفردات القرآن، ص761. مادة : محص.
4 - الكليني، الكافي، باب شدّة ابتلاء المُؤمن، ج2، ص252، حديث: 2.

شَدَّدْتُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي لَا أُخْرِجُ لِي عَبْداً مِنَ الدُّنْيَا وَأُرِيدُ عَذَابَهُ إِلَّا اسْتَوْفَيْتُهُ كُلَّ حَسَنَةٍ لَهُ، إِمَّا بِالسَّعَةِ فِي رِزْقِهِ أَوْ بِالصِّحَّةِ فِي جَسَدِهِ وَإِمَّا بِأَمْنٍ أُدْخِلُهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ هَوَّنْتُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ»[1]، فالمؤمن قد يتعرّض لأنواع البلاء في رزقه وجسده أو خوف يُدخله عليه، لتنقيته من ذنبوه، بل حتّى تشديد سكرات الموت عليه، لأجل أن يخرج من الدنيا وليس عليه شيء يستحق عليه العذاب، بل قد يُشدِّد عليه في موته وطريقة موته، بينما يُمتع الكافر في ظاهر موته، حتّى لا يلقى الله تعالى وله عنده شيء، فعن أبي جعفر عليه السلام: قَالَ: «مَرَّ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرَجُلٍ بَعْضُهُ تَحْتَ حَائِطٍ وَبَعْضُهُ خَارِجٌ مِنْهُ، فَمَا كَانَ خَارِجًا مِنْهُ قَدْ نَقَبَتْهُ الطَّيْرُ وَمَزَّقَتْهُ الْكِلَابُ، ثُمَّ مَضَى وَوقعت [رُفِعَتْ] لَهُ مَدِينَةٌ فَدَخَلَهَا، فَإِذَا هُوَ بِعَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِهَا مَيِّتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُسَجًّى بِالدِّيبَاجِ حَوْلَهُ الْمَجَامِرُ، فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا تَجُورُ [ذَاكَ] عَبْدُكَ لَمْ يُشْرِكْ بِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَمَتَّهُ بِتِلْكَ الْمِيتَةِ، وَهَذَا عَبْدُكَ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَمَتَّهُ بِهَذِهِ الْمِيتَةِ، فَقَالَ [اللَّهُ] عَزَّ وَ جَلَّ عَبْدِي أَنَا كَمَا قُلْتَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا أَجُورُ، ذَاكَ عَبْدِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي سَيِّئَةٌ وَذَنْبٌ فَأَمَتُّهُ بِتِلْكَ الْمِيتَةِ لِكَيْ يَلْقَانِي وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَهَذَا عَبْدِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي حَسَنَةٌ فَأَمَتُّهُ بِهَذِهِ الْمِيتَةِ لِكَيْ يَلْقَانِي وَ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي شَيْءٌ»[2]. فانظر للحديث كيف يُبين أنّ ما ظاهره ميتة سوء، لم يكن تعذيبًا للمؤمن، بل في الحقيقة تنقية وتصفية له حتى يلقى الله تعالى ولا ذنب عليه.

2 - المشروع المهدوي: الهوية- الأبعاد- الأهداف- الصيرورة والسيرورة التاريخية

أ - المشروع المهدوي: هويته وأبعاده وأهدافه

يُعتبر المشروع المهدوي من المشاريع التي نمت مع نمو الفكر والمجتمع الإنساني، ذلك أنّ الإنسانية جمعاء تتطلع إلى ذلك اليوم الذي يعمُّ فيه السلام والعدل وجه البسيطة وتزول سلطة دول الظلم والجور عن رقاب الناس، وسنُبين في السّير التاريخي لهذا المشروع، كيف أنّ فكرة المُخلص التي تمثل المحور الأساسي في هذا المشروع، تبلورت مع أقدم الحضارات الإنسانية وإن تمظهرت بصور متعددة. والمشروع المهدوي، هو المشروع القائم على أساس الخلافة

1 - الكليني، الكافي، ج3، ص444. حديث: 2.
2 - الكليني، الكافي، ج2، ص246، حديث:11.

الإلهية للإنسان في الأرض، لإقامة دولة العدل الإلهي القائم على أساس الشريعة المحمدية الغراء، وهذا المشروع له عدّة أبعاد وأهداف من أهمها:

1. البُعد الإيماني في القضية المهدوية: من الأمور المهمة في الشخصية الإنسانية - بنظر المشروع الإلهي - هو البُعد الإيماني وتنميته، ولهذا نجد القرآن الكريم تحدث عن الإيمان في مساحة عريضة من آياته، وقَرنه بالعمل الصالح الموجب لتكامل الإنسان في بُعده العملي، ومن القضايا التي يمتحن بها الإنسان في زمننا، هو قضية الإيمان بالمهدي المنتظر والاعتقاد به كإمام مفترض الطاعة ولزوم معرفته، وأنّ إنكاره إنكارًا لرسول الله ﷺ ولُزوم تحصيل المعرفة به وإظهار المحبّة له وبُغض أعدائه والدّعاء له بالحفظ، وتعجيل الفرج، وبذل الصدقات عن وجوده المُبارك، وانتظار فرجه وما يرتبط به، فإنّ أفضل أعمال العبد في زمان غيبته انتظار فرجه عجل الله تعالى فرجه الشريف والتسليم له في أمر غيبته وعدم الاعتراض على هذا الأمر. وهذه الأمور - كما هو واضح - تُوجب ترقّي إيمان الإنسان بالغيب والارتباط بالحق تعالى، والإيمان بوعده الصادق، الذي وعَد به المؤمنين، وكتبه في التوراة والإنجيل، وفي الزبور من بعد الذكر، أنّ الأرض يرثها عباده الصالحين قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[الأنبياء:105].

2. البُعد النفسي في القضية المهدوية: من الأبعاد الأخرى في القضية المهدوية البناء النفسي الذي تولده للفرد والمجتمع الإيماني، فالشخص الذي يُؤمن بالقضية العادلة وما تتضمنه من الوصول إلى مرحلة العدل الإلهي وإحقاق الحق وإبطال الباطل، يكون هذا الأمر دافعًا نفسيًّا عنده للأمل المستقبلي وديمومة التنافس في بناء الحياة وعمارة الأرض والتسابق في فعل الخيرات وتحمّل المشاق وحل المشكلات النفسية، وقد أثبتت الدراسات الغربية أنّ المؤمنين بالأمور الدينية الغيبية أكثر تفاؤلا وفاعلية في الحياة من الذين يُنكرون القضايا الدينية[1].

3. البُعد التربوي في القضية المهدوية: وهذا البُعد من الأبعاد المهمة في تربية الفرد

1 - انظر: الصنيع، التدين والصحة النفسية، ص. ص.47- 95 .

والمجتمع، وهو من الأبعاد التي تتجلّى بوضوح في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إذ الاعتقاد بوجود إمام حي حاضر بين ظهرانينا - وإنْ لم نتعرّف على شخصه الكريم - يبعث الروح التربوية في المُعتقد به من جهة تمثُّل الإمام مجموعة من القيم والمبادئ والمُثل الفاعلة والقائمة فينا، ومن جهة مضاعفة الرقابة الإلهية فينا، والباعثة على التربية الخُلقيّة، ومن جهة حالة الانتظار المُوجبة لتحقُّق عنصرين في الإمام المنتظر، "عُنصر نفي وعنصر إثبات، فعنصر النّفي هو الإحساس بغرابة الوضع الذي يُعانيه المُنتظِر، وعُنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن، وإذا قُدِّر لهذين العنصرين أن يحلا في روح الإنسان، فسيكونان مدعاة إلى بناء شخصيته والتحرك الذاتي، وتهيئة الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية لظهور تلك الحكومة العالمية الإنسانية، وهذا الأمر سيكون سبباً لليقظة والوعي والبناء الذاتي"[1].

4. البُعد الاجتماعي في القضية المهدوية: وذلك من جهة أنّ الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع، إنّما تتشّكل بلحاظ الكمال الذي ترسمه حضارة ذلك المجتمع، والهدف الذي تتحرك لتحقيقه، وكلّما كان الهدف والغاية أكثر تعاليًّا وقُدسية، كان الجهد المبذول والحركة التكاملية الحاصلة في ذلك المجتمع أكمل.

ومن هنا، نفهم أنّ للانتظار - الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في طيّات البحث- ديناميكية عالية لبلورة المجتمعات وبنائها حضاريًّا وعلميًّا وثقافيًّا وأخلاقيًّا، فالمجتمع الذي يؤمن بعبثية الغاية وفقدانها وانتهائها عند اللذات الحسية والمادية، لن يسعى لبناء ذاته إلا بمقدار ما تحقّق له من هذه الملذات المنقطعة والمنتهية. كما أنّ المجتمع القائم على الرّبحية وجمع الثروة والمال، لن يألو جهداً في تحطيم النّظم الثقافية والأخلاقية للمجتمعات، مادامت تُحقق له ربحًا ماديًّا وقدرة اقتصادية، بينما المجتمع الذي يؤمن بالقضية المهدوية وبلُزوم تحقُّق الدولة العادلة، فإنه يسعى جاهداً لبناء المجتمع على أسس ثقافية وحضارية وأخلاقية، تُحقق تلك الغاية وهي قيام الدولة العادلة المهدوية، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد:25].

1 - مجموعة باحثين، العدل المنتظر مقالات مهدوية، ص42.

فالبيّنات حُجج باهرات على الحقّ، والكتب تمُثل الشرائع والقوانين الحاكمة للبشرية، والميزان هو "الإمام"[1] العامل بتلك القوانين، وبهذه الأمور يتمكن الناس من القيام بالقسط، وبناء مدينتهم الفاضلة على أساس المشروع المهدوي. وتوجد أبعاد أخرى في المشروع المهدوي والقضية المهدوية تركناها اختصاراً.

ب- السيرورة والصيرورة التاريخية للمشروع المهدوي

تُعد الحاجة إلى المشروع المهدوي من الحاجات الإنسانية التي تزداد تجليًّا في البشرية كلما ازداد الظلم فيها وتوسّع، إذ تتطلع البشرية إلى المخلص المُنجي الذي يقيم العدل وينتهي الظلم على يده، وفكرة المُنجي والمُنقذ الإلهي نجدها مُتجلّية في جميع المجتمعات الإنسانية منذ أقدم الحضارات الشرقية والغربية، فالهندوسية ترى أنّ المُنقذ العالمي الذي يمُثل عندهم صورة الإله (فيشنو)، سيأتي في نهاية العصر المظلم على شكل رجل يمتطي حصانًا أبيضًا وفي يده سيف يلمع لمُحاكمة الخُطاة ومكافئة المُحسنين (ثمّ يأتي المظهر الأخير للإله فيشنو متجسدًا على شكل رجل يمتطي فرسًا أبيض وشاهراً سيفه، وهناك وصف للسيف تشبيهاً له بالنجمة المذنبة، كناية عن شدّة قوته وسطوع نوره الذي سيُبدد الظلام وتنعم الأمم بالسلام"[2].

كما أنّ البوذية هي الأخرى تطرح المُنقذ، إما على أساس فكرة (البوديساتفا)، وهو الإنسان الكامل الذي وصل إلى مرحلة الخلاص الأخير، لكنه أجّل خلاصه لأَجل أنْ يُرشد الناس ويخلصهم وينقذهم من حالة الضياع والتدهور الروحي حتى لا يمروا بمراحل الولادات المتجددة، وأما على أساس فكرة (الإفاتار)، والذي تعني تجسد الروح الأعلى على شكل إنسان، لرفع معاناة العالم وآلامه، كما أنّ الزرادشتية هي الأخرى تتبنّى فكرة انتظار وعودة المصلح والذي يُعبر عنه بـ (السوشيانس) من نسل زرادشت[3]، بل لم تخلوا المناهج المادية من هذه الفكرة، وقد صُوِّرت

1 - كما جاء تفسيره بذلك في تفسير القمي، ج2، ص352.
2 - انظر: نو، ناجح حسين، المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، ص165، نقلا عن الكتاب المُقدس الهندوسي، الأوبانيشاد: 2، ص637.
3 - الشيخ، عباس، موعود الأديان، ص240.

بعدّة صور مثل: السوبرمان الذي يمتلك القوى الخارقة والذي يتواجد لإنقاذ الناس[1].

وأما في الديانات السماوية الثلاثة، ففي اليهودية تعتبر عقيدة المخلص من العقائد الأساسية فقد وردت في اللغة العبرية (המושיע) بمعنى المُنقـذ، المخلـص، المُنجـي، الغائـث، وقد يُسمى المشيح أو المسيح عندهم، وهو من نسل داوود كما ورد في إنجيل يُوحنا، "أما قال الكتاب إنّ المسيح يجيء من نسل داود، ومن بيت لحم مدينة داود؟"، وسيكون مخلّصًا للأُمم جميعًا، كما في سفر أشعيا النبي "لتكون نوراً للأُمم وخلاصًا إلى أقاصي الأرض..."[2]

واليهود - بحسب نصوص العهد القديم - يرون أن تحقُّق هذا الوعد الإلهي، يتمّ بتمكين بني إسرائيل من إقامة الدولة العادلة على أرض فلسطين، وتمتد من النيل إلى الفرات، كما ورد في العهد القديم في خطاب الرَّب لإبراهيم: "لِنَسْلك أهبُ هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"، وأما المسيحية، فتؤمن هي الأخرى بمجيء شخص في آخر الزمان، ينشر العدل ويجمع بساط الظلم والظالمين، ولكن المسيحية ترى الخلاص إنّما يكون بعودة يسوع المسيح، واجتماع المُؤمنين به، ويذهب بهم لمقابلته على السحاب ليُنجيهم من الفتن في آخر الزمان، وقبل القيامة أو يوم الدّينونة. و "حتّى الموتى سيُبعثون من قبورهم أحياءً، ويصعدون لمُقابلة المسيح على السّحاب، والأحياء فيخطفون من الأرض إلى السماء، ليبتعدوا عن الدّجال"[3].

وأما الدين الإسلامي، فقد تواترت الأخبار في المصادر السُّنية والشيعية، عن قضية المُنقذ والإمام المهدي المنتظر الذي يأتي في آخر الزمان[4]، كما فُسرِّت العديد من الآيات القرآنية بذلك[5].

وقد اختلفت النظرات في تفسير قضية الإمام المهدي عليه السلام، بين من وصفه بالمسيح المنتظر،

1 - انظر: قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، ص. ص. 41-44.
2 - سفر أشعيا: 49-6-13 .
3 - انظر: نور، المُنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، ص118. نقلا عن: يوسف توما مرقس، اللاهوت العقائدي، ج3، ص14.
4 - انظر: العسكري، الإمام المهدي الموعود المنتظر عند أهل السنة والإمامية، ج1، ص245.
5 - الكلبايكاني، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ج2، ص. ص. 20-51.

وبين قائل أنه من وُلد الحسن أو الحسين واسمه محمد بن عبد الله، ولكنّ الصحيح الموافق لأكثر الروايات عند الفريقين أنّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو محمد بن الحسن من وُلد الحسين عليه السلام وبما أنَّ بحثنا في سُنة الابتلاء به لا في شخصيته، فسنترك البحث عن شخصيته لمراجعة القارئ الكريم[1].

3 - الرُّؤية القرآنية: المفهوم- المنهجية

تمُثل الرؤية الأسس والبنى المعرفية التي يستند إليها في تفسير ظاهرة معينة، وقد تُستعمل في الهدف الذي يُراد تحقيقه، ولكنها في مقام تفسير الظواهر لا تطلق بهذا المعنى، بل بالمعنى الأول. والرؤية القرآنية هي الأسس والبنى المعرفية التي يُؤسسها القرآن لظاهرة معينة كظاهرة الابتلاء في القضية المهدوية وتأثيرها في بناء الفرد والمجتمع وتهيئته للغاية المطلوبة من هذه الظاهرة، وهي إقامة الدولة العادلة.

ومن الواضح أنّ المنهجية التي يعتمدها القرآن في بيان رؤيته تجاه هذه القضية، تبتني على أساس نظرته التوحيدية القائمة على أساس الثبات والخلود للقضية العادلة، وعدم تغيير الأصول والمبادئ التي تبتني عليها القضية المهدوية، كما أنها تُعطي طابع القداسة لهذه القضية، ممّا يجعل أتباعها يُؤمنون بها ويدافعون عنها ويستمدون من انتظارها والتبشير بها، أساسًا لتكاملهم في الدنيا وثوابًا لهم في الآخرة.

ونقصد بالرؤية القرآنية في المقام: النظرية والمنهج القرآني لبيان المشروع المهدوي وفلسفة الابتلاء به ومدى تأثيره في بناء الفرد والمجتمع، إذ المشروع المهدوي بإبعاده المتعددة التي ذكرناها، يمُثل الابتلاء به نظامًا تربويًّا ومعرفيًّا وحركيًّا لتوليد المجتمع الصالح، وتحقيق الغاية التي لأجلها بُعث جميع الأنبياء والمُرسلين.

وقد استخدم القرآن المنهج النظري التأسيسي للسُّنن الحاكمة في قانون الابتلاء كما بين التطبيقات العملية لهذه السُّنن، من خلال القصص القرآنية للأنبياء والأمم السابقة، لتجسد الحالة العملية لتلك السُّنن الحاكمة في ظاهرة الابتلاء في المشروع المهدوي، ويمُكن عرض الرؤية

1 - للاستزادة ينظر: العسكري، الإمام المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، في جزأين.

القرآنية لفلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي عبر الأمور التالية:

1. المنهج التوحيدي لسُنّة الابتلاء: فالقرآن يُبيّن الابتلاء على أساس المنظومة المعرفية المُتمحورة على أساس التوحيد ومراتبه، والتي تتّخذ من السلوك التوحيدي الإيماني والعملي للفرد والمجتمع أساسًا لعميلة التمحيص التي تُعدّ غاية أساسية للبلاء.

2. السُّنن التاريخية الحاكمة في عملية الابتلاء: يُبين القرآن الكريم مجموعة من السُّنن التاريخية الحاكمة على عملية التمحيص والابتلاء، ويبرز القرآن هذه السُّنن من خلال القصص القرآني المُبيِّن لمبدأ حكومة الحقّ على الباطل وانتصاره عليه، وإنْ غلب الباطل على الحق في بعض الدورات، فإنّ "للحقِّ دولة وللباطل جَوْلة"[1] .

3. عرض القدوة الكاملة في عمليّة الابتلاء: فالقرآن يعرض قصص أنبياء الله وأوليائه الصالحين الذين تعرّضوا لشتّى أنواع البلاء، وكيف أنّ الله تعالى حقّق لهم النّصر والغلبة على أعداهم، بعد أن نجّاهم في التّمحيص بالبلاء والصبر عليه، ومن تلك الأمثلة ما عرضه القرآن من البلاءات الشديدة التي تعرض لها نبي الله أيوب، وكيف خرج مرفوع الرأس منها ممدوح الصفة فيها، إذ قال عنه القرآن الكريم: ﴿**وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ* ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ* وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾[سورة ص:41-43]. فقد بيّن القرآن عاقبة الصبر على البلاءات، وكيف أكرم الله تعالى عبده أيّوب، بأنْ وهب له أهله وضاعف عليه النعم، وأرجع عليه ماله وأولاده، ليكون عبرة لأولي الألباب.

4 - الرُّؤية الحديثية: المفهوم – المنهجية

تمُثل الرؤية الحديثية البِنى والمنهج المعرفي والسُّنن الحاكمة في عملية الابتلاء في المشروع المهدوي في روايات النبي الأكرم وأهل بيتهعليهم السلام، وقد عرضت الروايات هذه الرؤية من خلال الأمور التالية:

1 - الليثي، عيون الحِكم والمواعظ، ص403. حديث: 6816-6815.

1. معالم المشروع المهدوي: بيّنت الروايات المعالم الأساسية للمشروع المهدوي، من خلال تبيين القيادة الكاملة له، بوصفها وشخصها والمُقوِّمات التي تقوم على أساسها، من عقدية وأخلاقية وتشريعية، كما بيّنت العلامات الموضحة للملاحم والرايات التي تحصل قَبْل وإبان ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

2. وظائف المُنتظرين في الانتظار وغربلتهم: تعرضت الروايات للتكاليف الملقاة على عاتق المنتظرين ليجري من خلال تلك الوظائف عملية الفرز العملي للمنتظر الحقيقي عن غيره، خصوصًا مع الفتن والبلاءات التي سيتعرض لها المجتمع المهدوي في فترة الانتظار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أَلَا وإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وَالَّذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَةَ الْقِدْرِ[1] حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، واللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[2]، وَلاَ كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ»[3].

3. الحوادث التي سترُافق ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ومعاركه: فالروايات تتحدث عن كثرة الوقائع التي ستقع في عصر ظهوره المبارك، وما يحصل من المعارك والفتن في عصر ظهوره أيضًا.

وهذه النقاط الثلاثة وغيرها تعتبر الأسس البنائية لعملية التمحيص والابتلاء في المشروع المهدوي، وسنتحدث عنها وعن غيرها بصورة تفصيلية ضمن المحاور التالية إن شاء الله تعالى.

1 - لتُبلبلن، أي لتُخلطن، تبلبلت الألسن أي اختلطت، والبلبلة أيضًا الهم والحزن ووسوسة الصدر. و لتغربلنَّ من الغربال الذي يغربل به الدقيق، والغربلة أيضًا: القتل. والسوط: التخليط، والمسوط والمسواط: خشبة يحرك بها ما في القدر ليختلط.

2 - الوشمة: المرة، يُقال: ما عصيت فلانا وشمة، أي طرفة عين، وفي بعض النسخ بالمهملة، وهي العلامة.

3 - الكليني، الكافي، ج8، ص67.

ثانيًا: فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي: قراءة قرآنية

1 - المنهج القرآني للمشروع المهدوي

حينما نُراجع القرآن وكيف عرض المشروع المهدوي، نجد أنه يطرحه بعدَّة عناوين مهمة، كالإيمان بالغيب، وخلافة الإنسان الكامل، ووراثة الصالحين للأرض، والمنِّ على المستضعفين وإشراق الأرض بنور ربها، وقيام الناس بالقسط، وغيرها من العناوين التي تشكل أركان المشروع المهدوي بنظر القرآن، فالإيمان بالغيب، يُشكّل القاعدة الأساسية في بناء المجتمع المهدوي، كما أنّ خلافة الإنسان الكامل تمُثل شكل الحكومة العادلة التي تُريدها السماء، فتُشرق الأرض، وتضع موازين العدل والقسط بين الناس، حيث تمُثل شكل السلطة القضائية التي ستحكم الناس وأثر تلك الحكومة العادلة، كما أنّ وراثة المستضعفين وعباد الله الصالحين تمُثل الأمة الصالحة التي ستدير تلك الحكومة والدولة العادلة، بينما يمُثل قيام الناس بالقسط المجتمع المتكامل ببُعْديه: الإيماني، بإيمانه بالغيب، وبُعْده العملي، بقيامه بالقسط الذي هو منتهى العدل، وبهذا يظهر أنّ عرض هذه المفاهيم وما يترتّب عليها من مفاهيم أخرى، يمُثِّل دور المشروع المهدوي، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل:

أ- الإيمان بالمهدي إيمانٌ بالغيب

لعلّ من الأمور الواضحة في القرآن الكريم، نعت المؤمنين المُتقين ومدحهم لإيمانهم بالغيب قال تعالى:﴿**ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ* ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ**﴾[البقرة:1-2]. والغيب هو كلّ ما غاب عن الحواس، ودلّ عليه العقل أو النقل، وإنّما قدّمه على جميع الأوصاف الأخرى التي ذُكرت في الآيتين التاليتين لأنّ الإيمان بالغيب هو الأساس في إقامة الصلاة والتصدُّق بالصدقات، وإنما ذكرهما لما لهما من الشمولية لغيرهما من الأعمال، فإنّ أعمال العباد إما راجعة إلى علاقته مع الله تعالى، وإما إلى علاقته مع الناس، وقد فُسِّر الغيب في هذه الآية بالإيمان بقيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف[1].

1 - انظر: البحراني، المحجة فيما نزل في القائم الحجة(ع)، ص16.

وهذا يعني ارتباط العلاقة مع الله تعالى والناس في زمان غَيْبته بالإيمان به، وأنّ الإيمان به شرط لقبول تلك الأعمال، كما دلّت كثير من الروايات على أنّ الولاية لأهل البيت(عليهم السلام) شرط في قبولها، ولكن المهم عندنا هو أنّ تفسير الغَيب بقيام الإمام المنتظر، يرتبط واقعاً بعُنصر الانتظار الذي نصَّت عليه الروايات، وجعلته خير أعمال أمة النبيﷺ في زمان الغَيبة، لأنّ المُنتظر الحقيقي تتبلور شخصيته من خلال التهيُّؤ الذي يفرضه الابتلاء القائم في زمانه، والتّمحيص الذي يمرُّ به، ليُفرز المنتظر الحقيقي من غيره، عبر تلك الابتلاءات، ويحتاج المنتظر الحقيقي في هذا الامتحان إلى بصيرة تحفظه من الانزلاق، وإرادة مُحركة له نحو التكامل في التمحيص، وإيمان بالغيب أنّ ما قُدِّر له وكُتب جارٍ لا محالة، وأنّ سعيه في النجاح في الابتلاء والاختبار مؤثر في تقديراته في هذه الحركة.

ب- إشراقُ الأرض بنُور ربّها

من الأمور التي أُوِّلت بها الآية الكريمة: ﴿**وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾[الزمر:69]، أنّ المقصود بها الإمام، فعن الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِعليه السلام يَقُولُ فِي قَوْلِه: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾، قَالَ رَبُّ الْأَرْضِ يُعْنَى إِمَامُ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: فَإِذَا خَرَجَ يَكُونُ مَا ذَا- قَالَ إِذاً يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَنُورِ الْقَمَرِ ويَجْتَزُونَ بِنُورِ الْإِمَامِ"[1]، والمُراد بظاهر الآية "انكشاف الغطاء وظهور الأشياء بحقائقها، وبَدو الأعمال من خير أو شر، أو طاعة أو معصية، أو حقٍّ أو باطل للناظرين، و إشراق الشيء هو ظهوره بالنور، ولا ريب أنّ مُظهرها يومئذ هو الله سبحانه، إذ الأسباب ساقطة دونه، فالأشياء مُشرقة بنُور مكتسب منه تعالى"[2].

ولكن لا يمنع هذا المعنى من تطبيقها على ظُهور الإمام الحجةعجل الله تعالى فرجه الشريف، خصوصًا أنّ المناسب لوضع الميزان وحساب الناس، هو تحقُّق دولة العدل الإلهي على وجه الأرض، وهو المناسب لتخصيص الإشراق بالأرض دون غيرها، كما أن وضع الميزان يناسب تفريقه عجل الله تعالى فرجه الشريف بين الحقِّ والباطل وأمره الناس بمتابعة الحق وترك الباطل، فيكون معنى الآية ما وَرَدَ عن إمامنا الرضاعليه السلام:

1 - القمي، تفسير القمي، ج2، ص253.
2 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج17، ص296.

«يُطَهِّرُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ، ويُقَدِّسُهَا مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ، وَهُوَ الَّذِي تَشُكُّ النَّاسُ فِي وِلَادَتِهِ وَهُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ، فَإِذَا خَرَجَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، يَضَعُ مِيزَانَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَداً وَهُوَ الَّذِي تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ، وَلَا يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ، وَهُوَ الَّذِي يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ، فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُ وَفِيهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَ- ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾»[1]. وإذا كان ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يمثّل ظهور الحق ووضع ميزان العدل بين الناس، فمن وطّن نفسه على متابعة الحقّ وقبول العدل، ولو على نفسه، سيكون من أنصاره وأعوانه، وأما من تعوّد على مُتابعة الهوى وظلم الآخرين، فمن المُستبعد أن يقبل أطروحة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ومتابعته وحكومته العادلة. لأنه من كان مُلوّثاً غير نقي، كيف ينتظر ثورة يحرق لهيبها المُلوثين؟!"[2].

ت- خلافة الإنسان الكامل والمشروع المهدوي

من المفاهيم الأُخرى المَفصلية في المشروع المهدوي، مسألة الخلافة الإنسانية التي تحدث عنها القرآن، وهي تمُثل شكل الحكومة الإلهية، ورأس الهرم فيها هو الإنسان الكامل، وقد طُرحت هذه المسألة من خلال قصة آدم واستخلافه، وعرض خلافته على الملائكة، واعتراضهم على ذلك، بأنّ في هذا الكائن ما يُوجب الفساد وسفك الدماء، مع أنّ التسبيح والتنزيه لله تعالى من قبل الملائكة يجعلهم أهلا لهذه الخلافة الإلهية، ولكن الله تعالى يُبين لهم أنّ العلم والقدرة على عمارة الأرض وصلاحها هو الأساس في ذلك، وليس مجرد البُعد العبادي بالتسبيح والتنزيه والتقديس لله تعالى.

قال -تعالى- ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ***

1 - الخزاز الرازي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص275.
2 - مجموعة مؤلفين، العدل المنتظر، ص43.

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾[البقرة:30-33]. وهذه الآيات والتي تليها وإن كانت في سياق الحديث عن آدم (عليه السلام) ولكنها " تُنبئ عن غرض إنزال الإنسان إلى الدنيا وحقيقة جعل الخلافة في الأرض وما هو آثارها وخواصها"[1]، وقول الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، من جهة "أنّ الموجود الأرضي موجود مادِّي مُركّب من القوى الغضبية والشهوية، والدار دار التزاحم، محدودة الجهات، وافرة المزاحمات، مُركّباتها في معرض الانحلال، وانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنة الفساد ومصبِّ البطلان، لا تتمّ الحياة فيها إلا بالحياة النوعية، ولا يكمل البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أنّ الخلافة المُرادة لا تقع في الأرض إلا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم، يُفضي بالآخرة إلى الفساد والسفك، و- الخلافة- وهي قيام شيء مقام آخر، لا تتمّ إلا بكون الخليفة حاكيًّا للمُستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مُستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى مُتّصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، مُنزه في نفسه عن النقص ومُقدس في فعله عن الشّر والفساد، جلّت عظمته. والخليفة الأرضي - بما هو كذلك- لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوُجوده المشوب بكل نقص وَشِين، الوجود الإلهي المقدس، المُنزّه عن جميع النقائص والمعدومات، فأين التّراب وربِّ الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام التعرّف على ما جهلوه، واستيضاح ما أُشْكل عليهم من أمر هذا الخليفة"[2]، فبينّ لهم الحق تبارك وتعالى، أنّ هذا الخليفة إنما استحق خلافة الله تعالى في الأرض من جهة قُدرته على التعرف على الأسماء، تحقُّقًا وشُهودًا أو فطرة وإلهامًا. إذ أساس هذه الخلافة الإلهية كما هو ظاهر الآيات، قابلية الإنسان لتعلُّم الأسماء.

وسواء فسّرنا تلك الأسماء بمُسميات الأشياء، في كلّ لغة، الراجع إلى إلهام الإنسان، طريقة البيان والتعبير عن مقاصده، والتي هي الأساس في بناء الحضارة الإنسانية وتقنين القوانين

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص115.
2 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج1، ص115.

وإجرائها وإقامة العدل على وجه الأرض، فالبيان يُقيم النظام الاعتباري القانوني الشرعي والأخلاقي الحاكم في المجتمع الإنساني، فسواء فسّرناها بذلك، أم فسّرناها بمُسمّيات الأئمة التي شاهد آدم أشباحهم على ساق العرش، أو فسّرناها بالأسماء الإلهية والتخلُّق بها، ممّا له علاقة بالخلافة الإنسانية، فعلى كلُّ تقدير يتّضح ارتباطها في اختصاص الخلافة بالإنسان دون الملائكة، من جهة قابليته لتعلُّم الأسماء دونهم، فيكون هو المناسب للخلافة الإلهية في الأرض، وحيث أنّ الحق تبارك وتعالى جعل تعليم الأسماء في مقام الرّد على اعتراض الملائكة على جعل الإنسان خليفة، مع أنه موجود مادي.

وإما ارتباط مسألة الاستخلاف بالمشروع المهدوي، فمن الواضح أنّ الغرض من الخلافة الإلهية في الأرض هو ظهور صفات المُستخلِف من عدله وسائر صفاته على وجه الأرض، من خلال خليفته، ليُظهر دينه وعدله على الدين كله ولو كره المشركون. وذلك إنما يكون بتمكين المؤمنين المستضعفين في الأرض ووراثة الأرض لعباده الصالحين.

ث- وراثة عباد الله الصالحين للأرض

تمُثل وراثة الأرض من قبل عباد الله الصالحين، القاعدة الأساسية والركيزة المهمة في حكومة العدل الإلهي والمشروع المهدوي، وقد وردت مسألة الوراثة في القرآن في عدة آيات، نذكر منها قوله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[الأنبياء:105]. فقد ورد في تفسيرها عن أبي جعفر عليه السلام قال: «هُم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان»[1]، و"المُراد من وراثة الأرض، انتقال التسلُّط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات إما دنيوية راجعة إلى الحياة الدنيا، كالتمتّع الصالح بأمتعتها وزينتها، فيكون مؤدّى الآية أنّ الأرض ستُطهّر من الشرك والمعصية، ويسكنها مجتمع بشري صالح، يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، كما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ..- إلى قوله- يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[النور:55].

1 - الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص 106.

وإمّا أُخرويّة، وهي مقامات القُرب التي اكتسبوها في حياتهم الدُّنيا، فإنها من بركات الحياة الأرضية، وهو نعيم الآخرة، كما يُشير إليه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**﴾[الزمر:74] وقوله عز من قائل: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ**﴾[المؤمنون:11]"[1].

وتتقوَّم الوارثة بتمكين الأمة الصالحة وتمكينها في الأرض، لغرض إعلاء كلمة الله في الأرض وعبادته فيها، وتكوين المجتمع الصالح لظهور دولة العدل الإلهي، وهذه سُنّة إلهية ووَعد إلهي تواتر ذكره في جميع العُهود، كما أنها سُنّة شاملة حتمية لا بداء فيها، ولكنها مع ذلك، تتوقّف على السّعي الإنساني وتحمُّل البلاءات، والذي عبرّ عنه القرآن بالكدح قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾[الإنشقاق:6]. ومفهوم الكدح يتضمّن في طياته السير، فهو بذلك يُعبر عن "المسيرة الإنسانية من بدء وجودها على الأرض لحين وصولها إلى غايتها التي وجدت من أجلها، وهو يُنبأ عن مشروع إلهي يُراد إقامته على الأرض، تقوده الإنسانية عبر مسيرتها، وهذه المسيرة تمرُّ بعدّة مراحل لابدّ من طيّها للوصول إلى تحقيق هذه المشروع الإلهي:

1. المرحلة الأولى: مرحلة الوحدة الإنسانية القائمة على أساس وحدة الفطرة والدين، وهذه المرحلة بدأت منذ نزول آدم إلى الأرض، ويدلّ عليها قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾[البقرة:213].

2. المرحلة الثانية: مرحلة الاختلاف في الدّين والتزاحم في الغايات وإرسال الرُّسل، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[يونس:19]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[البقرة:213]. وقد بيّن الحقُّ تبارك وتعالى

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص330.

أنّ الغاية من هذا الاختلاف هو إيصال الناس إلى التكامل، وذلك من خلال الابتلاء والتنافس والتسابق في الخيرات، وهذا ما تحدّثت عنه الآية: ﴿**وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[المائدة:48].

3. المرحلة الثالثة: مرحلة ظهور الدين الإسلامي على الدّين كله، وهو في الحقيقة رجوع إلى الفطرة الإنسانية الواحدة التي توحّد الأمم في عبادة الله، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ**﴾[الصف:9]. وهذه المرحلة هي الأخيرة في المسيرة الإنسانية، وإنّما تتحقّق بواسطة المشروع المهدوي، بعد أن يقطع المجتمع شوطًا طويلاً من الابتلاء والتمحيص، ليصل إلى مرحلة تُؤهِّله لوراثة الأرض، وعندها يبدأ طوراً آخر من الكدح الإنساني بعد الوراثة، تمُكّن ذلك المجتمع المتكامل من الأرض، ليقوم بالتغيير والإصلاح قي تمام الأرض قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ**﴾[الحج:41]"[1].

ج- قيامُ الناس بالقسط واليوم الموعود

من الغايات النهائية التي جُعلت لإنزال الكتب وإرسال الرسل، قيام الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد:25]. فـ "الغرض الإلهي من إرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان معهم أن يقوم الناس بالقسط، وأن يعيشوا في مجتمع عادل، وقد أنزل الحديد ليمتحن عباده في الدفاع عن مجتمعهم الصالح وبسط كلمة الحق في الأرض، مضافًا إلى ما في الحديد من منافع ينتفعون بها"[2].

1 - انظر: الساعدي، وراثة الأرض في القرآن والكتب السماوية: دراسة وتحليل، ص. ص.131-134.

2 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص171.

ومن الواضح أنّ إقامة القسط لا يُمكن أن يتحقق إلا مع رفض الباطل والمستكبرين، وتحمُّل البلاءات المتعددة، وهذا سيُوجب استضعاف الطالبين لإقامة العدل والقسط على وجه الأرض في ربوعها من قبل المستكبرين، وقد وعد الحق تبارك وتعالى أن يمُنّ عليهم بعد استضعافهم، ويجعلهم المستخلفين في الأرض، كما مرّ الحديث عن هذه الأمر.

2 - فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي ضمن المنهج القرآني

حينما نُراجع الآيات القرآنية المرتبطة بسُنة الابتلاء، نجد أنها تُشكل سُنة وقانونًا عامًّا لا يستثنى منه أحد أبداً قال تعالى: ﴿**الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ* وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ**﴾[العنكبوت:1-3].

ومن الواضح أنّ شدّة البلاءات واستمرارها يرتبط ارتباطًا وثيقاً بأهمية الغاية المقصود إيصال المبتلى إليها، وحيث إنّ المشروع المهدوي يُمثل المحور والغاية التي من أجلها بعث الله النبيين والمرسلين، بما تُمثله من محوريتها لإقامة دولة العدل الإلهي وإظهار الدين الإسلامي على الدين كله، بالإكراه والغلبة على المشركين، وتحقيق التمكين الإلهي للصالحين، وتجسيد الخلافة الإلهية المُتمثلة بخلافة الإنسان الكامل على وجه الأرض، لهذا كُلّه، لابدّ أن تكون البلاءات الحاصلة للمنتظرين والممهدين لهذا المشروع الإلهي على مستوى التمحيص المطلوب والغاية المذكورة، وتتركز فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي على أساس الأمور التالية:

أ- تمحيصُ القادة وتأهيلهم في المشروع المهدوي:

لعلّ من الغايات الواضحة في فلسفة الابتلاء، هو تأهيل القادة المُحنّكين لإقامة المشروع المهدوي، وقد بيّن القرآن الكريم جُملة من صفات هؤلاء القادة، والتي تمُثل المرتبة العالية التي لا يمكن أن تحصل إلا بالتمحيص بالابتلاءات الكثيرة، ككونهم عباد الله الصالحين الذين يرثون الأرض، ويمُكّن لهم في الأرض، ويُعطيهم السلطان والقدرة ليقيموا الصلاة فيها ويؤتوا الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قلوبهم كزُبر الحديد، لو همُّوا بإزالة الجبال لأزالوها، وغيرها من الصفات الروحية التي تحتاج إلى المجاهدة والابتلاء والاختبار المُتعدّد، حتى يصفو

لهم ذلك، فيجمعهم الله تعالى عند إمامهم في ليلة واحدة.

قال -تعالى-: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:148]. فقد ورد في تفسيرها عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل قال: «ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكة على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف[1]، يتْبع بعضهم بعضاً، وهي الآية التي قال الله -تعالى-: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:148]»[2]

ب- تأهيل الجيش معنويا ونفسيًّا:

عِدّة جيش الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف - كما في بعض الروايات - عشرة آلاف مُقاتل، يجتمعون من أصقاع الأرض إليه، وكلُّهم من شيعته، ومن الواضح أنّ هؤلاء يحتاجون إلى إعداد روحي ونفسي عالٍ، ليكونَ لهم القُدرة على تحمُّل الصّعاب والابتلاءات التي سيتعرضون لها لأجل تحقيق المشروع المهدوي، ولهذا لابدّ من جريان سُنّة التمحيص بالبلاء، لصقل مواهبهم وصفاتهم ومعنوياتهم، وقد ورد في بيان قوله -تعالى-: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[المائدة:54]. وعن سُلَيْمَانَ بْنِ هَارُونَ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ مَحْفُوظَةٌ لَهُ أَصْحَابُهُ، لَوْ ذَهَبَ النَّاسُ جَمِيعاً أَتَى اللَّهُ لَهُ بِأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ**﴾[الأنعام:89]، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ**﴾[المائدة:54]»[3].

فسُنة الاستبدال وتعيين المؤمنين الذين وصفتهم الآية بأنهم أذلّة على المؤمنين أعزَّة على

1 - أي قِطَع السحاب المتفرقة، وإنما خصّ الخريف لأنه أوّل الشتاء والسحاب فيه متفرقاً غير متراكم ولا مُطبق، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك.

2 - العياشي، تفسير العياشي، ج1 ص65، ح: 117.

3 - النعماني، الغيبة، ص316، ب 20، ح: 12.

الكافرين، إنّما يتحقق بالمجاهدة وتحمُّل البلايا والصّبر عليها، كما أنّ الجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لوم اللائمين، كلّ هذه الأوصاف تحتاج إلى مُجاهدة كبيرة لتحصل، إذ من المعلوم أنّ الفضائل الخُلقية والدرجات العالية الإيمانية، لا يُمكن أن تأتي إلا بالتّمحيص الشديد لهم، وإظهار استعداداتهم لصُحبة الإمام ونُصرته.

والآية تُبين أنّ هذا الاستبدال فضل من الله تعالى على أساس مشيئته، ومن المعلوم أنّ مشيئته تعالى قائمة على أساس السُّنن التاريخية التي تحدث عنها القرآن الكريم، ومنها سُنّة التّمحيص الحاكمة على تاريخ الأجيال عبر التاريخ، بدءًا من آدم عليه السلام وانتهاءًا إلى الاستبدال النهائي الذي سيُحقّق دولة العدل الإلهي على وجه الأرض، بواسطة المشروع المهدوي.

ت- تأهيلُ القاعدة العريضة للمشروع المهدوي:

من الأمور الواضحة وجدانيًّا، النفور من الظّلم والتّوق للعدل، وهذا الأمر الوجداني الفطري لدى الإنسان، عبرّ عنه القرآن الكريم بقيام الناس بالقسط، وجعله غاية لإرسال الرّسل وإنزال الكتب والميزان. قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد:25].

وهذا الأمر إنّما يتحقّق، إذا وصل المجتمع الإنساني إلى مرحلة الإيمان بأنّ الحلّ في إنهاء الظلم والجَوْر الذي مُلئت به الأرض، إنّما يتحقّق بالوقوف مع الحق ونصرته، وهذا الأمر يحتاج أنْ تمرَّ المجتمعات البشرية بتمحيص طويل لتتنازل عن التوجه لمصالحها الشخصية وملذاتها الدنيوية، وتهتم بنشر العدل وحَمْل رايته، وهذا ما عبرّ عنه القرآن في الآية بقيام الناس بالقسط. ومن بين هؤلاء الناس، تُوجد أمة خاصة تتّبع المشروع المهدوي، وتُؤمن به وبارتباطه بالسماء، سيكون لها الدور الأكبر في بناء دولته العادلة. وبما أنّ هؤلاء يُمثّلون الحاضنة الإيمانية الخاصة للمشروع المهدوي، فلابدّ أن يمرُّوا بتربية خاصة تُهيئهم ليكونوا المثال المُصغر في مقدمة تلك الدولة، لجذب جميع الناس على وجه الأرض، للارتباط والولاء لتلك الدول الإلهية العادلة، ومن هنا تتضاعف سُنّة البلاء والتمحيص في هذه الأمة المُمهدة للمشروع الإلهي.

3 - السُّنن التاريخية في القرآن وارتباطها بسُنّة الابتلاء في المشروع المهدوي(الأنبياء السّابقون مُمهّدون)

ذكرنا من قبل، أنّ من السُّنن التاريخية في القرآن شُمول التمحيص الإلهي لقافلة البشرية، من آدم(عليه السلام) إلى زمان إمامنا الحجة(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولهذا اعتُبرت هذه المسيرة الطويلة بتمامها تمهيدًا للمشروع المهدوي ومحوره المُتمثل بإقامة الدولة العادلة، ومن الواضح أنّ هذه السُّنة - كما يُحدّثنا القرآن - جارية في الأنبياء السابقين ومُتجسدة في حياتهم، ومن هنا، نحاول البحث في أمرين مهمين في سُنّة الابتلاء في سيرة الأنبياء السابقين:

أ- السُّنن التاريخية للقرآن: سُنّة الابتلاء وتأثيرها في المشروع المهدوي

ونعني بالسُّنن التاريخية للقرآن، "القوانين والنواميس التي تتحكم في عملية القرآن"[1]، والسؤال المُهم هنا، هو هل كشف القرآن عن سُنن تاريخية، تحدث من خلالها لنا عن كيفية إجراء سُنّة الابتلاء في تاريخ الأنبياء؟ وهل يمكن أن ننتزع تلك القوانين الحاكمة في سنة الابتلاء تاريخيًّا؟ الجواب: نعم، لقد حدّثنا القرآن عن الأنبياء ومجتمعاتهم بما هُم أناس وبشر اعتياديون يخضعون لسُنن التاريخ وقوانينه التكوينية في التغيير، وكيف أنّ سُنّة الابتلاء تكون محكومة فيهم بعدّة قوانين حتمية، وهذا ما يُمكن بيانه في القوانين التالية[2]:

1. عملية التغيير الاجتماعي والسُّنن التاريخية الحاكمة فيها: تتمثل عملية التغيير الاجتماعي في حياة الأنبياء بمجموعة من القوانين والسُّنن التاريخية الحاكمة في تلك المجتمعات، من تلك السُّنن سُنّة التدافع التي أقرها القرآن وبيّنها في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحج:40]. فالقرآن يُبيّن لنا أنّ النّصر

1 - انظر: الصدر، المدرسة القرآنية، ص47.

2 - انتزعنا هذه القواعد من بحث السيد الشهيد محمد باقر الصدر(قده) في السنن القرآنية للتاريخ، مع إضافات وتعديلات تناسب المقام، فراجع: المدرسة القرآنية، ص51.

الظاهري كمشروع تغييري تاريخي، لن "يكون من نصيب المؤمنين، إلا مع توفر الشروط التاريخية لهذا النّصر بحسب منطق سُنن التاريخ التي وضعها الله سبحانه وتعالى كونيًّا لا تشريعيًّا، ومن هذه الشروط، التدافع الحاصل بتهيئة أسباب النّصر الظاهري من قبل المؤمنين. لهذا، نجد النصر قد يتجلّى في بعض المنعطفات التاريخية للأنبياء مع المؤمنين بهم بصورة مَددٍ غيبي خارج عن إرادتهم، كما تجلّى في طوفان نوح، وإغراق الكافرين، ونجاة المؤمنين مع نوح(عليه السلام). وقد يتجلّى بصورة حكومة يقوم بها الأنبياء، مع إعطاء القدرات اللازمة للمحافظة عليها، كما حدث في ملك داوود وسليمان ويوشع بن نون من قبلهما، وقد تنعكس بصورة نصرٍ عسكري جزئي لتوفُّر شروطه، كما في معركة بدر، التي انتصر المسلمون فيها وهم أذلّة، لتمسكهم بطاعة القيادة الحقّة، وتوجههم الكامل نحو الهدف الإلهي من الحرب، بينما قد تنعكس المسألة، فيكون النّصر من نصيب أعدائهم، كما تجلّى في معركة أُحد، حيث انهزم المسلمون. فالقرآن يحدثنا عن مداولة الأيام بينهم بحسب تلك الشروط الموضوعية للنصر فيقول: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[آل عمران:140]. كما يُبيّن أنّ جماعة المؤمنين إذا لم يتهيّؤوا لتوفير الظروف الموضوعية للنّصر، فإنهم مُهددون بالاستبدال أيضًا، وليس فقط بالهزيمة الظاهرية، يقول سبحانه وتعالى ﴿**إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[التوبة:39]. وهذا التغيرُّ يُمكن أن يحصل بالنسبة للمشروع المهدوي من خلال سُنة الابتلاء السارية في المجتمعات على طول التاريخ، إلى أن يصل الى مرحلة المجتمع المهدوي القادر على النهوض بالمشروع الإلهي.

2. الصيرورة الفردية والاجتماعية وتأثيرها في سُنن التاريخ: يُؤكّد لنا القرآن الكريم وُجود صيرورة للفرد، مرتبطة بحتمية البلاءات التي يتعرض لها في حياته، ومدى تحمله لها وثباته في معسكر الحق، كذلك يُبين لنا صيرورة للمجتمعات والأمم، ترتبط بكيانهم الاجتماعي ومدى تفاعله مع المشروع الإصلاحي للمهدوية الحقّة، ولهذا يحدثنا القرآن عن أجل للفرد وأجل للأمة، يقول تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا**

﴿يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف:34]. فالقرآن يُسند الأجل في هذه الآية للأمة، ويُبين أنّ هذا الأجل حتمي لا يُمكن تغييره، لأنه يُمثل الحركة والحياة والموت، الذي تمرُّ به هذه الأمة، بوصفها مجموعة متفاعلة في ظلمها وعدلها، في سرّائها وضرّائها، ويُبيِّن القرآن – كذلك- أنّ ما يُصيب هذه الأمة من الآجال المكتوبة لها، سواء اتّصفت بالتعذيب والفناء أو بالسعادة والبقاء، له خصائص لا يُمكن تجاوزها، كعمومية السعادة والعذاب فيه، فالعذاب الدنيوي إذا نزل بأمّة لا يختص بالظالمين منها فقط، بل يعمُّ الصالحين المقصرين الذين لم يحركوا ساكنا نحو التغيير، كما حصل ذلك في بني إسرائيل، إذْ حكمت عليهم السُّنن التاريخية للبلاء بالتّيه والعذاب سنين مُتمادية، بسبب جماعة منهم انحرفوا عن الجادّة، ولم يُحرك الآخرون ساكنًا تُجاه انحرافهم. وهكذا، حينما يحلّ البلاء بالمسلمين، ويُصبح مثل يزيد بن معاوية خليفة عليهم، ولا يُحركون ساكنًا ولا يخرجون لنُصرة إمامهم الحق، فإنهم من الطبيعي سيُبتلون ببلاء عظيم ينتهي إلى أن تتحول الخلافة إلى قيصريّة وكسرويّة ومَلكية مستبدة، تُقاتل في صفّ أعداء الإسلام، وتعاونهم على إضعاف الإسلام ومشروع السّماء، حتى ينتهي الحال بهذه الأمة إلى أنْ لا تستحق أن يبقى معها قائدها في حالة حضور في ساحتها الاجتماعية الفاعلة في عملية التغيير، وهذه السُّنة عبرّ عنها القرآن بطريقة تُبيِّن مدى ثباتها وفاعليتها في حياة الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا﴾[الإسراء:76-77].

3. المحتوى الداخلي وتأثيره في عملية التغيير الاجتماعي: من الأمور الأساسية في عملية التغيير الاجتماعي الخاضعة لسُنة الابتلاء هو المحتوى الداخلي الشعوري لكلّ مجتمع من المجتمعات، ويتمثل هذا المحتوى في الفكر والإرادة في كل مجتمع من المجتمعات، إذْ بمُجرد تغيرّ المحتوى الداخلي للمجتمعات، يتغيرّ البناء العُلوي للمجتمع، أي تتغير النُّظم والأفكار وكل العلاقات القائمة في ذلك المجتمع بصورة تدريجية. فالعلاقة بين المحتوى الداخلي والبناء الفوقاني والتاريخي للمجتمعات، تمثل علاقة التبعيّة، وهي سُنّة من السُّنن لتاريخية التي تتأثر بعملية التمحيص والابتلاء، يقول

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد:11]. فالآية تُبيّن العلاقة القائمة بين المحتوى الداخلي والبناء العلوي للمجتمع، وهذا التغيُّر الداخلي أساس في عملية البناء المجتمعي للمشروع المهدوي، ولهذا، لابدّ من إخضاعه لعامل إلهي يُحفز الفكر والإرادة على التغيير العلوي في البناء الاجتماعي: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران:154].

4. الظواهر التاريخية وتأثير السُّنن التاريخية فيها: من الأمور المهمة أيضًا في السُّنن التاريخية، المساحة التي تستوعبها السُّنن التاريخية، فالساحة التاريخية تشتمل على جملة من الظواهر الكونية والطبيعية، ولكنها لا تتحكم إلا في ميدان خاص يُعبرّ عنه بالظواهر التاريخية، وهي ظواهر متميزة تميزاً نوعيًّا عن بقية الساحات الكونية، فهي تمثل نوع من العلاقة الغائية مع تلك الظواهر، بمعنى أنّ الظواهر التاريخية والحوادث التاريخية التي تمرّ بها الأمم، ستُمثل الفاعل لتلك الغايات التي تقع بإرادة تلك الأمم والمجتمعات. كما أنّ تلك الظواهر التاريخية تحتاج إلى أرضية اجتماعية صالحة لتحقيق تلك الغايات، فالعمل الذي يتحوّل إلى موج يتعدّى حدود العامل الفردي إلى المجتمع وامتداداته التاريخية، بحيث يُمثل المجتمع فيه الأرضية الصالحة والعلّة المادية لتطبيق تلك الأهداف للظاهرة التاريخية.

ب- أنواع المُثل العليا في القرآن

يُعتبر المثل الأعلى، المحور الأساس في عملية التغيير للمحتوى الداخلي في المجتمع(الفكر والإرادة)، والذي على أساسه يتبدّل البناء الفوقاني له (العلاقات والأنظمة والأفكار وتوابعها)، إذْ يُحدّد المحتوى الداخلي الغايات التي يتحرك على أساسها التاريخ من خلال سُنّة الابتلاء، وهذه الغايات التي تُحرك التاريخ يُحدّدها المثل الأعلى، فإنها جميعًا تنبثق عن وجهة نظر رئيسة لمُثل أعلى للجماعة البشرية، إذ المثل الأعلى هو الذي يُحدّد الغايات التفصيلية في حياة الجماعة البشرية، ومن خلالها تنبثق مجموعة من الغايات الفرعية والجزئية المُحركة لعجلة التاريخ الاجتماعي، وبقدر ما يكون المثل الأعلى للمجتمع صالحًا وعاليًّا ومُمتدًّا، تكون تلك الغايات صالحة وممتدة، وبقدر

ما يكون المثل الأعلى محدودًا ومنخفضًا في غاياته، تكون الغيات الجزئية المنبثقة عن غاياته في المجتمع محدودة ومنخفضة أيضًا، وهذه المُثل العليا التي تتبنّاها الجماعة البشرية على ثلاثة أقسام[1]:

1. المُثل العليا المُنخفضة: وهي المُثل التي تستمدُّ تصوراتها وغاياتها من الواقع نفسه الذي تعيشه الأمم والجماعات، ولهذا لا تستطيع التغيير في المستقبل، إذ المَثل الأعلى حينما يكون منتزعًا من واقع الجماعة بحُدودها وقُيودها وشُؤونها، فإنّه يُصبح حالة تكرارية موجبة لتجميد الواقع، وتحويلاً لهذا الواقع من حالة نسبية يُراد تغييرها إلى حالة مُطلقة لا يتصوّر الإنسان هدفًا وراءها، وبهذا يتحول التاريخ الى حالة تكرارية في التكوين الاجتماعي للإنسان، ومن هنا، تأتي سُنّة الابتلاء حتى تفصل المجتمع عن هذا المثل الأعلى الذي ساعد على تبلوره في المجتمع الألفة والعادة والتسلط الفرعوني على مرّ التاريخ، ولهذا يكون اعتراض الجماعة المُتمسكة به، بأنّ المثل الأعلى الجديد خلاف ما ألفوه من المُثل الأعلى، كما قال تعالى: ﴿**قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ**﴾[البقرة:170]. كما أنّ التسلُّط الفرعوني يُوجب إغماض عيون الأمة والجماعة وحبسها في إطار نظرته الخاصة، قال تعالى حاكياً قول فرعون: ﴿ **قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ**﴾[غافر:29].

2. المُثل العُليا المُشتقة من طموح محدود: وهو المَثل الأعلى المُشتق من تطلّع الأمة إلى المستقبل، فليس هذا المثل حالة تكرارية يعيشها المجتمع، بل عبارة عن تطلّع إلى المستقبل نحو الأبداع والتطوير، لكنه مثلٌ مُنتزع من رؤية مستقبلية محدودة، والأمر الخطير في هذا المثل الأعلى، أنّ الإنسان بمُقتضى محدوديته الذهنية، لا يستوعب برؤيته الطريق الطويل إلا النفحة المقيدة من المطلق، ولكنه يقوم بتحويل هذه الومضة المحدودة من النور التي يقبضها من ذلك المطلق، إلى هدف مطلق يتمثله في المَثل الأعلى المنتزع من طموحه، يُحوّلها إلى نور السماوات والأرض، وإشراق ذلك النور على وجه الأرض، فيقوم بتعميمه أفقيًّا وزمانيًّا حتى يملأ تمام أفق الحركة وزمانها به،

1 - انظر عن هذه الأقسام: الصدر، المدرسة القرآنية، ص. ص. 119-156. (بتلخيص وتصرف).

كما فعل الإنساني الأوروبي الحديث في بدايات عصر النهضة، حينما وضع الحرية مثلاً أعلى يدافع عنها ويُحاول تعميمها أفقيًّا على كل الشعوب والحضارات، حتى وصل بسبب ذلك إلى الهاوية.

3. المَثل الأعلى الحقيقي: وهو المُتمثل بحقيقة عُليَا قائمة بذاتها وتملأ مسيرة الإنسان ووعيه، وهو عبارة عن الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ**﴾[الانشقاق:6]. فالإنسانية بمجموعها تكدح نحو الله سبحانه وتعالى، بمعنى السّير المستمر بالمعاناة وبالجهد والمجاهدة، فالآية لا تقول: تعالوا إلى الله أو سيروا أو توبوا، بل تتحدث عن واقع ثابت وحقيقة قائمة، وهي أنّ كل سَيْر وتقدُّم للإنسان في مسيرته التاريخية الطويلة الأمد فهو تقدم نحو الله تعالى، بل حتى تلك المجتمعات التي تمسكت بالمُثل العُليا المنخفضة والمحدودة، وبالآلهة المصطنعة واستطاعت أنْ تُحقق لها سيراً وتقدمًا محدودًا في هذا الطريق الطويل، هي سائرة في الحقيقة نحو الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ**﴾[النور:39]. والوصول إلى الله سبحانه وتعالى وإن كان نهاية الطريق، لكنه ليس نهاية جغرافية واقعة في آخر الطريق فحسب، بل هو حقيقة موجودة على طول الطريق ومع السائر في الطريق، حتى ذلك الذي اتّخذ من المُثل العليا المُزيفة والمحدودة مثلا له، فإنه حينما يتوقّف ويجد أنها سرابٌ بقيعة يحسبه الظمئان ماءًا، فإنّه سيجد الله تعالى عنده، يُوفيه حسابه.لكن ماهو الفرق بين الحركتين؟ الفرق أنّ الحركة نحو المَثل الأعلى الحقيقي الذي هو الله، ستكون حركة مسؤولة وهادفة حقيقية، وتُحدث تغييراً كميًّا وكيفيًّا في تلك المسيرة، لأنّ ذلك المثل الأعلى الحقيقي (الله)، يمُثل حقيقة موضوعية منفصلة عن خيال الانسان واصطناعه، ولهذا يعطي للمسؤولية شرطها المنطقي من جهة وجود مسؤول، ومسؤول لديه حقيقي، بينما في تلك المُثل الخيالية والمصطنعة، والتي هي إفراز بشريّ لا غير، فإنها لن تصنع الشعور الموضوعي بالمسؤولية. نعم، قد تصنع قوانين وعادات وأخلاقًا، ولكنها كلها غطاء ظاهري، ولهذا كلما وجد الإنسان مجالاً للتحلُّل من هذه العادات والأخلاق والقوانين فسوف يتحلّل منها.

ت- تجسيد المُثل العليا الحقيقية في سُنّة الابتلاء

من الأمور المُهمة التي يُحاول القرآن التوصُّل إليها - من خلال عرض بلاءات الأنبياء وتمحيصهم في أممهم التي عاشوا فيها-، تجسيد الأسوة الحسنة الرابطة بين المُثل الأعلى الحقيقي وبين البشرية، ليُنتج عن ذلك تبنِّي البشرية لهذا المثل الأعلى، وهذا التبنِّي يتوقف على وجود رؤية واضحة فكريًّا وأيدولوجيًّا لهذا المثل الأعلى، وعلى طاقة روحية مستمدة من ذلك المثل الأعلى الحقيقي، وصلة موضوعية بين الإنسان وبين هذا المثل الأعلى، كما أنه يتوقف على دخول المجتمع في مرحلة الاختلاف التي تهدف إلى خلع المُثل العُليا المنخفضة والتكرارية والمحدودية المصطنعة، واستبدالها بالمثل الأعلى الحقيقي.

ومن هنا، تتولد الحاجة إلى الأسوة الحسنة لتحمُّل البلاءات في عملية التغيير وإدارة المعركة وحفظها من الانحراف، وهذه الأسوة تبلورت بصورة النبوة أوّلاً، ثم استمرّت بصورة الإمامة ثانيًّا، وستنتهي بصورة المشروع المهدوي المتمثل بإقامة الدولة العادلة ثالثًا، ومن هنا لابدّ أن تتمثل تلك الأسوة في عدة صفات تحقق الربط الموضوعي بين المجتمع والمثل الأعلى الحقيقي أي(الله) -عزّ وجل-:

1. الإيمان بالمَدد الغَيبي: من الصِّفات المهمة في المُنتظر الحقيقي، قضية الإيمان بالمَدد الغيبي من قبل الله تعالى لنُصرته، وقد تجلّت هذه الصفة كثيراً في شخصية الأنبياء جميعًا من جهة ارتباطهم بالله تعالى، وقد عرض القرآن الكريم لهذا أمثل مُتعدّدة، منها ما ورد في قصة موسى عليه السلام حينما أتبعهم فرعون إلى البحر فقال قومه لما رأوا فرعون وجنوده: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾[الشعراء:61]، فردَّ موسى عليهم مذكراً لهم بأنه مادام الله معهم فإنه سيهديهم إلى طريق النصر والخلاص: ﴿**قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأَخَرِينَ* وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ* إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[الشعراء: 62-67]. فهذه الآيات تحدثنا أنّ المدد الإلهي إنّما جاءهم من جهة إيمانهم بالحضور الإلهي، وأنّ الله تعالى هاديهم وناصرهم، ولهذا جعل القرآن هذه القصة من الآيات الواضحة على لزوم التأسِّي بالقائد، لجهة إيمانهم بالمدد الغيبي، وأن الله تعالى حاضر ناظرٌ في الميدان، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. ونقتصر على

هذه القصة، وإلاّ ففي قَصص الأنبياء الآخرين نموذج واضحة على هذا العنصر المذكور.

2. الصّبر والتحمُّل في سبيل المشروع الإلهي: من الصفات الأخرى التي يعرضها القرآن في الأسوة الحسنة - والمهمة في المُنتظر الحقيقي للمشروع المهدوي- قضية الصّبر عند البلاء، وتأثيرها في مجيء الفرج الإلهي، مسألة الصّبر وحُسنه عند البلاء. فقد لا نعدو التمثيل في المقام بما حصل لنبي الله أيوب﵇ حينما ابتلاه الله تعالى، وسلّط الشيطان على بدنه وعياله وماله، فصبر على البلاء حتى رفعه الله تعالى عنه، وقد مدحه الله تعالى على ذلك في كتابه فقال ﴿**وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾[ص:44].

3. التوكل على الله تعالى والانقطاع عن الأسباب الظاهرية: ومن الأوصاف المُهمة التي يعرضها القرآن للأسوة الحسنة عند نزول البلاء، وقارُها وتوكُّلها على الله تعالى، وعدم النظر للأسباب الظاهرية التي تُظهر غلبة الباطل والظلم وضعف الحق ووحدته، فقد تُزلزَل قدم المهدوي المُنتظر في البلاءات، نتيجة لما يراه من قدرة الباطل وقوته ووحدة الحق وقلّة الناصر والمُعين، فينسى ربّه ومدده الإلهي، ويغفل عن قدرته غير المتناهية، فينقطع عن التوكل به، مع أنّ على المُؤمن أن يتوكل على ربّه في الشدّة والرخاء.

وفي المقام، تُعتبر قضية إبراهيم﵇ من القضايا المهمة في بيان التوكل والتسليم لله تعالى في عمله، إذ بعد أن ﴿**قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ**﴾[الأنبياء:68]. سلّم إبراهيم أمره لله تعالى وتوكّل على ربه تبارك وتعالى، ولم يطلب حتى من جبرئيل العون والمَدد، إذْ ورد أنه لما "أَمَرَ نمْرُود بجَمْع الْحَطَب.. وأَوْقَدَ النَّارَ فَعَجَزُوا عَنْ رَمْي إِبْرَاهِيمَ، فَعَمِلَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْمَنْجَنِيقَ فَرُمِيَ به فَتَلَقَّاهُ جَبْرَئِيلُ في الْهَوَاء، فَقَالَ هَلْ لَكَ منْ حَاجَةٍ فَقَالَ أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، فَاسْتَقْبَلَهُ ميكَائِيلُ فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ أَخْمَدْتُ النَّارَ فَإِنَّ خَزَائِنَ الْأَمْطَار وَ الْمِيَاه بيَدي، فَقَالَ: لاَ أُريدُ وَأَتَاهُ مَلَكُ الرِّيح، فَقَالَ لَوْ شِئْتَ طَيَّرْتُ النَّارَ، قَالَ: لاَ أُريدُ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: فَاسْأَل اللَّهَ فَقَالَ حَسْبِي منْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بحَالِي، "فأنجاه الله تعالى، إذ قال: ﴿**قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ**﴾[الأنبياء:68]. فمقامُ التوكل من المقامات التي تُوصل العبد إلى أعلى مراتب التسليم والتوحيد الأفعالي المطلوب في المشروع المهدوي.

ثالثًا: فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي.. قراءة حديثية

1 - النظرية الرّوائية لفلسفة الابتلاء

تُبيّن الروايات أنّ سُنّة البلاء من السّنن الجارية في الأمم السابقة وأنبيائهم، كما هي جارية في الأمة الإسلامية مع نبيها وأوصيائه بالحق، وقد بيّنت الروايات لهذه البلاء عدّة غايات كرفع الدرجات وبناء المجتمع وتربيته وتطويره وربطه بالأسوة الحسنة المتمثلة بالنبي الأكرم وأهل البيت عليهم السلام وتمحيص المؤمنين لتمييز الصادق عن غيره، فعن «مصعب بن سعد عن أبيه قال: قُلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتدّ بلاه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا زياد إنّ الله يتعهّد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهّد الغائب أهله بالهدية، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض»[2]، وقد يكون البلاء بالأمراض والعاهات وتلف الأهل والأولاد، وجار سوء، وتنغيصاً للذات، أو تسليطًا للحاكم الظالم، ليُقلع العبد عن معصيته ويتذكر المُتذكر آخرته، ويستدرّ المؤمن المُستغفر رزق ربه ورحمته. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ ورَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً**﴾[نوح: 10-11-12]، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ»[3]. وقد يكون البلاء تمحيصاً للذنوب ورفعًا للدرجات، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم، لتسلم بها طاعاتهم، ويستحقُّوا عليها ثوابها»[4].

1 - الطيالسي، مسند أبي داوود، ج1 ص174، ح: 212.
2 - ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، كتاب التمحيص، ص398.
3 - الشريف الرضي، نهج البلاغة(صبحي الصالح)، ص199.
4 - ابن شعبة الحراني، تحف العقول، كتاب التمحيص، ص391.

2 - المنهج الرّوائي في عرض المشروع المهدوي

تعرضت الروايات بصورة مستفيضة - بل متواترة معنويًّا وإجماليًّا - لقضية الإمام المهدي عليه السلام منذ ولادته وما أُحيط من تهديدات للسلطة الحاكمة وما اتّخذه من نظام وهرمية في إدارة شيعته ومشروعه الإلهي في بناء الدولة العادلة. وقد تعرّضت كتب الحديث والتاريخ للروايات المتعلقة بذلك، سنُسلط الضوء على المنهج الذي اتّبعته الروايات وكتب التاريخ في عرض هذا المشروع:

أ- ترسيخ فكرة القيادة المهدوية في وعي الأمة ووِجدانها

من الأمور المهمة التي حاولت الأحاديث النبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام ترسيخها والتوجيه لها، هي عملية زرع فكرة القيادة السماوية للمشروع المهدوي، فالمهدي ليس مجرد أسطورة يحاول الفكر الإنساني خلقها وترسيخها في وعي المجتمعات ليزرع الأمل فيها، بل هي حقيقة تاريخية تحدثت عنها مئات الأحاديث والروايات وبأساليب متعددة، إذ المُراجع للنصوص الروائية يجدها تُبين وبصراحة أنّ الأئمة والخلفاء إثنا عشر خليفة[1]، وأنّ الأخير منهم هو مهدي هذه الأمة، وأنّه من أهل البيت[2]، ومن وُلد فاطمة[3]، ومن ذرية الحسين عليه السلام[4]، وأنّه التاسع من وُلد الحسين عليه السلام[5]. فكل هذه الروايات تُجسد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد بلغت تلك الروايات درجة كبيرة من التواتر والانتشار، على الرغم من تحفظ الأئمة عليهم السلام واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام، وقاية وحفظاً للخَلَف الصالح من الاغتيال أو الإجهاز على حياته.

ب- جدليّة التعريف بالقيادة مع حفظها من السلطات الظالمة

من الأمور التي تعرضت لها قيادة أهل البيت عليهم السلام للمشروع الإلهي، هو كيفية المحافظة على

1 - انظر: الكلبايكاني، منتخب الأثر في الامام الثاني عشر، ج1، ص 19-254.
2 - انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج8، ص 678.
3 - انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص267.
4 - انظر: ابن حماد المروزي، كتاب الفتن، ص 229.
5 - انظر: الخزاز، كفاية الأثر، ص250.

القائد الإلهي لهذا المشروع، مع التعريف به، حتى لا تتحوّل القضية إلى حالة من الشك الموجب لإنكار وجوده، وقد حاول الإمام العسكري(عليه السلام) أن يقوم بعدة خطوات للجمع بين التعريف به مع حفظه من التعرض للقتل. فمن جهة نجد الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف) يجعل لأُمِّ الإمام(عليه السلام) أسماء متعددة لأجل أن يلتبس الأمر على السلطات العباسية، ويُخفي ولادته حتى عن خادمه الذي يسكن في داره، إلى أن بلغ الإمام آوان وفاته، فيُعلن عن الإمام بعده، ويعرِّف شخصه لإصحابه، في مجلس يغصُّ بالخُلّص منهم، كأمثال محمد بن عثمان بن سعيد العمري، ومعاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب وغيرهم من خُلَّص أصحابه ومُريديه، فيقول لهم: "هَذَا صَاحِبُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقَائِمُ الَّذِي تَمْتَدُّ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ بِالانْتِظَارِ فَإِذَا امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً خَرَجَ فَمَلَأَهَا قِسْطاً وَعَدْلاً"[1].

ث- تمهيد الأمة لتحمُّل غيبة القائد

ومن الأمور المُهمة التي قام بها الإمام(عليه السلام) وعرضتها الروايات، التمهيد النفسي للأمة لتتحمّل غياب القائم مع المحافظة على الإيمان به، لأنّ فَقْد الإمام بصورة تدريجية قد يُوجب ارتداد القواعد، وتزلزل إيمانها به، ولهذا سُنة الابتلاء التي مرّ بها الإمام العسكري(عليه السلام) أوجبت بصورة طبيعية تكوين نظام الوكالة والنيابة الخاصة، التي شُرِّعت من زمان الإمام الهادي والعسكري(عليهما السلام)، ثم استمرت إلى زمان الإمام الحجة المنتظر.

كما كان التمهيد للغيبة الكبرى، بنفس نظام النيابة، حيث ولّد اللقاء المباشر مع الإمام(عليه السلام) حالة من التهيؤ النفسي الطبيعي لتحمّل الغيبة الكبرى، والرجوع إلى ما أسّسه الأئمة(عليهم السلام) في أزمنة متقدمة كما في زمان الإمام الباقر والصادق(عليهما السلام) من إرجاع شيعتهم إلى العلماء، مع حاجتهم إلى المراجعة والسؤال وعدم حضورهم لدى الإمام. هذه الحاجة التي تضاعفت بعد غيبته الصغرى، وصارت بديلاً طبيعيًّا عن غَيبته في زمان الغيبة الكبرى في الاستفتاء والرجوع، مع أنّ للإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف) آثار وثمرات لا يُمكن إنكارها حتى في زمان غيبته(عليه السلام)، عبّر عنها النبي الأكرم حينما سأله جابر بن عبد الله الأنصاري عن وجه الانتفاع بالإمام الغائب فقال(صلى الله عليه وآله): «إِي وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ، إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ وَ يَنْتَفِعُونَ

1 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص431، ح: 8.

بِوَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ تَجَلَّلَهَا سَحَابٌ»[1].

ج- حركيّة الانتظار في بناء القاعدة

ومن الأمور التي ركّزت عليها الروايات في بيان المشروع المهدوي، مسألة الانتظار، حيث قال النبي الأكرمﷺ: «إنّ "أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزوجل»[2]. وقد ذكرنا سابقاً، أنّ الانتظار "مفهوم إسلامي وقيمة حضارية يدخل في تكوين عقليتنا وأسلوب تفكيرنا ومنهج حياتنا ورؤيتنا للمستقبل بشكل فاعل ومؤثر ، بل يدخل مفهوم الانتظار في صياغة عقليتنا السياسية والحركية، وللانتظار نحوين أساسيين في الأمة:

1. الانتظار الإنقاذي: بمعنى أنّ الإنسان الذي ليس بوسعه القيام بالتغيير وعنده نوع من الانهزام الداخلي، فإن الانتظار يُولد في داخله حالة الأمل، ويبعث في نفسه نوعًا من المقاومة، كمقاومة الغريق الذي ينتظر فرق الإنقاذ، فإنه لا يستسلم للغرق، بل يُحاول أن يستجمع قواه ويُقاوم التيارات المائية التي تُريد إغراقه، إلى أن يصل المدد الإنساني من فرق الإنقاذ، فالانتظار للإمامعجل الله فرجه الشريف يُولِّد فينا حالة من الأمل التي تخترق الظلمات التي تكتنف حياة الإنسان، وتبعث فيه المقاومة والصبر إلى أن يأتي المدَد الغَيبي.

2. الانتظار الحَركي: في هذا النوع من الانتظار، يُولد عند الإنسان حالة من البحث عن العلاج المعجل للمدد الإلهي، إذ من الممكن أن يُعجّل له اليُمْن بظهور إمامه وبناء المشروع المهدوي من خلال التهيئة والإعداد له، فالأمل في هذا النوع من الانتظار يمكّن الإنسان من اختراق الحاضر ورؤية المستقبل، كما يُولد فيه مقاومة تمُكِّنه من مواصلة الصمود مع تهيئة أسباب النصر للموعود القادم، كما أنه يُولد نوعًا من الحركة، تُحقّق الخلاص والنجاة والقوة والغنى والكفاءة"[3].

1 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج1،ص 253.
2 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2،ص 644، ح: 3.
3 - مجموعة مؤلفين، العدل المنتظر، ص. ص. 60-62 (بتصرف).

3 - فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي ضمن المنهج الروائي

من هنا، يأتي دور الابتلاء كحالة تُفعِّل في الأمة حالة الانتظار الحركي، وتُولّد من خلاله القدرة على البناء، لأن التمحيص بالبلاءات كما ورد في الروايات ترفع من استعداد الانسان ودرجاته وكفاءته لمجي القائد الموعود، كما إنّها تُحوِّل مفهوم الانتظار من حالة الرّتابة السلبية التي يعيشها البعض تجاه المواقف الدينية، وتضطره للتفكر في موقفه وموقعيته من تلك الأحداث الدائرة حوله. كما أنّ الابتلاء بالمشروع المهدوي يُولّد في النفس حالة من الخوف الإيجابي من الانحراف، إذ مادامت السُّنن التاريخية للابتلاء كسُنّة التدافع والاستبدال وغيرها، تُحدّد الفئة الكفُؤة التي تستحقُّ أن تكون في جبهة الحق، ولهذا نجد الروايات حينما تعرض لمسألة الابتلاء في القضية المهدوية فإنها تعرضها ضمن النماذج التالية:

أ- مَنْ ينتظر مَنْ ؟

من الأمور الواضحة في عملية الانتظار، أن يكون المُنتظر هو الذي يتطلّع للفرج ويُحاول أن يُهيئ تمام العناصر المطلوبة لقدومه، والروايات وإن عبرّت عن عملية التغيير التي سيقوم بها الإمام الحجة، بكونه "سيملأ الأرض عدلا كما مُلئت ظُلمًا وجورًا"، ولكنها لا تعني من ذلك أنّ الانتظار للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مُجرد حالة من الرصد لعملية انتشار الظلم والجَوْر في الأرض، بل تستبطن ظاهرة الانتظار حالة من الحركة والتهيؤ لعملية التغيير الكبرى، فإنّ الظهور الأكبر للإمام يحتاج إلى ظهور أصغر في نفوس المؤمنين به، من جهة تحقُّق الأنصار الذي يُوطِّئون الأرض ويمُهدونها لثورته المباركة. ومن هنا يتحوّل الانتظار من حالة من السكون والرّصد إلى حالة من الحركة والاستعداد.

وهنا يأتي دور الابتلاء ليكون المُحرك القوي لتفجير الطاقات وتحرير الاستعدادات اللازمة لقدوم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف. فدولة العدل الإلهي والحكومة الإلهية الواحدة للعالم تحتاج إلى إعداد خاص للكفاءات التي تقنع العالم بصلاحيتها لإدارته وتحول المعركة بين المستكبرين والمُستضعفين إلى حرب بين من هو الوارث الحقيقي المُستحق لخلافة الأرض، وبين المُتطفل المُفسد الذي أُعطي فرصته فلم يُولد من قيادته إلا إفساد الحرث والنسل.

ب- ائتلاف القُلوب مرهون بالبلاء

ومن الأمور التي أكّدت عليها الروايات، كسبب لتأخُّر اليُمن بقيام المشروع المهدوي، هو قضية ائتلاف القلوب واجتماعها على الحق، فالإنسان الذي ينتظر الإمام عليه السلام عليه أن يُحسّ بذلك الجسد الإيماني والإسلامي الكبير الذي يُحيط به، إذ لا مكان للأنانية والكراهية والتفرق القلبي في مشروع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ورد في رسالته عليه السلام للشيخ المفيد: «وَإِنْ كُنَّا ثَاوِينَ بِمَكَانِنَا النَّائِي عَنْ مَسَاكِنِ الظَّالِمِينَ، حَسَبَ الَّذِي أَرَانَاهُ اللَّهُ لَنَا مِنَ الصَّلَاحِ وَلِشِيعَتِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مَا دَامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيَا لِلْفَاسِقِينَ، فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْماً بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَإِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَلا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ، وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا [وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ] عَلَى اجْتِمَاعٍ الْقُلُوبِ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا، فَمَا يُحْبَسُ عَنْهُمْ مُشَاهَدَتُنَا إِلَّا لِمَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ»[1]. فالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يُبين أنّ تأخُّر اليُمن باللقاء، هو بسبب افتراق قلوب شيعته وعدم اجتماعها، ومن هنا، تأتي سُنّة البلاء لتقوِّم هذا الاختلاف، وتجمع القلوب على طلب اليُمن بلقائه عجل الله تعالى فرجه الشريف عملاً بوصيّته المُباركة.

ت- تحرير الطاقات

من الأمور المُهمة التي تترتّب على سُنّة البلاء في المشروع المهدوي، تفجير الطاقات التي تحدثنا عنها في المقدمات، وذلك لأنّ البلاءات المُتعدّدة تجعل المؤمن بالمشروع الإلهي يُصحّح علاقته مع أخيه الإنسان، وعلاقته مع الطبيعة والمجتمع الذي يحيط به. فعلاقته مع الطبيعة التي سخرها الله تعالى تحت سلطانه تُوجب له الطغيان والخروج عن الصراط، فيأتي البلاء ليُصحِّح المعادلة ويُرجعه الى طريق الفلاح، كما أن الطغيان على إخوانه ومجتمعه أو الإهمال لهم وعدم الاهتمام ببنائهم، يُوجب حالة من اللامبالاة تجاههم والأنانية في التعامل معهم، فيأتي دور البلاء ليُمحِّص المؤمنين ويرجعهم إلى نِصاب المشروع الإلهي المتمثل بالدولة المهدوية العادلة، كما

1 - الروانديّ، الخرائج والجرائح، ج2 ص 902.

يفرز الصادقين من الكاذبين في دعواهم النُّصرة له، وما حديث الرايات اليمانية والخراسانية التي تنطلق لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف إلا إعلانًا واضحًا لتفجير الطاقات وتهيئتها لقدومه المبارك.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

1 - النتائج

خرجنا من هذا البحث بعدّة نتائج مهمة هي:

- إنّ الابتلاء يُشكّل سُنّة إلهية جارية في الأمم السابقة وفي هذه الأمة، تمهيداً لتحقيق المشروع المهدوي المُبارك.
- إنّ المشروع المهدوي يتقوَّم بعدَّة أبعاد، كالبُعد النفسي والإيماني والأخلاقي والاجتماعي في القضية المهدوية.
- تقوم الرؤية القرآنية للمشروع المهدوي على أساس ركائز مهمة، محورها التوحيد وإبراز القدوة الصالحة في تحمُّل البلاء لإجل الدولة العادلة والوراثة الصالحة للأرض.
- إنّ الرُّؤية الحديثية للمشروع المهدوي، هي الأخرى تقوم على أُسس ومرتكزات تتمحور حول بيان معالم المشروع المهدوي وأهدافه وبيان وظائف المنتظرين في زمان الغَيبة لذلك المشروع، وعرض الملاحم والفتن التي سيتعرّضون لها قُبيل انطلاق المشروع، وفي عصره لتحقُّق التهيُّؤ اللازم لهم من خلال ذلك.
- اهتمّ القرآن بعرض السُّنن التاريخية الحاكمة على سُنة الابتلاء وبيان الارتباط الوثيق بينها، وبيّن توليد القاعدة الواعية والمرتبطة بالمَثل الأعلى الحقيقي المتمثل بالحق تبارك

وتعالى، من خلال القدوة والأسوة الصالحة لهذا المثل الأعلى، كما أنّها بيّنت كيفية تجسيد ذلك المثل الأعلى في المشروع المهدوي، ومدى تأثير سُنّة البلاء في تجسيده.

- اتّضح أنّ سُنّة الابتلاء هي الأساس في تحقيق الانتظار الحركي، واجتماع القُلوب للقاعدة المؤمنة بالمشروع المهدوي، والمُوجبة لتحرير الطاقات في سبيل التهيؤ للمشروع الإلهي المُتمثل بدولة العدل الإلهي.

2 - التوصيات

تُوجد في المقام عدّة توصيات خرجنا بها من خلال مفاصل هذا البحث، وهي:

- لابدّ من عمل دراسات خاصة عن السُنن الكونية والتاريخية الحاكمة في فلسفة الابتلاء في القضية المهدوية، لاستيعاب كل النواحي المهمة فيها، لما لها من تأثير كبير في إعداد القادة والقاعدة المُمهدة لدولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

- لابدّ من التركيز على بيان شكل الدولة التي سيحكمها الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومستوى الكفاءات التي يحتاجها في إدارته حتى تتمّ التهيئة لها في زمان انتظاره، مع بُلوغنا إلى المعالم الواضحة لظهوره المبارك إن شاء الله تعالى.

- من الأبحاث المُهمة التي تحتاج إلى استيعاب وبيان، نذكر: بيان الأبعاد الإنسانية في المشروع المهدوي لتمهيد الدعوة له في ربوع المعمورة، فإنّ كثيراً من الشعوب، وخصوصًا الغربية منها، تجهل النموذج الحقيقي لدولة الوراثة الإلهية ولا تفهمه، إلا من خلال المُثل المنخفضة والمحدودة المصطنعة التي يُروّج لها الغرب، ويُحاول تصديرها إلى مجتمعاتنا الإسلامية كذلك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

■ الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، تصدرها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط4 - 1995م.

■ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دفتر تبليغات إسلامي، حوزه علمية قم، قم- إيران، ط1 - 1404هـ.

■ البحراني، هاشم بن سليمان، المحجة فيما نزل في القائم الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحقيق: محمد منير الميلاني، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 - 1992م.

■ الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ذوي القربى، قم- إيران، ط-3 1429هـ.

■ الخزاز ، الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: حسين الكوهكمري، عبد اللطيف، منشورات بيدار، قم- إيران، ط1 - 1401هـ.

■ الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، الدار الشامية- دار العلم، لبنان- سورية، ط1 - 1412هـ.

■ الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم- إيران، ط1 - لسنة 1409هـ.

■ الساعدي، نور مهدي كاظم، وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية: دراسة وتحليل، رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه/ جامعة الكوفة، إشراف: أ.م. د. ستار جبر حمود

الأعرجي، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي(عج)، ط1 - 2012م.

■ الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تعليق صبحي الصالح، دار هجرت، قم- إيران، ط1 - 1414هـ.

■ الشيخ الرئيس ، عباس، موعود الأمم، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم- إيران، ط1 - 2008م.

■ الصالح، صبحي ، نهج البلاغة، مؤسسة هجرت، قم- إيران، ط1 - 1414هـ.

■ الصدر ، محمد باقر، المدرسة القرآنية، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم-إيران، ط1 - 1421هـ.

■ الصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الدار الإسلامية، طهران، ط2 - 1395هـ.

■ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، صفات الشيعة، مطبعة الأعلمي، طهران- إيران، ط-1 1362 هـ.ش.

■ الصنيع، صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف، التدين والصحة النفسية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1 - 2000م.

■ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مكتب النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، قم- إيران، ط-5 1417هـ.

■ الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1 - 1994م.

■ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد جواد البلاغي، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ط3 - 1372هـ. ش.

■ طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، المسيح المنتظر ونهاية العالم، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، ط4 - 2002م.

■ الطيالسي، أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود، دار الهجرة، مصر، ط1 - 1999م.

■ العسكري، أبو هلال الجزائري، نور الدين، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم- إيران، ط7 - 1436هـ .ق.

■ العسكري، نجم الدين الشريف، الإمام المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، منشورات العتبة العلوية - شعبة إحياء التراث والتحقيق، النجف الأشرف- العراق، ط1 - 2015م.

■ العياشي، محمود بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم رسولي محلاتي، المطبعة العلمية - طهران، ط1 - 1380 هـ. ش.

■ القمي، علي بن أبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم- إيران، ط3 - 1363هـ. ش.

■ قيدارة، الأسعد بن علي، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف – العراق، ط1 - 1432هـ.

■ الكلبايكاني، لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر(ع)، مطبعة كوثر، مركز نشر وتوزيع الآثار العلمية في مكتب آية الله الصافي الكلبايكاني، قم- إيران، ط3 - 1430هـ.

■ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، تهران-إيران، ط4 - 1407هـ.

■ الكوفي، ابن أبي شيبة، الكتاب المُصنّف في الأحاديث والآثار، تقديم وضبط : كمال يوسف

الحوت، دار التاج، بيروت، ط1 - 1989م.

■ الليثي، الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تصحيح: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث، قم- إيران، ط1 - 1376 هـ. ش.

■ مجموعة باحثين، العدل المنتظر مقالات مهدوية، مجلة بقية الله، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط1 - 2022م.

■ المروزي، نعيم بن حماد، كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط1 - 1412هـ.

■ ناجح حسين ، نور ، المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، تقديم ومراجعة: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، نشر : مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف الأشرف- العراق، ط1 - 1440هـ .

■ النعماني، ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم، الغَيبة للنعماني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات الصدوق، طهران، ط1 - 1397هـ.

فلسفةُ إقامة العَدل ونهاية الظُّلم في المجتمع المهدويّ

قراءة موازنة مع النصّ القرآنيّ

◆ أ. عبد الخالق مرحب[1]

■ **خلاصة**

إنّ ضمَّ مُفردة (فلسفة) إلى دالّة العدل، ينتخب نّسقًا من الإجراء المنهجيّ تتواجد مُعطياته في فلسفة الأخلاق، التي تُعنى بمباحثة موضوع أخلاقيّ ما، من حيث مفاهيمه ومقوّماته وأواصل ربطه بالواقع، وأصناف تشكّلاته وغاياته المُنتهى إليها، وهذا ما اختطته مقاصد هذا البحث.

كما أنّ موازنة الموضوع قرآنيًّا، هو نشاط تأويليّ يتركّب من استنطاق الآيات القرآنيّة، بالرجوع إلى ما تُحيل إليه مرويات الظهور المهدويّ من وقائع وأحداث، إضافة إلى البواطن القرآنية التي أوّلها المعصُومون بخروج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الكلمات المفتاحية:

مُقوّمات العدل - العدالة الجزائية - الظلم الجُوريّ - عالميّة العدل - غايات العدل..

1 - مُتخصص في الدراسات القرآنية المعاصرة، جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام/ النجف الأشرف – العراق .

1 - التّقابُل الدّلاليّ وحُدود المصطلح (القسط/ العدل)، (الظلم/ الجَوْر).

1.1 - المعنى المُعجمي والدّلالي

أ- العدل/ القِسط

عند استطلاع الاستعمال القاموسيّ لمفردة العدل يظهر الآتي: العدل ما هو "مستقيم، وهو ضدّ الجور"[1] وفي اللسان هو "لفظ يقتضي المساواة"[2]، وهو في معنى الاستواء والتسوية والموازنة[3]. ويُلفت ابن فارس (ت: 395هـ) النّظر إلى الاشتراك اللفظيّ لمفردة العدل، إذ تأخذ معنيين ضديدين، "مُتقابلان كالمتضادين أحدهما يدل على استواء والآخر يدل على اعوجاج"[4].

والناتج من ذلك، أنّ في معجميّة العدل جانبين، الأوّل قاموسي، حيث إنّ كلّ تفسيرات اللفظ هي بألفاظ أخرى، تبدو أنها تُرادفه أو شبيه به، وإذا كانت الكلمة تُعرّف معجميّا بكلمة أخرى، فلا بدّ من حدّ ينتهي عنده التعريف، حتى لا تتعدد سلسلة الكلمات، ولتخطّي ذلك، يبرز فهم المُتلقي هو الفيصل في اختيار المفردة الأوضح له وقطع السلسلة، أمّا الجانب الآخر، فهو اشتراك دلالي: إذ إنّ دلالة اللفظ على المعنى وضدّه، ينشأ عنه لبس مُعجمي، ولدفع ذلك، يُنظر إلى السياق وما تُضاف إليه مفردة العدل لتثبيت معنى محدّد لها، ولعلّ هذا ما جعل الراغب يعتبر دلالة العدل حسب ما تضاف إليه[5] .

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص430.
2 - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 225.
3 - محمد جبل، المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، ص 1423.
4 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص 246.
5 - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 225.

وعلى نحوٍ مُماثل، يظهر في التداول المعجمي لمفردة قسط، فالمعجم يعرّف بها عبر مفردات تنتمي إلى حقول دلاليّة ذات قربى منها، فالقسط هو العدل والميزان والوزن[1] وهو الآخر يدل على معنيين متضادين، فالقسِط هو العدل، والقسَط بفتح القاف، هو الزيغ عن الحق[2].

ب - الظُّلم/ الجَوْر.

يذكر الخليل بن أحمد (ت: 157هـ)، أنّ الظليمة هي ذهاب النور[3]، وتتوّجه الدلالة عند الراغب، بأنّ الظلم عدم النور[4]، وهذا هو الأصل الأوّل للمعنى عند ابن فارس، أمّا الآخر فهو " وضع الشيء في غير موضعه تعدياً"[5]. وليس بين الأصلين افتراق أو تضاد، بل إنّ المعنى الثاني متعدٍ عن الأوّل، فالعرب تجعل الشخص الظالم ظُلمة في التشبيه[6].

وأمّا الجَوْر: فيكتفي الاستعمال القاموسي بإيراد المفردات النقيضة له، فالجَوْر نقيضُ العدل، ومُنافاة الإنصاف[7]، فهي أقرب إلى الثنائيات التي يرتهن دلالة أحدهما بمعرفة نقيضها الآخر.

1.2 - في حُدود الاصطلاح

ثمّة مصطلحات تتعدد ظلال مداليلها تبعًا لتنوّع العلوم والمعارف التي تتدارس المصطلح، فينصبغ مدلوله بالحاضنة التي تكتنفه، وعلى هذا، فإنّ كل تعريف للعدل ينطوي على موقف العلم الدارس من موضوعة العدل، والموقف الخاص بمقام البحث وسياقه المناسب هو الموقف الأخلاقي والشرعي، وإذ ذاك، سيستبعد البحث، معاني العدل النحويّة أو الرياضيّة.

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 145.
2 - الفراهيدي، كتاب العين، ج5، ص 71.
3 - كتاب العين، ج8 ص 163.
4 - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 316.
5 - مقاييس اللغة، ج3 ص468.
6 - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3 ص468.
7 - ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص153 ، والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 478.

ومن جهة أخرى، إنّ مفهوميّ العدل قبال الظلم، قد أخذا من الشيوع والاتساع ما جعل المفاهيم ذات القربى الدلاليّة منها كالإنصاف أو الجور، تنطوي تحت مظلة المفهوم الشائع، لذا سيكتفي البحث بتعريف العدل مُقابل الظلم.

فالعدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفيّ الإفراط والتفريط[1] ، وهو معنى عام يتفرّع عنهُ معنى أخصّ يمثلهُ الحدّ الشرعيّ للعدل وهو "الاستقامة على الطريق الحق، عمّا هو محضور دينًا"[2].

وعلى المستوى المعاصر، تلقفت علوم الاجتماع والسياسة دالّة العدل وأكسبته معانٍ تطبيقيّة، حيث تُعرّف العدالة بأنّها "دور المؤسسات العقلية من قبيل الدولة أو القانون أو السّوق في تحقيق أشكال من العدالة الجمعية أو الاجتماعية"[3].

وفي هذا التعريف ما فيه من تناسل أدوارٍ منطقيّة، إذ إنه يُحيل إلى مفاهيم أخرى بدورها تحتاج إلى التعريف(المؤسسات العقلية، الدولة، السوق..)، غير أنّ المؤاخذة الأكثر عمقاً، هي تنسيب المفهوم باتّجاه الواقع، إذ يُرجع دوافع العدل وجزاءه للإنسان فقط، على العكس من النظرية الإلهية – القرآنيّة، التي تُحيله إلى أمر ووعد إلهيّ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ**﴾[النحل:90].

الظلم: حقيقة استعمال الظّلم يكون في "وضع الشيء في غير محلّه، بالتصرّف في مِلك الغير أو مجاوزة الحدّ"[4]، أما النظريات المعاصرة، فهي تُفسرّ أسباب الظلم أكثر مماّ تُعرّفه، وترجعه إلى عوامل تدخل في ذاتية البشر وتكوينهم، وتدرسه فيما يستجد من مظاهر الاجتماع، خصوصًا إبّان الأزمات والحروب[5].

1 - الجرجاني، التعريفات، ص 63.
2 - الكفوي، الكليات، ص 499.
3 - كالهون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 430.
4 - التهانوي، كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج2، ص152.
5 - كالهون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 135.

1.3 - التّقابُل الدّلالي بين (العدل/ القسط)

يقول رسول اللهﷺ: "لن تنقضي الأيام واللّيالي حتّى يبعث الله رجلاً من أهل بيتيّ، يُواطئ اسمه اسمي، يملؤُها عدلاً وقسطًا كمّا مُلئت ظُلمًا وجَوْرًا"[1] .

إنّ البلاغة النبويّة تجعل القارئ يستبعد التعلُّل بترادف المفردات وتكرارها، وسَبر النظر إلى عُمق التقابل الدّلالي بين المفردات، وأوّل ما يُلحظ أنّ القرآن الكريم قابل بين دلالة (عدل- قسط) في قوله تعالى: ﴿**فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**﴾[الحُجرات:9].

ويُحقّق العلامة المصطفوي الفصل الدلاليّ بين العدل والقسط الذي "هو إيصال الشيء إلى مورده و إيفاء الحقّ إلى محلّه، وهذا المعنى إنّما يتحقق في مقام اجراء العدل، وإعماله في الخارج"[2]، ويعني ذلك أنّ القسط خُطوة تسبق العدل، ويمُكن عدّها تنظير فكريّ في مُقابل خطوة لاحقة هي العدل، وهو إجراء و إعمال في الخارج، وإذا كان هذا، فمراد النّبيﷺ أنّ عدالة الحُكم المهدوي يترافق فيها التنظير والتطبيق، دون أي مُفاصلة.

كما أنّ المقابلة العاطفة بين الظُّلم والجَوْر لها دلالة خاصة، فالظُّلم انحراف الحقوق إلى غير أصحابها بفاعلٍ مُتعدٍّ، والجَوْر اتّخاذ هذا الانحراف ميْلا سلوكيًّا[3]، تَقوى أساليبه وتتفرّع طرقه، وعليه، فالجَوْر ظُلم ماكثٌ متفرّع وشديد، وفي قوله تعالى:﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ**﴾[النحل:9]. إشارة إلى أنّ الجَوْر يضلّل السالكين بسُبل عديدة، مُقابل سبيل العدل واحدٌ وأصيل.

2 - مقوّمات العدل المهدوي: من الإلهيّ إلى الإنسانيّ

يتركّب تحقيق العدل في الحُكم المهدوي من عناصر تمثّل المكوّن الأساسي له، ويمُكن إجمالها بالآتي:

1 - المفيد، الإرشاد، ص 312.
2 - المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ص 257 .
3 - مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص 418.

2.1 - الاستخلاف الإلهي:

رغم افتراق تكوين النبوة وبنيتها عن الإمامة، إلاّ أنّ الله تعالى يَخلُف الأئمة كما يَخلُف الأنبياء والمرسلين، ولا يدلُّ الاستخلاف على شرعية المُستخلَّف فحسب، بل كذلك على تمكين الله للمُستخلَّف وتأييده له، ومن الآيات القرآنية الدالّة على ذلك، والمُؤوّلة بمصداق الإمام القائم، "عن أبي عبد الله(عليه السلام)، في قول الله: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾[النور:55]، قال: نزلت في القائم و أصحابه"[1].

وما يُلاحظ من الآية وتأويلها، أنّ حُكم الإمام هو وعد مُتحقّق، وأنّ الهدف منه التوحيد الإلهي والأمن الإنساني، ولعلّ هذا ما جعل بعض الروايات تُقرن سبّبيًّا بين التمكين والأمن، وأنّ الثاني ناتج عن الأوّل ومُقرّر له: فعن الإمام الباقر(عليه السلام): "المهدي وأصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويُظهر الدين ويميت الله به وأصحابه البدع والباطل"[2]، فإظهار الدين وإماتةُ البِدع ناتجة عن تخليف الله للحُجّة(عليه السلام).

2.2 - وجود المشروع:

يتتالى في أكثر من رواية استفهامًا يتوّجه إلى المعصوم مفاده، إذا خرج القائم(عليه السلام) فـ "بما يَسير؟" وفي صيغة أخرى: "بأيِّ سيرة يَسير في الناس؟"[3]، وواضح أنّه تساؤل يُعنى بماهية ما هو الشيء الذي يسير به؟ ويتوّحد الجواب مرّة على لسان أبي جعفر الباقر(عليه السلام)، وثانية عن طريق الصادق(عليه السلام): "يسير فيهم بسيرة رسول الله، ويعمل بعمله"[4]، وإذا تقرر هذا، فكلّ ما يصدر عن الإمام من أحكام يكون منشؤها الأساس القرآن وسيرة رسول الله وعمله، وحقيقٌ أن يُعدّ هذا أصلاً كليًّا تفسّر في ضوئه مجريات الظهور.

1 - النعماني، الغَيبة، ص 240.
2 - القُمّي، تفسير القمي، ج2، ص 87 .
3 - النعماني، الغَيبة، ص. ص. 164 - 169.
4 - النعماني، الغيبة، ص 164.

3.3 - الإنسان المُهيَّأ:

كل سُنّة رساليّة تتكوّن من (المرسِل - الرسول- رسالة - المُرسَل إليهم)، ويتوقف تحقّق المشروع الرساليّ على ضفيرة من العلاقات البنيوية الممتدة بين مكوّنات الإرسال، وعلى نحوٍ أخصّ، لا يُمكن أن تتفّعل الرسالة والمُرسَل إليه مُعرض عنها، وفي كلّ مرّة يذّكر القرآن أنّ تحقّق مُعطيات الرسالة من العدل أو الخير، مرهون باستقبال المتلقين وإقامتهم لمُثُل القسط حال تطبيقها في الواقع:﴿**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ**﴾[الحديد:25].

وهناك روايات تُدلِّل على أنّ من عِلل غَيبة الإمام هو غياب مقوِّم (الإنسان المُهيَّأ)، فإذا كانت الأحداث تحصل بأسبابها، ومن أسباب العدل وجود الفاعل الاجتماعي له، فإنّ غياب الفاعل يُغيّب تطبيق العدل، وهذا ما يظهر جليًّا على بعض الروايات التي تفسّر غَيبة الإمام بغياب الناصرين له وكثرة وجود الظالمين، قال الإمام الصادق﵇: «واعْلموا أنّ الأرض لا تخلو من حُجّة لله، ولكنّ الله سيُعمي خَلقه منها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حُجّة لله لساخت بأهلها، ولكن الحُجّة يَعرفُ الناس ولا يعرفونه، كما كان يوسف يعرف الناس وهُم له مُنكرون»[1].

3 - واقعية العدل المهدوي: مَديات المُلازمة بين النظرية والواقع

ما يجعلُ البحث ينتخب هذا المقصد، هو وجود مشكلٌ معرفيّ مفادهُ، أنّ كلّ نظريات العدالة الوضعية تتردد بين حالتين، إمّا أنّها تُفارق الواقع وتنفصل عنه، ومن ثمَّ، تفقد ما تسعى إليه من غايات، فتُصبح نظريات غاية في التصوّر والتجريد، مثالُها الطوباويّة الماركسيّة، أو تكاثر ما تُعانيه من أعطاب وآفات تعتبر صلب النظرية، فينقلب العدل استلابًا، وتُصيرّ الحقوق سَلبًا، كما هو الجاري في النفعيات المُغالية في المادة، التي تصّنف البشر إلى مركزيّين وهامشيّين، وتؤسِّس على ذلك معاملاتها العامة[2]، وتهوّل هذه الأحوال يومًا بعد آخر، هو ما يجعل العقل والشّعور

1 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص113.

2 - للتفصيل انظر: رسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، ص160.

معاً[1]، يبحثان عن نظرية عدالة تتّصف بالمناسبة الموضوعيّة والنّجاعة النهائيّة، فتتصل فاعلية وسائلها بما تُحقّقه من غايات أخلاقيّة.

إنّ كلّ رسالة إلهية رسالةً واقعيّة في تطبيقها، بمعنى أنّها تأخذ بالأسباب الطبيعية والقضايا الحياتية من أجل القيمومة عليها، وتغييرها من الظلام إلى النور:﴿**وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ**﴾[المائدة:16]. وإذا كان الإمام المهدي جريًّا على سُنن الرُّسل كمّا في عديد الروايات، منها الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: «تجري فيه سُنن الأنبياء»[2]، فالمُتأتي من هذا، أنّ حُكم الحُجة عليه السلام، يُناسب الوقائع مناسبةَ الرسالات السابقة للواقع، فهو مَجمَع الْتِقاء النُّبوات. ومن جهة أخرى، يبدو على دَوالّ روايات الانتظار والظهور إحالات عديدة إلى مجريات واقعيّة، مثل إعداد الأصحاب، استراتيجيات مُحاربة الجور[3]، وغيرها من متتاليات الأحداث، وكلّها يُوثب منها إلى تحصيل العدل ودفع الجَوْر، وإذا كان ذلك، فهو عدل في الواقع ومن أجل الواقع. ويقرب من هذا رواية الإمام الصادق عليه السلام: عن عمّار الساباطيّ، قال: «قُلت لأبي عبد الله عليه السلام: بما تحكمون إذا حكمتم؟ قال: بحُكم الله وحكم داوّد، فإذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا، تلقّانا به روح القُدس»[4].

وقول الإمام: «إذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا»، يُستبان منه المورد الذي يلجأ فيه الإمام إلى الغيب، كأن تكون مجريات الأحداث غائبة عن العَيان، أو تُخفى بعض الأسبّاب والحوادث عن العامة، فيحّدث عنها الإمام، لفضّ مشكلٍ ما[5]، وما يستلزمه المنطق ويقتضيه خطاب الرواية، أنّ الأسباب إذا توّفرت والوقائع إذا أُتيحت، فذلك أدعى أن يحكم بها الإمام عجل الله فرجه الشريف دون الرُّكون للغيب، ولذلك، فإنّ للغيب إيرادات خاصّة.

1 - إنّ الاحتياج الفطري للعدل الذي يُمليه الشعور والعقل معا، دليلٌ موصلٌ إلى المهدويّة، إذ إنّ الإمام عليه السلام هو من ينفرّد بتحقيق العدالة الكونيّة.

2 - المجلسي، بحار الأنوار، ج52، ص 90.

3 - النعماني، الغَيبة، الصفحات: 307 - 339 - 350.

4 - الكليني، الكافي، ج2، ص 323.

5 - المازندراني، شرح أصول الكافي، ج6 ، ص420.

وأمّا الإمدادات الإلهية المكرِّمة للإمام(عليه السلام)، فإنّ في مقوّم الاستخلاف الإلهي ما يفسّرها، فالاستخلاف بدوره يُفضي فيما يُفضي إليه، إلى العِصمة والولاية التكوينية[1]، ولهما الشأن الأعلى في تفسير الكثير من ظواهر عصر الدولة العادلة، كالإخبار عن بعض المُغيبات[2]، وكما أنّ لعصمة الإمام(عليه السلام) شأن في سكّ نظام عدل واقعي سديد، لا يشُوبه افْتئات الأنظمة الوضعية وقصورها وما تخلّفه من تمييز واستئثار: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنعام:90].

وثمّة إشكال آخر، يتعلّق بتفسير الروايات التي تنصّ أنّ الإمام المهدي(عليه السلام) يخرُج بالسّيف، والوارد عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنّ «خُروجه بالسّيف»، «يُنْصر بالسّيف»[3].

والخليق بحال هذه الرواية وشبيهاتها بالمِثل، أنْ تُفهم وفق مُعطيات الوعي التّاريخي، عبر فهمها بشكل معاصر لنا، وتعليق ما لا يبدو راهن لنا من مصاديقها، وهنا "يرد الإشكال السابق: كيف يُمكن تعطيل الأسلحة المتطوّرة والعودة إلى عصر الأسلحة المُتواضعة(السيف)"[4]، والجواب أنّ السيف إشارة إلى مدلول رمزي يتمثّل بالجهاد أو التضحية أو استعمال أكثر مصادر القوة تطوّرا[5]، والدليل أنّ المُراد بالسّيف مُطلق القوة، قول الإمام الصادق(عليه السلام) في القائم(عليه السلام): «وما هو إلاّ السّيف، والمَوت تحت ظلّ السيف»[6]. إذًا، لقد أخبر الإمام(عليه السلام) عنه (أنّه سَيف)، وهذا في حقيقته تشبيه مُضمر، حذف وجه الشّبه منه، والمعنى هو: كالقوة في السّيف.

وإذا تبيّن ذلك، فإنّ الأصل واقعية ما يتأدّاه الإمام من وسائل يقوّض فيها طرائق الظُّلم ويبني منها عمارة العدل، أمّا الإمدادات الغيبية فلها سياق ذو خصوصيّة، كما كان لها في سيرة النبي موارد خاصّة، والإمام الحُجّة - كما ظهر سابقًا- يسير بسيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله).

1 - الحيدري، الولاية التكوينية، ص 150 وما بعدها.
2 - الكليني، الكافي، ج1، ص 518.
3 - النعماني، الغَيبة، الصفحات: 46 - 186.
4 - الشيرازي، الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص 202.
5 - الشيرازي، الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص 210.
6 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص 354.

4 - أشكالُ العدل المهدويّ وشموليّة المشروع

إنّ المفهوم المعاصر للعدل يلتصق بالتطبيقية، والتي يراد منها الحقول الإجرائية لتشهيد نظرية ما وإنزالها فعليًّا إلى جوانب الواقع، ومع تنوّع أطياف الحياة وتعدد مجالاتها، أخذت التطبيقية طردًا بالتوسّع[1].

وسعة تطبيقات العدالة المهدوية واستيعابها لكلّ ما في الأرض، يتبدّى في غير رواية عن المعصومين، مثل قولهم: «يملأ الأرض عدلا»[2]، ففعل الإملاء واستغراق جنس الأرض يلوح منهما، أي لا يبقى جزء في الوجود إلا وتُشرق علية أنوار العدل المهدوي، ومن مصاديق قوله تعالى:﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:69]، الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربه»[3]، وعليه، فهو يشمل كل مفاصل الحياة. وينتزع البحث تصنيف مظاهر العدالة التطبيقيّة[4] إلى الأصناف الآتية:

1.4 - العدالة الجزائية:

وتتمثّل بالاقتصاص من الظلمة واسترداد كل ما ليس من حقّ أحد، حتى يكون ذلك رادعًا عن مقاربة الظُّلم ومانعًا من إتيانه، وتاليًّا، فهي تؤدي وظيفة تأديبيّة[5]، ومصدرها في القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[المائدة:33]. وتجلّيها في السيرة المهدويّة إبان الظهور في عدد من الروايات، منها التي يستبان منها شدّة الإمام على الظالمين، فعن الإمام علي عليه السلام، «بأبي ابن خير الإماء - يعني القائم - يسومهم خسفًا، ويسقيهم بكأس مُصبرَّة ، ولا يعطيهم إلا السّيف هرجاً»[6] .

---

1 - لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج 3، ص 1243.

2 - النعماني، الغَيبة، ص 89، الكليني، الكافي، ج1، ص 338.

3 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص 373 .

4 - يجري استعمال (العدالة) كموقف اجرائي من الوجود، يتّسم بها من هو عادل، بينما تغلب مفردة (عدل) على التنظير القانونيّ. انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، ج2، ص 718.

5 - للتعرّف على وظائف العدالة، انظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمّد دراز، ص 371 ، وما بعدها.

6 - النعماني، الغيبة، ص 224.

وفي تأويل قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾[الرحمن: 41]، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الله يعرفهم، ولكن نزلت في القائم يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسّيف هو وأصحابه خبطاً»[1].

2.4 - العدالة التوزيعيّة:

تهتم بهيئة توزيع الخيرات والتشريعات والالتزامات في مجتمع ما بما يضمن حقوقيّة التوزيع[2]، فيتأتى إعطاء الثروات تأسيسًا على ائتمان العدل، بما يُتيح "إيجاد العدالة الاقتصادية، وهي من جملة السياسات الأساسية في الدولة المهدوية"[3]، والوارد روائيًّا ينصّ على هذا الشكل من العدالة، عن الإمام الباقر عليه السلام: «يُقسم بينهم بالسّويَّة، ويَعدل في الرعيّة»[4]، ولم تخصّص الرعية بمسلم، ما يعني أنّها تشمل جميع الناس، ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: 8]. وهذه سُنة رسول الله صلى الله عليه وآله التي اتّبعها الإمام علي وسيتبعها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والنوعين السابقين(العدالة: الجزائية - التوزيعيّة)، كلاهما ناتجان عن قانون ما، لذا ممكن إحالتهما إلى قسم العدالة القانونيّة والتي يعمل بها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفق كتاب الله، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: "إنّ الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله رجلا منا أهل البيت، يعمل بكتاب الله"[5].

بالمُقابل، هناك إشكال يعرض له الفلاسفة، وهو أنّ حال العدالة القانونية التي يقيمها السلطان أو رجل دولة، يتمّ فرضها من الخارج عبر بنود إجرائية تنفّذ بقوة ما، ومن ثمَّ فهي ليست فعلا ذاتيًّا يتبادره الأفراد بينهم، بقدر ما هي توجيه جماعاتي عليهم، ويتكشّف عن ذلك، أنَّ الفرد قد يتساوق مع العدالة التوزيعية، لكنّه في التخفّي يبخس حق أفراد أسرته أو من هم أقرب الناس إليّه[6].

1 - النعماني، الغيبة، ص 127.
2 - كالهون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 413.
3 - الريشهري، موسوعة الإمام المهدي في الكتاب والسنة والتاريخ، ج6، ص333.
4 - الكليني، الكافي، ج1، ص405.
5 - الكليني، الكافي، ج 6، ص 396.
6 - للتفصيل انظر: مختصر تاريخ العدل، ديفيد جونستون، ص 177 ، وموسوعة لالاند، ج1، ص 187.

والجواب على هذا المشكل، أنّ المسألة في الأصل تتعلق بطبيعة بناء الأفراد وتكوينهم على أساسات العدل والإحسان وعلاقة الحاكم بشؤون رعيته، فالحكم الذي يتغيّى الأمن الأخلاقي والوجداني لأفراده، لا يقع في مأزق الحيد عن سبيل الرشاد، ولا تتعامل ذوات المجتمع فيه بعدالة ظاهريّة مزيفة، إذ من يتغذّى على مبادئ إرشاديّة سوية، لا يُثمر إلا خيراً وعدلا، سواءٌ في العلن أو الخفاء، وعليه، سيكون دافع الفرد لإقامة العدل مبدئي ينبثق من شعوره وإرادته بالمسؤولية. ويجترح البحث تسمية هذا النوع بـ (عدالة مبدأ الفرد)، إذا منشؤها أصالة مبادئ الفرد، مقابل العدالة القانونية المولودة عن قانون ما.

ولا يحسبنَّ الناظر أنّ بين النوعين، تضاد أو افتراق، بل هما وسيلتان يختطان غاية واحدة جوهرها عمران الحياة، وإباء الطغيان والجور، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

وفي الآن الذي نرى فيه النظريات الاجتماعية تؤكد على عدل الفرد مع نفسه وأرحامه [1]، نجده أيضًا في مرويات عصر الظهور فهو عهد الأمن الشامل: فعن الإمام علي عليه السلام قال: «ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قُلوب العباد»[2]، حتى ينفذ العدل إلى الأُسر فيكون كليًّا في المجتمع، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ليدخُلَنَّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخُل الحرّ والقرّ»[3] .

5 - عالميّة العدل المهدويّ وكونية الحضارة

من أهم موضوعات فلسفة العدل الأخلاقيّة، البحث عن رؤية كونية للعدل، تتجاوز فكرة العدل بين جماعتين أو دولتين إلى عدالة دوليّة شاملة، والمراد منها أن يتعدّى سلطان العدالة البلد الواحد إلى الكون الواحد والحضارة الواحدة، وما جعل الفلسفة تنظّر لعالمية العدالة، هو وضع حدّ لحجم الظُّلم المهول والمُتوّحّش الذي يتفشّى في العالم[4].

1 - كالهون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 445.
2 - الصدوق، الخصال، ص 610.
3 - النعماني، الغيبة، ص 296.
4 - هندرتش، دليل أكسفور للفلسفة، تحرير، ج1، ص 874.

وما تتذاكره لغة الآيات القرآنيّة وروايات خروج القائم(عليه السلام) يُحيل إلى أفكار كونيّة في موضوعة العدالة، وقد استبق كتاب الله إلى ذلك بقوله: ﴿**اعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ**﴾[الحديد: 17].

والوارد عن الإمام الصادق تأويلا للآية الآنفة: "أي يُحييها بعد القائم عند ظهوره، بعد موتها بجور أئمة الضلال"[1]، والمُتحصّل من ذلك، أنّ إحياء الأرض كلَّ الأرض يكون بقيام الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي يقضي بالقسط ويحقّ دعوة المظلومين، وهذا هو مفهوم عالميّة العدل المهدوي.

وفي آية أخرى: ﴿**إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾[الأعراف:128]، فعندما يُورث الله الأرض للمتقين، فلا أحد أكثر من المُتّقي يعدل في الأرض، فيحظر عنها الطغيان والتّعدي، واللافت بيانيًّا في الآية الكريمة، أنّ فعل الإيراث مسند إلى الذات الإلهية (يُورثها)، ما يعني تمكينّ الوارث للوريث[2]، وإتاحتهُ قدرة النفوذ إلى الموروث.

وهذا ما نجده بارزًا في روايات الظهور، من أنَّ الله يمكّن الإمام من تفجير خيرات الأرض، فعن الإمام الصادق(عليه السلام)، «إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنُور ربها، وتُظهر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها»[3]، وهي دالّة في ما تدلُّ عليه، على حضارة كونية ناتجة عن تقوى وعدل عالميَّين.

ومن البداهة القول: حيثما ينتهي الاضطراب والجَوْر، تبدأ عناصر الحضارة الكونيّة بالتورَّد والانبثاق، وهي أربعة عناصر تأسيسيّة: المبادئ الأخلاقيّة، سياسات اقتصاديّة، النُّظم السياسية، متابعة العلوم والمعارف. والأخلاقيّة تسبق كل المكوّنات الأخرى، فكم من حضارة فَنيت نتيجة انْحلالها القيميّ[4].

1 - النعماني، الغيبة، ص 32.
2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 225.
3 - المفيد، الإرشاد، ص381.
4 - انظر: ديورانت، قصة الحضارة، ج1، ص3.

وتظافر هذه العناصر، هو ما يخلق قوى لها المُكنة في القيادة والحكم، والدّال روائيًّا، أنَّ واقع الظهور المهدوي، سيشهد تمثّلا شاخصًا لهذه العناصر:

أ- المبادئ الأخلاقيّة: ولا خُلق أعلى شأوًا من العدل، فمنه تتفرّع فُضلى الأخلاق الكريمة، لأنّ للعدل محوريّة في كلّ مرويات الظهور وعصر القيادة، فـخروج القائمعليه السلام "يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما مُلئت ظُلما وجَوْرًا"[1].

ب - الموارد الاقتصاديّة: ممّا تبوحُ به روايات الظهور عادة، كشفها عن إجراءات اقتصادية غرضُها ازدهار المعاش وكفاية حاجات الخَليقة وزيادة، وقد ورد عن النبيصلى الله عليه وآله قوله: «يكون في أمتي المهدي... فتنعم في زمانه نعمةً لم ينعموا مثلها قطّ، تُؤتي الأرض أكلها، ولا تدّخر منه شيئًا، والمال يومئذٍ كُدُوس»[2].

ج - النُّظم السياسية: في الروايات سياسات عديدة سيُنجزها الإمام القائمعليه السلام، بما يُشكّل نهضة متعددة المستويات، كما في سياسة القضاء، "العدّة التي يخرج بها القائم وهم النُّجباء، وهم الفقهاء، وهم الحكّام، وهم القضاة الذين يمسح بطونهم وظهورهم فلا يُشكل عليهم أحد"[3].

د- العُلوم والمعارف: إنّ الروايات التي تذكر تقدمًا علميًّا باهرًا ستتفتّح آفاقه في عصر الظهور، فعن الإمام الصادقعليه السلام قال: «العِلم سبعة وعشرون حرفًا، فجميع ما جاءت به الرُّسل حرفان. فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا، أخرج الخمسة والعشرين حرفًا فبثّها في النّاس»[4].

5 - نتائج العدالة المهدويّة: غايات بيّنات

لمّا كان الحكم العادل يستحيل قيامه بدون غاية، والغاية تنجم عن نتائج تترتّب على ممارستها،

1 - المفيد، الإرشاد، ص 315.
2 - الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 4، ص601.
3 - ابن طاووس، التشريف بالمنن في التعريف بالفتن، ص205.
4 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص326.

فيُمكن القول: إنّ المشروع المهدوي ذو سمة ذرائعيّة، تستهدف تحقيق غايات إصلاحيّة شاملة.

والحق أنّ النظر في الروايات يكشف عن وحدة كليّة تلتحم فيها إجراءات الظهور المهدوي، فمقوّمات المشروع: (الاستخلاف، وجود المشروع، الإنسان المُهيّأ)، نجد تجلياتها في واقعية المشروع الذي يرتبط فيه الغيبي بالإنساني بلا انفصال، وكذا الحال في نتائج العدل، إذ نلحظ لها ارتدادات إلى أشكال العدل وأنواعه، فإذا كان الإصلاح وتصحيح معاملات البشر غاية من غايات العدل، فإنّه في الآن نفسه، صنف يعُود إلى نوع العدالة الجزائيّة.

إذا تبيّن هذا، عُرِف تفسير الربط المتردد في الروايات بين قيام العدل وكل مجريات الظهور، وهو غاية كبرى والمدار الذي تؤب إليه كل الاصلاحات المهدويّة.

وتحت مظلة هذه الغاية تندرج غايات أُخر، لعلّ من أهمها:

1.5 - الأمن الإنساني:

مفهوم اجتماعي يُراد منه تحرر الأفراد من الخوف والأخطار التي تُهدّد مصير حيواتهم[1]، ويظهر تعدّدت استعمالاته بتنوّع مشاغله، فإذا كان الموضوع الشّاغل هو الأخلاق، فإنّ التخلّص من خطر الظُّلم والاستلاب يعدَّ أمنًا أخلاقيًّا، وبالقياس إلى هذا، تندرج أنواع أخرى من الأمن: الأسريّ، الوجدانيّ، الفكريّ.

ويخصّ القرآن الأمن، باللذين يجتنبون أدنى الظُّلم، ولا يلبسون إيمانهم بأي عملٍ ظالم كان:﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾[الأنعام:82]، بينما الذين يُوغلون في ألوان الجَوْر والطغيان، فإنّ سُنة الله فيهم الهلاك، عبر أسبّاب طبيعيّة: ﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ**﴾[النحل:112].

وتأسيسًا على هذا الأصل وجرياً عليه، فإنّ توطين الأمن قرين بإبادة الظلم والقضاء عليه، وهذا

1 - انظر: أوثوايت، قاموس بلا كويل للفكر الاجتماعي الحديث، ص 256.

الاقتران يظهر في المرويات، فعن الإمام الصادق(عليه السلام): «إذا قام القائم(عليه السلام) حكم بالعدل وارتفع في أيّامه الجَور، وأمنت به السُّبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورُدّ كلّ حقّ إلى أهله»[1].

فأمن السُّبل من نتاجات الحُكم العادل، إضافة إلى نتاجات أمنيّة أُخرى: "يُطفئ الله به الفتنة"، و "تذهب الشّحناء من قُلوب العباد"[2]، بل تمتدّ شموليّة الأمن المهدويّة، لتضمّ كل الموجودات حتى الحيوانات، والوارد مرويًّا عن ابن عباس قال: «وأما المهدي الذي يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جورًا، وتأمن البهائم والسّباع، وتُلقي الأرض أفلاذ كبدها»[3].

2.5 - العمران البشري:

العُمران خطوة تتلو الأمن، وتلزم عن وجوده، إذ إنّ استقرار الاجتماع البشري يُوجّههم نحو تطوير الذات والعمل على تنمية احتياجاتها، وعلى العكس منه، فإنّ الترهيب وانعدام الأمن يشغل الذات عن كل تقدّم ويجعلها تُراوح مكانها.

وإذا تقرّر قول الإمام علي(عليه السلام): «ما عُمّرت البلدان بمثلِ العدل»[4]، فإنّه هو من يُؤذن بتشييد الحياة، واستيطان عمارة الأرض، وفتح ما تكتنزه من خيرات، فتتوافر الأرزاق ويستوفي كل ذي حقٍ حقّه من دون تبخيس، والآيات التي تتحدّث عن استخلاف الله للإنسان واستعماره في الأرض، تنشد في فحواها غايات عمرانيّة للبشر: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا**﴾[النور:55]، وقوله تعالى:﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا**﴾[هود:61].

وَمن الوارد في غير موضع، أنّ يُؤوّل أهل البيت(عليهم السلام) تلك الآيات بخروج القائم(عليه السلام)[5]، وفي ذلك

1 - المفيد، الإرشاد، ص 372.
2 - ابن طاووس، التشرف بالمنن في التعريف بالفتن، ص 145.
3 - الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج4، ص514.
4 - الآمدي، غرر الحكم ودُرر الكلم، ص 688.
5 - الطوسي، الغيبة، ص 176.

معنى يروم منه الإمام المعصوم الإفصاح عن يوم موعود، وعدالة لا تُضاهيها عدالة وضعيَّة في زمن ما، والروايات الدالة على ذلك عديدة منها: "القائم منا (...) يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويُظهر الله عز وجل به دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلاّ عُمّر"[1].

وترمز عدد من الروايات إلى مظاهر التطوّر التي تشهدها الحياة العمرآنيّة، فعن الإمام الباقر: "إذا قام القائم أذهب الله عن كلّ مؤمن العاهة وردّ إليه قوَّته"[2]. وإذا تقرّر سلفًا واقعية المجتمع المهدوي، فإنّ ذهاب الأمراض والعاهات يُلمح إلى أسبابٍ طبيعيّة يتأتى منها ذلك.

ولعلّ البُغية من جعل هذه النصوص علامات تشي بمدلولات رمزيّة تُحيل إلى منجزات التقدّم العمرآني، هو أنّ المشروع المهدويّ يسير وفق سُنن التّاريخ، وما دامت الحياة تنحو باتّجاه التطوّر بشكل مطّرد، فإنّ دولة القائمعليه السلام ستكون أعلى الدول قدرًا في سُلّم الحضارات[3].

3.5 - الرّفاه الاقتصادي:

مُؤدّى فكرة الرفاهيّة الاقتصاديّة، أن يُصبح الخير الكثير مُشاعًا بين البشر، وأنّ الدولة هي الجهة المسؤولة عن إشراك الناس في توزيع الثروات، وتاليًّا، فإنّ تحقيق هذا المستوى الرغيد، وثيق العُرَى بالحكم العادل، ورهين التحقّق به[4]. وعليه، فإنّ البُنى المكوِّنة للعيش المُرفّه هي: سياسة العدل، تزايد الثروات، التوزيع المُنصّف، وكلّ هذه العناصر يتمثّل حضورها في المجتمع المهدوي. "وتُظهر الأرض من كنوزها، حتى تراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، واستغنى الناس بما رزقهم لله من فضله"[5].

ويمتدّ تفتّق الثروات وتزايد مواردها ليشمل مقوّمات الاقتصاد: الزراعية والحيوانيّة والمعدنيّة،

1 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 23.
2 - النعماني، الغيبة، ص 332.
3 - الشيرازي، الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص 230.
4 - العجيلي، الاقتصاد الجزئي، ص 51.
5 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص353.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «تنعّم أمتي في زمانه نعيمًا لم يتنعّموا مثله قطّ، يُرسل السماء عليهم مدرارًا، ولا تدّخر الأرض شيئًا من نباتها»[1]، وعنه في حديث آخر في وصف خيرات العهد المهدويّ، يقول ﷺ: «تُفرِخ الطيور في أوكارها، والحيتان في بحارها»[2].

ولا يُشبه رفاهة الاقتصاد المهدوي نظريات الرفاهة الوضعيّة، التي تعتمد زيادة دخل أفراد مُقابل خفض دخل آخرين، فهي نسبية الحصول[3]، بل في عصر الإمام يُقمَع الفقر ويشمل الغنى كل المؤمنين، كما يذكر الإمام الصادق عليه السلام: «فلا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعًا لِصَدقته ولا لبرِّه، لشُمول الغِنى جميع المؤمنين»[4].

الخاتمة

بعد الاستهداء بنصوص الثَّقلين ومقاربتها في قراءة فلسفلة العدل المهدويّة، يخلص البحث إلى نتائج يُمكن إيثارها بالآتي:

1. إنّ للعدل محوريّة دلاليّة في كلّ مرويات الظهور، فمنه تبدأ كبرى الأحداث، وإليه تؤوب كلّ المُجريات، وعنه تنحدر كل منجزات الحكم المهدويّ، وآية ذلك الاتصال المستمر بين قيام العدل وما تذكره الروايات من وقائع تخصّ: (الانتظار، إعداد الأصحاب، حركة الظهور، المعارك، المنجزات..إلخ).

2. إنّ بين القسط والعدل وصلاً تداوليًّا، إذ القسط خطوة تسبق العدل ويُمكن عدّها تنظيراً فكريًّا في مُقابل خطوة لاحقة به هي العدل، وهو إعمال لمبادِئ القسط في الخارج، وإذا كان كذلك، فإنّ عدالة الحكم المهدوي يترافق فيها التنظير والتطبيق.

1 - بحار الأنوار، ج51، ص316.
2 -بحار الأنوار، ج 52، ص304.
3 - كالهون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 109.
4 - المفيد، الإرشاد، ص 413.

3. تستوي المهدويّة حكمًا عدلاً بمقوّمات تمثّل المكوّنات الأساسية، وهي الاستخلاف الإلهي الذي يمُثل أمانة لله للإمام بأداء العمران، ويعقبه وجود المشروع الذي في أصله مُعطى من المُستخلِف عز وجل، ثُمَّ المتلقّي المُتهيّئ (المستخلَف) الذي يتثبّت قيام الاستخلاف بوجوده ونُصرته.

4. الأصل واقعيّة ما يتأدّاه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من وسائل يُقوّض فيها أسباب الظلم ويشيّد منها عمارة العدل، أمّا الإمدادات الغيبيّة فلها موارد خاصّة، فإذا كان عليه السلام يسير بسيرة جدّه رسول الله، وفي سيرة المصطفى مظانٌّ خصوصيّة للغيب، فإنّ في سَير الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مواضع خاصّة للغيب.

5. ينتزع البحث تصنيف العدالة زمن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى جزائية، غايتها تأديب وإرشاد وعدالة توزيعية غايتها تسوية الحقوق، وخليقٌ بالذكر، أنّ العدالة المهدوية تنفرد عن المواضعات البشرية للعدل، بأنّها مبدأ إفرادي، إذ تُصبح وازعًا ومسؤولية عند كل فرد وأسرة نحو المعروف، وهذه المسؤولية هي ما يبني مكوَّن الأمة الخيِّرة.

6. ممّا يُلفت النّظر في مرويات الظهور، تغليب ما تذكره من نتائج ومُنجزات الحكم المهدويّ، مع قلّة تفصّيل الكيفيّات التي يحصل عنها ذلك، وأكبر الظن أنّ هذا يعود إلى التغيّر المُطَّرد لمجريات الواقع والموكول علمها للغيب الإلهيّ.

7. تنصّ الآيات والروايات معًا، أنّ هناك رؤية كونيّة لمفهوم العدل المهدوي، تتّسع مدياتها لتملأ الأرض وتشمل كل الموجودات عليها، ويتسبَّب عن هذا حضارة شاملة تصطفُّ فيها عناصر التحضّر الكونيّ: (المبادئ الأخلاقيّة، سياسات اقتصاديّة، النُّظم السياسية، مُتابعة العلوم والمعارف..).

8. العدل المهدوي ذو سمة ذرائعيّة، تستهدف تحقيق غايات إصلاحيّة، ما فتئت الروايات تستحضرها وتذكّر بها، ويمُكن تأصيل أكثر ما ورد منها روائيًّا وإرجاعه إلى: (الأمن الإنسانيّ، العمران البشريّ، الرفاه الاقتصاديّ..).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن طاووس، علي، التّشريف بالمِنن في التعريف بالفتن، أصفهان: مؤسسة صاحب الأمر، ط1 - 1416هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون، الطبعة الأولى - دون تاريخ.
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2 - 2013م.
- ابن منظور، جمال الدين الإفريقي، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط5 - 2009م.
- الآمدي، عبد الواحد، غُرر الحكم ودُرر الكلم المفهرَّس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، ترتيب: عبد الحسين ذهيبي، بيروت: دار الهادي، ط- 2014م.
- التهانوي، محمد بن علي، كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون، وضع حواشيه أحمد بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 2007م.
- ثوايت، آو، قاموس بلا كويل للفكر الاجتماعي الحديث، ترجمة: معهد الدراسات العراقية، هيئة البحرين للثقافة والآثار، ط1 - 2022م.
- جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة الآداب، ط-2 2019م.
- الجرجاني، عبد العزيز، التعريفات، القاهرة: دار الطلائع، ط6 – 2013م.
- جونستون، ديفيد، مختصر تاريخ العدل، ترجمة: مصطفى ناصر، الكويت: عالم المعرفة، ط1 - 2012م.
- الحيدري، كمال، الولاية التكوينيّة، بقلم: علي حمود العبادي، قُم- إيران، ط1 - 2010م.

■ دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة: عبد الصبور شاهين، قُم- إيران، مؤسسة الكتاب الإسلامي، ط3 - 2007م.

■ ديورانت، وِلْ، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، القاهرة: منشورات جامعة الدول العربية، ط5 - 1971م.

■ الراغب الأصفاني، الحسين بن محمد، المُفردات في غريب القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1 - 2007م.

■ رسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: فؤاد زكريا، بيروت: دار التنوير، ط1 - 2018م.

■ الريشهري، محمد، موسوعة الإمام المهدي في الكتاب والسّنة والتاريخ، مركز أبحاث القرآن والحديث، قُم- إيران، دون تاريخ الطبعة.

■ الشيرازي، ناصر مكارم، الحكومة العالمية للإمام المهدي، إيران: دار المودة، ط- 2018م.

■ الطوسي، جعفر بن محمد، الغَيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، علي أحمد ناصح، قم – إيران: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط- 2022م.

■ العكيلي، طارق، الاقتصاد الجزائي، المستنصرية- العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط1 - 2000م.

■ عمر، أحمد مختار، وآخرون، معجم اللّغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، ط1 - 2008م.

■ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى- دون تاريخ.

■ القُمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: محمد باقر الأصفهاني، قُم المقدسة: مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى- دون تاريخ.

■ القُمّي، محمد بن علي، الخصال، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1 - 2012م.

■ كالهون، كريغ(تحرير)، معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة: معين رومية، قطر: المركز العربي للأبحاث، ط1 - 2021م.

■ الكفوي، أيوب بن موسى، الكُلّيات، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2 - 1998م.

■ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، بيروت: الأميرة للطباعة والنشر، ط1 - 2008م.

■ لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط3 - 2001م.

■ المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، بيروت: دار إحياء التراث، ط1 - 2015م.

■ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدُرر الأئمة الأطهار، بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ط1 - 2008م.

■ المصطفوي، العلامة حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، إيران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، الطبعة الأولى – دون تاريخ.

■ المفيد، محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، العراق: منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط1 - 2006م.

■ النعماني، محمد بن ابراهيم، الغَيبة، بيروت: دار الجوادين، ط2 - 2013م.

■ النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مجموعة باحثين، السعودية: دار الميمان، ط1 - 2014م.

■ هندلاتشن، تيد، دليل أكسفورد في الفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار، ط1 - 2021م.

الأَثـرُ القُرآنـي في بعض نُصوص دُعَاء الافْتِتَاح
دِرَاسَةٌ فِي المضْمُون

◆ د. أحمد مُوَفّق مهدي[1]

■ **خلاصة**

شـكَّلت أدعية الإمـام المهدي عجل الله فرجه الشريف مرتكزاً أساسـيًّا، حتى غدت مرجعًا مهـمًّا من مراجع المسلمينَ بعد كتاب اللهِ تعالى، فقد امتازت بحضورِ النَّص القرآنيّ العزيز فيها بالقُدرةِ على اجتلاب الصُّور، وتمثيل المعانيّ. اذ تعدُّ في مضمونها نهجًا للحياة، كونها قائمة على علاقة بين الذَّات الإلهيَّة المقدسـة والإنسـان داخل هذا العالم، ولاريبَ أنَّ رحلة البحث في هكذا موضوع، تُعتبر رحلة شاقّة وشيِّقة في آن معًا.

فالأثـرُ القـرآنيّ الذي تركـهُ الإمام عجل الله فرجه الشريف حـاضراً، والذي دعا فيـهِ إلى تثبيـت ركائز الدِّين الإسلاميّ الحنيف، كان لهُ أثر كبير في تثبيت تلكَ الرَّكائز وترسيخها، لأنَّهُ ذا تأثير عميق في نفس المتلقيّ بصورةٍ خاصّة، والمجتمع الإسـلاميّ بصورةٍ عامة، وما يعكسه ذلك من نتائج إيجابيَّة.

الكلمات المفتاحية: الأَثَر- القرآن الكريم- دُعَاء الافتتاح – التوحيد- المشيئة الإلهية..

1 - كليَّة التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة – العراق

مقدّمة

الحمدُ لله جلَّتْ أسماؤُه، وسمتْ أوصافُه، الذي علَّمَ الإنسانَ، وشرَّفَ العربيَّة بنزولِ القرآن، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم على النَّبي الأمينِ، الذي فتحَ أبوابَ العلمِ والرَّحمة للعالمينَ، وعلى غصنِ دوحتِه، وأوَّل مَنْ صَدَّقَ برسالتِه، وعلى الصدِّيقة الزَّهراء البتول، وعلى الذُّريّة الطَّاهرة، مِنْ ولدِهم أجمعين.

أمَّا بعد..

إنَّ منظومةَ الأدعيَّة الصَّحيحة في الموروث الرُّوائيّ لأهلِ البيت هي دائرةُ معارف كاملة، ترشدُ الإنسانَ إلى الطَّريق القويم في كلِّ جوانبِ حياته، فهي الامتداد الطَّبيعيّ للقرآن الكريم، كتاب الله تعالى الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت:42]، وإنَّ الأدعيَّة الشَّريفة للأئمة المعصومينَ عليهم السلام هي من ضمن هذه المنظومة الكاملة، وهي من أصحّ النُّصوص وأهمها، ولعلَّ الرُّواة كانوا يُحافظون عليها أكثر من غيرها، لأنَّها نصٌّ تعبديّ كانوا يتعبدونَ بهِ في مشاهد المطهرين، ولذلك اكتسبت الأدعيَّة قُدسيَّة قد لا توجدُ في غيرها من الأحاديث.

ولأنَّ القرآنَ الكريم نزل على الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وتلقّته عترتهُ الطَّاهرة تلقيًّا كاملاً؛ فقد كان النَّصُ القرآنيّ بمفرداته وأساليبه وآلياته اللغويَّة مُسيطرًا وحاكمًا على أسلوب كلامهم، ويجري على ألسنتهم عليهم السلام جريا طبيعيًّا بصورةٍ قد لا يشعرُ بها المتلقيّ.

والاستعانة بالقرآنِ الكريم، ديدنُ الأئمة المعصومينَ عليهم السلام، ومنهم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف،

وهذا البحث هو لإظهار الأثر والتَّأثر بالقرآن الكريم في أدعيَّته ﷺ، ولا سيّما دعاء الافتتاح، والوقوف على دور القرآن الكريم الكبير في تعميق معاني ذلكَ الدُّعاء الشَّريف.

وقد حاولت جاهدًا -في هذا البحث- بيان مضمون الأثر القرآنيّ في دعاءِ الافتتاح الوارد عن مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، مستهلاً البحث بمقدَّمةٍ، ومن ثَمَّ ألحقتها مبحثينِ، وخاتمة.

المبَحْثُ الأوّل، اشتمل على: ملامح الأَثَر وَالتَّأَثّر بالْقُرآن الكَرِيم في أَدْعِيَّة الإمَام صَاحِب العَصْر وَالزَّمَان ﷺ، أما المبحَث الثَّانيّ فتحدّث فيه عن: الأَثَر القُرآنِي وَمَجَالاته في دُعَاء الافتتَاح[1]، ولا بُدَّ مِنْ الاشارةِ إلى أنَّ الباحثَ قد اعتمد منهجَ التَّحليل، لأَنَّ طبيعةَ الدِّراسة تتطلبُ ذلكَ.

1 – يُعتبر"دعاء الافتتاح" من الأدعية المُعتبرة والمشهورة في المجاميع الروائية، فقد ذكره الشيخ الطوسي في كتابه "تهذيب الأحكام": (١٠٨/٣)، والسيد ابن طاووس الحسيني في كتابه "إقبال الأعمال":(138/1)، والمحدّث الجليل الثقة الشيخ عباس القمّي في كتابه "مفاتيح الجنان": ص202، وهو على النحو الآتي: عن محمد بن أبي قرة بإسناده، قال: حدثني أبو الغنائم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسني، قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن نصر السكوني (رضي الله عنه)، قال: سألت أبا بكر أحمد بن محمد بن عثمان البغدادي (رحمه الله)، أن يُخرِج إليّ أدعيةَ شهر رمضان، التي كان عمّه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري – وهو السفير الثاني للإمام المهدي (عجّل الله فرجه) في عصر الغيبة الصغرى (ت٣٠٥هـ). قال فيه الإمام المهدي (عجّل الله فرجه): "وأما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي". حياة الإمام المهدي، الشيخ باقر شريف القرشي: ٧٣- (رضي الله عنه وأرضاه) يدعو بها، وهو قد أخذها عن الإمام المهدي(عجّل الله فرجه) باعتباره سفيراً شرعيًا عنه، فأخرجَ إليّ دفترا مجلدا بأحمر، فنسخت منه أدعية كثيرة، وكان من جملتها: ... وتدعو بهذا الدعاء أي: دعاء الافتتاح في كل ليلة من شهر رمضان، فإن الدعاء في هذا الشهر تسمعه الملائكة وتستغفر لصاحبه، يُنظر: حياة الإمام المهدي، ص. ص. 72 – 73.

المبحث الأول

ملامحُ الأثَر والتأثُّر بالقرآن الكريم في أدعية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

يُطلق أصحاب النَّقد الحديث على الأثرِ والتَّأثرِ لفظ (التَّناص)، وهذا اللفظ القائم على أساس أنَّ "كلَّ نصٍ يتشكلُ من تركيبة فسيفسائيَّة من الاستشهادات، وكلَّ نصٍ هو امتصاص أو تحويل لنُصوص أُخرى"[1]، فالتَّناص هو تفاعل النُّصوص المختزنة في نصٍ واحدٍ، ويحدث ذلكَ باستدعاء خبرات متراكمة موروثة في الذِّهن، وإعادة صياغتها وسبكها من جديد بحسب ما يُمليهِ الموقف الفنيّ على الكاتب أو الأديب.

وفي الموروث النَّقدي العربيّ يُسمّى السَّرقات، وهي اللفظة الشَّائعة على ألسنة النُّقاد القدامى، وغرضهم من ذلكَ الغضاضة من شأن الأعمال الأدبيَّة للشعراء المحدثين[2].

وكان مِن الإنصاف أن يُسمى ذلكَ بـ"التَّداعي في الأفكار والتَّلاقي في الهواجس والاشتراك في المفاهيم الشَّائعة بين الباحثين والأدباء والشُّعراء"[3]، فالأدبُ نتاج إنساني مشترك لا مندوحة للكتَّاب والمبدعين من الاغتراف منهُ والاستعانة به، واستجلابه من المخزون الذهنيّ، والعبرةُ في إبداع هذا الكاتب أو ذاكَ الأديب، هي في مَديات الإضافة والنَّقصان ممتزجينِ بومضاتٍ نفسيَّة شعوريَّة يُحتّمها عليه موقفه الفنيّ الآني، فالموقف الأدبي عملية تجلٍّ روحيَّة.

ولاشكَّ أنَّ فرصة تأثر الصِّياغات القرآنيَّة على صعيد بناء لغة تقتفي لغة القرآن، وإعادة صياغة الفنّ القولي المتمثل بالشِّعر والخطابة، وتشكيله تشكيلاً قرآنيًّا، قد ضاعت من أيدي أرباب هذا الفن، في عصر صدر الإسلام وما تلاهُ، واقتصرت على أُناسٍ محدودين للغاية، يقف على رأسهم النَّبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وابن عمهِ علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة المعصومين.

---

1 - الشنيني، إيمان، التناص النشأة والمفهوم، ص22.

2 - ابراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي، ص. ص. 102 – 103.

3 - مقابلة شخصية مع الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير، بتاريخ : 1/ 12/ 2007م.

والتَّأثرُ بالقرآن الكريم في صناعة نصٍّ ما، يأتي من فهم طبيعة اللغة القرآنيَّة التي يدركها العربيّ بفطرته، ولكنَّه لا يُحسنُ التَّعبير عنها لجدة مضامينها بل عليه الانصهار بروح القرآن، والذَّوبان في مضامينه لتغدو اللغة حينئذٍ صورة سريعة للمعنى، فلا ينشغلُ الذِّهن في أدائه، ولا يكدّ في استجلاب الألفاظ المناسبة لتجليته.

وهذا يُفسّرُ سرّ ذهول الشِّعر العربيّ عند ظهور القرآن وما بعده، فقد لمس النُّقاد العرب القدامى ضُعفًا في الشِّعر، وهو ضعف واضح بمُجرد مقارنته بالعهد الجاهليّ غير البعيد عنهم، في الوقت الذي يُمكن أن يكون النَّص اللغويّ القرآنيّ عامل قوة وإثراء لغويّ عظيم في الفنِ الشِّعري، أليس ذلك غريبًا ؟.

نعم، هناكَ فنٌّ شعريّ رفيع في بعض نصوص حسَّان بن ثابت، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك في مدح الرَّسول ﷺ وانتصاراته في حروبه، وهناك صور فريدة في رثاء أبي ذويب الهذليّ لأبنائه، ولكن على إجمال المرحلة - عصر صدر الإسلام - ومقارنة بأعمال الشُّعراء الجاهليين نلمس الفرق واضحًا بيّنًا في قوة الأداء وحرارة المعنى وقدرة التأثير، فأُدباء الدَّعوة الإسلاميَّة لم يصلوا إلى حدّ التأثير القرآني المأمول في ترسم بناء لغويّ محكم يتناسبُ مع الأثر القرآني، واكتفوا باقتباس اللفظة أو الجملة القرآنيَّة، نحو: قول كعب بن مالك في يوم الخندق[1]:

وَيَعْلَمَ أهلُ مكَّةَ حينَ سَارُوا وأحـــزابٌ أَتَوْا مُتحَزِّبِينَا

بأنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيـكٌ وأنَّ اللهَ مَوْلَى المؤْمِنِينَا

وقولهُ[2]:

شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ

1 - ديوان كعب بن مالك، ص 280.

2 - ديوان كعب بن مالك، ص 200.

ونحو: قول عبد الله بن رواحة[1]:

شَهِدتُ بِأَنَّ وَعدَ اللَهِ حَقٌّ وَأَنَّ النارَ مَثوى الكافِرينا

فالأثرُ والتَّأثيرُ القرآنيّ في هذهِ الأبيات لم يمس أبعد من اقتباس اللفظة أو العبارة القرآنيَّة، دون بناء الصُّورة الجديدة، أو الجري إلى تتبّع الجملة القرآنيَّة والاقتداء بصناعة علاقات تركيبيَّة على غرارها، مثل بناء الجُمل على علاقات الفن الاستعاري وصياغة الجمل بالتَّشبيه التَّمثيلي، وهي كلَّها ممَّا حفل بهِ التَّعبير القرآنيّ، وقلَّ في فن القول العربيّ الجاهليّ، فضلاً عن استعمالات فنون البديع المختلفة.

فالقرآنُ الكريم جاءت لغتهِ بنسقٍ واحدٍ منتظم مختلف الموضوعات في الموعظة بناء لغوي مُحكم تشبه قوة نسجه في موضوعِ التَّشريع أو خلق الإنسان والكون من غير ضعف في هذا النَّسج أو ذاك، وفي البناء اللغويّ القرآنيّ عناصر حياة تجعل منهُ لا يخلق على الآذان سماعه ولا يدبُّ الملل إلى سامعه، ففي أسلوب القرآن لا ترى غير صورة واحدة من الكمال، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التَّركيب وموضع التَّأليف وألوان التَّصوير وأغراض الكلام[2].

لذلكَ، لم نرَ أديبًا أجاد في المعاني الإسلاميَّة الجديدة إجادة الأديب الجاهلي لمعانيهِ؛ لأنَّهُ لا يمُكن التَّعبير فنيًّا عن المعنى الإسلاميّ الجديد بلغة الجاهليَّة القديمة، فعليهِ التَّخلي عن الثَّقافة اللغويَّة الموروثة القديمة والانصهار في الثَّقافة القرآنيَّة الجديدة، فقد وفرت الصِّياغات القرآنيَّة زخماً عالياً من الثَّراء اللغويّ، وكان على الأديبِ في عصر النُّبوة التَّنبه إليهِ واقتفاء أثره، واستثماره بشكل كليّ وليس الوقوف عند حدّ اقتباس اللفظة أو الجملة من القرآن، وأعني بالشِّكل الكليّ البناء اللغويّ المتكامل للنّص القرآنيّ القائم على نظام من العلاقات التَّركيبيَّة التي تعمقت فيها الدَّلالة بوسائط لغويّة امتزج فيها الصَّوت بالصُّورة من غير أن يُسمّى شعرًا.

وكان الأثر الحقيقيّ للقرآنِ في الكلامِ العربيّ على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثمَّ أولادهُ

1 - ديوان عبد الله بن رواحة، ص 38.
2 - الرفاعي، تاريخ الأدب العربي، ص241 .

الميامين الطَّاهرين، مروراً بالإمام الحسن(عليه السلام) وُصولاً إلى الإمام المهدي(عجّل اللهُ في فرجه الشَّريف)، ولهذا نشأ الإمام(عليه السلام) حافظاً للقرآن واعيًّا لآياته يعرفُ باطنها مثلما يعرفُ ظاهرها، وكيف لا يكون ذلكَ وهو(عليه السلام) ربيب "شَجَرَةِ ٱلنُّبُوَّة، وَمَوْضِعِ ٱلرِّسَالَة، وَمُخْتَلَفِ الْمَلاَئِكَة، وَمَعْدِنِ الْعِلْمِ، وَأَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ"[1]، فخطاب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وكلامهُ يشكّلُ "تراثًا جماً يمُثل قدرة هذه الأمة العظيمة على الخلق والإبداع متمثلة بقابليَّة الإمام البلاغيَّة وقدرتهُ على التَّعبير عن شتّى المعاني بأسلوب رائع مُؤثر، وقد استمد معانيه وأفكاره من معين القرآن الذي نهل أدبه، وارْتوى من آياته"[2].

فالإمامُ المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) شديد التَّأثر بالقرآن الكريم قولاً وفعلاً، وقد عَملَ(عليه السلام) على ترسيخ الثَّقافة القرآنيَّة في أذهان النَّاس بلفت أنظارهم إلى وجوب إحلال هذه الثَّقافة في النُّفوس وإمكانيَّة استبدال البناء اللغويّ الجاهليّ بآخر جديد معجز في بنائه ومعانيه في ضوءِ قدرتها على استيعاب الحياة.

والمُتمعن في أدعيَّة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يجدُ أنَّها لا تخلو من الأثر والتَّأثر القرآنيّ شكلاً ومضموناً في كلِّ دعاء يدعو به(عليه السلام)، وذلكَ نحو قوله(عليه السلام): «اللَّهُمَّ إنِيِّ أَسْأَلُكَ باسْمكَ الَّذي عَزَمْتَ به عَلَى السَّمَاوَات وَالأَرْضِ فَقُلْتَ لَهُمَا: ﴿**إِتِيَا طَوْعاً أَوْكَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[فصلت:11]، وَباسْمكَ الَّذي عَزَمْتَ به عَلَى عَصَا مُوسَى ﴿**فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ**﴾[الأعراف:117]، وَأَسْأَلُكَ باسْمكَ الَّذي صَرَفْتَ به قُلُوبَ السَّحَرَةِ إلَيْكَ حَتَّى ﴿**قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾[الأعراف:122 - 123]، أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»[3]، وأيضاً في قوله: «إلهي وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ باسْمكَ الَّذي دَعَاكَ به أَيُّوبُ لَمَّا حَلَّ به الْبَلاءُ بَعْدَ الصِّحَّة، وَنَزَلَ السُّقْمُ منْهُ مَنْزِلَ الْغَافيَة، وَالضَيقُ بَعْدَ السَّعَة فَكَشَفْتَ ضُرَّهُ، وَرَدَدْتَ عَلَيْه أَهْلَهُ وَمثْلَهُمْ مَعَهُمْ، حينَ نَاداكَ دَاعيًّا لك، راغبًا إلَيْكَ، راجياً لفَضْلكَ، شَاكيًّا إلَيْكَ: ﴿**رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأنبياء:83]..، إلهي وَأَسْأَلُكَ باسْمكَ الَّذي دَعَاكَ به يُونُسُ بْنُ مَتَى في بَطْنِ الْحُوتِ حينَ نَاداكَ في ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ﴿**لَا**

1 - القمي، مفاتيح الجنان، ص181 .

2 - الصفار، ابتسام، أثر القرآن في الأدب العربي، ص 186 .

3 - الصحيفة الرضوية الجامعة، محمد باقر الأبطحي: 260.

﴿إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:87]، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْتَ لَهُ دُعَاءَهُ وَأَنْبَتَّ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ، وَأَرْسَلْتَهُ إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَكُنْتَ مِنْهُ قَرِيباً يَا قَرِيبُ...، إِلهي وَأَسْأَلُكَ باسْمكَ الَّذي دَعَاكَ به أَصَفُ بْنُ بَرْخِيَا عَلَى عَرْشِ مَلِكَةِ سَبَا، فَكَانَ أَقَلَّ مِنْ لَحْظَةِ الطَّرْفِ، حَتَّى كَانَ مُصَوَّراً بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ ﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾[النمل:22]، فَاسْتَجَبْتَ لَهُ دُعَاءَهُ، وَكُنْتَ مِنْهُ قَرِيباً يَا قَرِيبُ..، إِلهي وَأَسْأَلُكَ بالإِسْمِ الَّذي دَعَاكَ به عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ زَكَرِيَّا حِينَ سأَلَكَ دَاعِيًّا رَاجِيًّا لِفَضْلِكَ، فَقَامَ فِي الْمِحْرَابِ يُنَادِي نِدَاءً خَفِياً فَقَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً﴾[مريم:5-6]، فَوَهَبْتَ لَهُ يَحْيَى، وَاسْتَجَبْتَ لَهُ دُعَاءَهُ وَكُنْتَ منْهُ قَرِيباً يَا قَرِيبُ ...، إِلهي وَأَسْأَلُكَ بالإِسْمِ الَّذي سَأَلَتْكَ به إِمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[التحريم:11]، فَاسْتَجَبْتَ لَهَا دُعَاءَهَا، وَكُنْتَ منْهَا قَرِيباً يا قَرِيبُ..، إِلهي وَأَسْأَلُكَ باسْمكَ الَّذي دَعَتْكَ عَبْدَتُكَ وَصدِّيقَتُكَ مَرْيَمُ الْبَتُولُ وَأُمُّ الْمَسِيحِ الرَّسُولِ إِذْ قُلْتَ: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم:12]، فَاسْتَجَبْتَ دُعَاءَهَا، وَكُنْتَ منْهَا قَرِيباً يَا قَرِيبُ..، وَأَسْأَلُكَ يَا إِلهي وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبِّي وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَدْعُوكَ بما دَعَاكَ به عَبْدَاكَ وَرَسُولَاكَ، وَنَبِيَّاكَ وَصَفِيَّاكَ، مُوسَى وَهَارُونَ حِينَ قَالَا دَاعِيَيْنِ لَكَ، رَاجِيَيْنِ لِفَضْلِكَ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَاهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطمس عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[يونس:88]، فَمَنَنْتَ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَا بالإِجَابَةِ لَهُمَا، إِلَى أَنْ قَرَعْتَ سَمْعَهُمَا بِأَمْرِكَ، فَقُلْتَ اللَّهُمَّ رَبِّ: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يونس:89]..، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ، وَأَنَاديكَ، بِمَا نَادَاكَ بِهِ سَيِّدِي، وَسَأَلَكَ بِهِ نُوحٌ إِذْ قُلْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[الصافات:75]»[1].

إذن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف انبعث في سلوكه من ثقافة قرآنيَّة وعاها وذاب في معانيها فجسدها في عمله، مثلما جرت على لسانه بياناً وإبداعاً مثلما سنرى في المبحث الثَّاني، لأنَّ لُغة الإمام عليه السلام تطابق صادق بين الإيمان والعمل، وبين المعنى والأداء اللفظي، وخلاصة القول: إنَّ سيرة الإمام

1 - الصحيفة الرضوية الجامعة، ص. ص. 272 - 280.

المهدي عجل الله فرجه الشريف كلُّها تنطقُ بآيات الكتاب العزيز سلوكاً وقولاً، لذلك كانت لغته الصَّدى الحقيقيّ للغة القرآن الكريم، فلم تجد ألفاظه غرابة في أداء الفكر الإسلاميّ العميق، لأنَّها ببساطة ألفاظ القرآن الكريم ترسم بها جُمله، وبنى عليها صياغاتهُ، والبحث كلَّهُ يبرهنُ على أنَّ كلام الإمام عليه السلام دون كلام الخالق وفَوق كلام المخلوق.

المبحث الثاني

الأثر القرآني وَمَجالاتُه في دعاء الافتتاح

وممَّا تقدّم، يتّضح أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف مُتابع دقيق لاقتفاء الصِّياغات الفنيَّة في التَّعبير القرآنيّ، وهذه المتابعة التي صدرت عنهُ عجل الله فرجه الشريف من ثقافته فطريَّة التي نشأ عليها، ولم يجد عنتاً في توخيها واستعمالها في موارد بعيدة أحيانًا عن التَّوظيف القرآنيّ، ولكنَّها امتداد لهُ، واعتراف من منبعه الثرَّ.

ولا ريبَ أنَّ الإمام عليه السلام قد أشربت روحهُ حُبّ القرآن صياغةً ومضمونًا، حتى جرى ذلكَ على لسانه متمثلاً ومعيداً ما اختزن في ذاكرتهَ، فهو يتتلمذ على القرآن الكريم، ويستوحيه في عرفان إسلامه، وتقرير إيمانه، فكانت نظرته إلى الخلق والخالق نظرة قرآنيَّة، يبتكر ما شاء ابتكار التَّلميذ في الحكايَّة عن الأستاذ.

إنَّ المُحتوى الذي حملتهُ ألفاظهُ عجل الله فرجه الشريف في دعاء الافتتاح يستندُ إلى مرتكزات رئيسة مرتبطة ببنية التَّكوين الفكريّ لذهنيّته عليه السلام، والتي لا يُمكنُ فصلها عن المضمون القرآني، وكانَ فيها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف "يصدرُ عن رؤية كونيَّة شاملة، محاورها ثلاثة موضوعات لا انفصال بينها هي: الله والعالم والإنسان"[1].

وحتى التَّجارب الشَّخصيَّة التي مرَّ بها الإمام عليه السلام انْصهرت في عوالم هذه المحاور بحيث استطاع

1 - نجيب محمود، المعقول واللامعقول، ص 30.

أن ينقلها من الموقف الشَّخصي في الأداء إلى أُفق عام أرحب في الشُّموليَّة وتقديمها زاداً للإنسانيَّة يمكنُ أن تستقى منهُ عبر مختلف عصورها، ولعلَّ هذا بعض ما يُفسر سرّ الحياة في أدعيَّة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسيرورتها في الآفاق، فليس للإمام عليه السلام موقف ضيق منطو على تجربة محدودة تموت بموت صاحبها، بل كلّ تجاربه الشَّخصيَّة منطلقة من المفهوم القرآنيّ للحياةِ والإنسان وارتباطه بخالقه، ومن هنا نجد تجاربهُ ممَّا تتواكب معهُ مفاهيم الإنسانيَّة بمختلف توجهاتها وانتماءاتها، لأنَّها ببساطة مُستقاة من المعين القرآنيّ الذي يكتنفُ الإنسان في الدُّنيا والآخرةِ.

ولا مُغالاة في القول: إنَّ كلّ كلامه عليه السلام صدى للمضمون القرآنيّ، ولكنَّ البحث عن الأثرِ القرآنيّ الذي يتوخاه المنهج العلميّ سينصبّ على أكثر المعانيّ وأبلغها إيراداً على لسان الإمام المهدي عليه السلام، وسنختارُ جُزءً منها في دعاء الافتتاح وهي:

1 - التَّسْديدُ الإلهي:

وَرَدَ في دعاء الافتتاح المبارك عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أَنَّهُ قالَ: «وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ»[1]، فهذا النَّص الشَّريف يُشيرُ إلى أنَّ الله تعالى يمُكّنُ ويُسدّدُ العبد المؤمن المُتحرك والمتوجه نحوهُ تعالى من المَسكِ الفعليّ بأسبابِ الوصول وآلياته المختلفة والمتعددة إلى الحق والهدايَّة الحقيقيَّة، وعندما نُيمِّمُ أبصارنا صوب القرآن الكريم نجدُ هذا الأثر واضحاً فيه، فالله تعالى قد نصَّ على هذا الأمر العقديّ والإيمانيّ في كتابهِ العزيز، وذلكَ نحو قوله -تعالى-: ﴿**وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا**﴾[إبراهيم:12]، وفي آية آخرى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[العنكبوت:69]، فتسديدُ الله -تعالى- عبدَه المؤمن هو فضل منهُ -جلَّ ذكرهُ-، ومَنٌّ كريمٌ، فلا جبرَ ولا تفويضَ في سعي الإنسان نحو ربّهِ تبارَكَ وتعالى، بل هو منٌّ وتوفيقٌ إلهيٌّ[2]، لأنَّ اللهَ تعالى هو الملهمُ والمرشدُ للتفكيرِ الصَّحيح، والعملِ السَّليم الصَّائب بعنايته ولطفه ومنّه، ولولا ذلكَ لبقيَ الإنسان في مسعاه، واتّبع خطوات الشيطان الرَّجيم، وهو يحسب أنَّهُ يفعلُ حُسنًا وصوابًا، وهذا ما أشارَ إليهِ قوله -تعالى-: ﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ**

1 - الصحيفة الرضوية الجامعة، ص 300.

2 - السيد شبر، تفسير شبر، ص 258.

أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأعراف:30]، وفي قوله كذلك: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[الزخرف:37].

فهذا النَّص من دعاء الافتتاح (وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ) هو الحجر الأساس الوجوديّ للإنسان وتكامله في الحياة الدنيا، ومنهُ تبدأ تنشئة المجتمع الصَّالح المؤمن الذي سيتحقّق يقينًا في آخر الزَّمان عند ظهور الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأمَّا نحن اليومَ ومن قبلُ فقد ابتعدنا عن هذه المرتكزات التأسيسيَّة لكيان المجتمع الصَّالح المؤمن، فأسهمنا بشكلٍ أو آخر في تأخير الفرج والظُّهور المقدس، فمن المهم أن نعمل جاهدين على استرجاع مضامين منهاج دعاء الافتتاح أو مضامين منهاج القرآن بصورة عامة، كي نُسهم - ولو بالحدّ الأدنى وذلك أضعف الإيمان- بتعجيل الفرج لإمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

2 - الرَّحْمَة الإلهيَّة:

وَرَدَ في دعاء الافتتاح أَنَّهُ عليه السلام قالَ: «وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ»[1]، الرَّحمةُ الإلهيَّةُ تتجلىّ في كلِّ شيءٍ ولا سيما عند العفو والمغفرة، فمن حقّ الخالق أن يأخذ عبدهُ المُسيء بالعقوبة عند أول معصيَّة من دون إمهال، ولكنَّ الله تعالى بلُطفه فتح أبواب رحمته في كثيرٍ من المناسبات، فجعلَ الحسنة بعشر أمثالها، والسَّيئة بسيئة، وفتح باب التَّوبة التي تجبّ ما قبلها من السِّيئات، وجعل من الحج المبرور كفّارة لكل الذُّنوب، وجعل صوم شهر رمضان سببًا لهطول الرَّحمة الإلهيَّة الواسعة التي يعتق بها رقابًا من النَّار، وكذا الحال في كثير من الأعمال التي فتحها الله لعباده في الأوقات والمناسبات الخاصّة الزَّمانيَّة والمكانيَّة، نحو: أوقات الصَّلاة، وليالي الجمع، وأيام الجمع، وليالي القدر، وما شاكلَ هذا، وأثر هذا نجدهُ في قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[طه:8]، ففي ضوء هذه الآيَّة الشَّريفة يتبيَّنُ أنَّ الرَّحمة مع الغفران، ويقين الدَّاعي مع ما أوجب الله -عزَّ وجلَّ- على ذاته من كونه (غفّارًا) بالمبالغة، واتّحاد جزائي القضيتين الشَّرطيتين، فالتَّوبة والإيمان والعمل الصَّالح والهداية هي من لوازم موضع العفو والرحمة.

1 - الصحيفة الرضوية الجامعة، ص 300.

3 - العِقابُ الإلهِيّ:

قالَ الإمامُ المهديعجل الله فرجه الشريف في دعاءِ الافتتاح: «وَأَشَدُّ المُعاقِبينَ في مَوْضِعِ النِّكالِ وَالنَّقِمَةِ»[1]، فهذا النَّص الشَّريف يُبينُ ضرورةَ الحذرِ من الله تعالى، وإدراك أنهُ تعالى يُعاقبُ مَن يتجاوزُ على حرمتهِ، فضلاً عن حقوقهِ -جلَّ ذكرهُ-. فالإنسانُ غالباً ما يستغلُ حلم الله، ويغفلُ أنّ الله تعالى بقدرِ ما هو حليم فإنَّه -عزَّ اسمهُ- شديدُ العقاب في حال تجرّؤ الإنسان على مناطق الحرام العقديَّة والشَّرعيَّة نحو: استحلال ما حرّم الله تعالى، أو الكفر به سبحانه، وهذا الأثر يمكنُ أن نلتمسهُ من القرآنِ الكريم، وذلكَ في قولهِ تعالى: ﴿**اعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[المائدة:98]، فالمُلاحظ من هذهِ الآيَّة المباركة مدى التوازن الحقوقيّ والنِّظاميّ والقيميّ في تعاطيّ الله-عزَّ وجلّ- في حسابهِ وجزائهِ مع النَّاس، فالإمامُ المهديعجل الله فرجه الشريف في هذا الدُّعاءِ المبارك نبّه على هذهِ الحقيقة وأدغمها قيمةً سرمديَّة، ليلتفتِ الإنسانُ المؤمن إلى تلك الحقيقة، فقراءة مثل هذا الدُّعاء ليست نُطقاً بصوت حسَن لكلماتٍ عابرة، بل هي وعيٌ وفهم وإدراك لما وراء الألفاظ من معانٍ ومقاصد يُنشئها المعصوم عليه السلام في كيفيةِ تعاطيهِ مع ربهِ سبحانهُ تعالى.

4 - التَّحميدُ وَالتَّوحيد:

قالَ الإمامُ عجل الله فرجه الشريف في دعاءِ الافتتاح: «الحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في المُلْك، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَليٌّ مِنَ الذُّل وَكَبِّرْهُ تَكْبيراً، الحَمْدُ لله بجَميعِ مَحامده كُلِّها عَلى جَميعِ نعَمه كُلِّها، الحَمْدُ لله الَّذي لا مُضادَّ لَهُ في مُلْكه وَلا مُنازِعَ لَهُ في أَمْره، الحَمْدُ لله الَّذي لا شَريكَ لَهُ في خَلْقه، وَلا شَبيهَ لَهُ في عَظَمَته، الحَمْدُ لله الفاشي في الخَلْق أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظاهر بالكَرَم مَجْدُهُ، الباسط بالجُود يَدَهُ، الَّذي لا تَنْقُصُ خَزائنُهُ، وَلا يَزيدُهُ كَثْرَةُ العَطاء إلاّ جُوداً وكَرَماً، إنَّهُ هُوَ العَزيزُ الوَهَّابُ»[2]، في هذا النَّص الشرَّيف يُعلّمنا الإمام الحُجةعليه السلام بأسلوبيَّة مخاطبة الله تعالى، إذ أنَّهعليه السلام ركّز بصورةٍ واضحة جليّة على استعمال جملة (الحمدُ لله) مراراً وتكراراً في حواريَّة دعاء الافتتاح المبارك، وهذا الأمر يكشفُ لنا عن عُمق استحقاق الله -عزَّ وجلَّ- الحمد

1 - الصحيفة الرضوية الجامعة، ص 300 .

2 - الصحيفة الرضوية الجامعة، ص301 .

ومداها، الذي هو الثَّناء عليه تعالى دوماً باللسانِ، والوعيّ بواقع ما أنعم به علينا -جلَّ ذكرهُ-.

ومعنى (الحمد لله) وهو الثَّناء بالجميلِ على قصد التَّعظيم والتَّبجيل للممدوحِ سواء لنعمةٍ أو غيرها، أو هو الثَّناء على الجميل الاختياري، لأنَّهُ ثابت لله من غير أن يلحظ الإنسان نِعَم الله عليه، بل لأنَّ الله تعالى لا يفعلُ إلَّا الجميل، فهو مُستحق الحمد على فعلهِ[1].

والألفُ واللامُ في لفظةِ (الحَمْد) للجنس والاستغراق بمعنى أنَّ كلَّ حمدٍ وثناءٍ يختصُ باللهِ تعالى دون سواه على ما أنعم على عبادهِ من النَّعم بأنواعها وأصنافها[2].

وبهذا يكونُ الثَّناء والتَّقديس منحصراً بالله تعالى، فلا أحد غيرهُ يستحقُّ الحمد والثّناء إلّا إياه -جلَّ جلالهُ-، لذا جاء صوغ العبارة بصورة الجملة الاسميَّة، للتدليل على الدَّوام والثَّبات باستحقاق الله تعالى الحمدَ دومًا، ولبيان مزيد الاهتمام بحمدهِ تعالى من العبدِ المؤمن، فمفهوم الحمد نجدهُ مهيمنًا على الوجود بأسرهِ، فهو في مبتدأ الحياة والتَّكوين حتى المنتهى، وهذا المفهوم نجدهُ واضحاً في قولهِ تعالى: ﴿**وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾[الروم:18]، وأيضًا في قولهِ تعالى: ﴿**وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ**﴾[القصص:70]، وفي قولهِ تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ**﴾[الأعراف:43].

ومعرفةُ عبارة (الحمدُ لله) والوعيّ بها، لابدَّ أن تكون قريبةً من العبدِ في معطياتهِ العمليَّة، إذ أنَّنا كثيراً ما نذكرُ ونُردّدُ هذهِ العبارة الجميلة الرَّاقية في كلّ صلاةٍ يوميًّا ولا سيّما في سورةِ الحمد (الفاتحة) ﴿**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾[الفاتحة:2]، أمَّا معنى كلمة (الله) فهي عَلَمٌ يُطلق على ذات الله المقدسة الجامعة لصفات الكمال والجلال[3].

وبصورةٍ عامة، فإنَّ النَّص المَزبُور الذي نحن بصدد بيان مضامينه ومعطياته العقديَّة والإيمانيَّة،

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حمد)، ج3 ص 314، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص 149.
2 - الهديبي، حبيب، إشراقات فكرية من أنوار الخطبة الفدكية، ص82.
3 - الحلبي، السمين، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج1، ص23.

مطابقٌ تمامًا في أغراضه وتأسيساته لأغراض سورة (الفاتحة) وتأسيساتها، إذ أنَّ هذا النَّص يُركّز عقديًّا على أصل توحيد الله تعالى وتنزيهه، الذي هو أصل الأصول الدِّينيَّة الخمسة، فمن التَّوحيد الإلهيّ يترشّح وجوبُ بعثة الرُّسل والأنبياء، إذ أنَّهم (عليهم السلام) هم الواسطة والرَّابط بين الله تعالى والبشر، وهذا ما أشارَ إليه قولهُ تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[الشورى:51]، ويترشّحُ من التَّوحيد لطف الله وعدله، ووُجوب تنصيبه تعالى الأئمةَ والأوصياء(عليهم السلام) من بَعْد الرُّسل، وهذا هو معنى أصل الإمامة، ومقتضى عدل الله تعالى لابدَّ أن يبعث الخلائق بعد تكليفها ليُجازيها ثوابًا أو عقابًا، وهذا هو أصل المعاد الرُّوحيّ والجسمانيّ للإنسان يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين.

ففي قول الإمام الحجة (عليه السلام): «الحَمْدُ لله الذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلْك، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّل وكَبِّرْهُ تَكْبيراً»، وفي قوله (عليه السلام): «الحَمْدُ لله الَّذي لا شَرِيكَ لَهُ في خَلْقِه، وَلا شَبيهَ لَهُ في عَظَمَته» تقريرٌ من إمام معصوم بحقيقة وحدانيَّة الله -جلَّ اسمهُ- الفرد الصَّمد، الذي ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:11]، ونفيٌ لأباطيل اليَّهود والنَّصارى ومزاعمهم، الذَين زعموا أنَّ لله تعالى صاحبةً وولداً، وذهبت الجرأة والوقاحة باليَّهود إلى أن زعموا أنَّهُ (جلَّ جلالهُ) ضعيف وحاشاهُ من هذا، فالقرآنُ الكريم فنّدَ كلّ هذا المزاعم وأبطلها جملةً وتفصيلاً، وذلكَ ما جاءَ في قوله تعالى رادًّا على تلكَ المزاعم الباطلة: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً**﴾[الجن:3]، وقالَ -تعالى-: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[الأعراف:101]، وقالَ تعالى: ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[التوبة:3]، وقالَ تعالى: ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَالقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ**﴾[المائدة:64].

وأمَّا قوله عليه السلام: «الحَمْدُ للهِ الَّذي لا مُضادَّ لَهُ في مُلْكِه وَلا مُنازِعَ لَهُ في أَمْرِه»، فقد تقدّم معنى الحمد لله، فلعلّهُ يكون المعنى الحمد لله الذي لا ضدّ لَهُ، والضَّدُّ اصطلاحًا: هو المُساوي للآخر في القوة والمُمَانع له في الوجود[1]، بمعنى أنَّ الله -تعالى- ليس لهُ ضدٌّ أيًّا كان، إلهًا آخرَ أو بشراً أو أي شيء آخر، إذ تكون لهُ من القدرة المماثلة لقدرة اللهِ تعالى، فتعارضُ قدرةَ الله تعالى أو تمنع جريان أوامره في الكون.

وهذه الضِّديَّة لله تعالى ممتنعة عقلاً ونقلاً، فقد أثبت الفلاسفة المسلمون استحالة ذلك عقلاً، لأَنَّهُ يتولدُ من ذلكَ تمانعٌ في الإرادات، وتعارض في الأوامر (بين الله تعالى وضدّه) على الفرض، ومن ثم يفسدُ نظام الوجود عامةً والكون خاصّة، وهذه الحقيقة العقلانيَّة الفلسفيَّة لها أثرٌ واضحٌ في القرآن الكريم، وذلكَ نحو قولهُ تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[الأنبياء:22]، بمعنى (لو كان فيهما) أي السَّموات والأرض (آلهة إلاَّ الله) أي غيره (لَفَسدَتا)، وخرجتا عن نظامهما المشاهَد لوجود التَّمانع بينهم، وفق العادة عند تعدّد الحاكم يحصل التَّمانع في الشَّيء وعدم الاتفاق عليه[2]، والحال أنَّنا لم نلحظ ونشهد فساداً في الوجود والكون، وهذا دليلٌ عقليٌّ على بداعة نظام الوجود ووحدانيَّة خالقه الله تعالى وواحديته، لذا خُتمت الآية بقوله تعالى: (فسبحان الله)، (فسبحان) تنزيه (جلَّ ذكرهُ) خالق (العرش) عما يصف الكفار بهِ اللهَ من الشَّريك له وغيره.

وقد اقتضبَ أمير المؤمنين عليه السلام مفهوم التَّوحيد الإلهيّ ومعناه بكلمةٍ واحدة، وذلكَ في قولهِ: "التَّوحيد ألاَّ تَتوهّمه"[3]، فهذهِ كلمةٌ وجيزةٌ بلفظها، بيد أنَّها ثقيلة بمعناها ومُعطياتها وقيمتها، ووفّرت للمؤمنين جهدًا كبيراً في ضرورة إدراكها واقعيًّا و وَعيها حسيًّا وقلبيًّا.

فالإنسانُ حسبَ تركيبته الذِّهنيَّة، كلَّما أراد أن يحكم على شيءٍ أسرعَ إلى ذهنهِ متصوراً ذلك الشَّيء لكي يحكمَ عليهِ أو يُحاول إدراكَه، ولكن هذا لا يتحقق مع حقيقة الله تعالى الواقعيَّة التي

1 - الكفوي، الكليات، ص 574.
2 - البغوي، تفسير البغوي، ج3، ص 546.
3 - الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص124.

عجزت العقول عن إدراك كُنه معرفتها، فضلا عن عجزها عن إدراك حقيقتها، ولا يتصوّر الإنسان في يوم ما إمكانية الإحاطة بمعرفة ذات الواجب تعالى شأنه وكنهه، وكل ما يتصوّره المخلوق ويميزه بوهمه بأدق معانيه، فهو مخلوقٌ مثله مردود إليه، فالكلّ متحيّر في معرفة كُنْه الباري تعالى وتقدّس، وإنَّما يُعرف تعالى شأنهُ بالآثار، واستشعار وجوده كخالق حقيقي لنا تعالى.

ولابدَّ أن يلتفتَ الإنسان المؤمن التفاتةً عقليَّة يقينيَّة إلى أنّ توحيد الله -عزَّ وجلَّ- ليس مجرد ألفاظٍ يُردّدها، نحو: تأديته الشهادة (ألاَّ إله إلاّ الله)، نعم هذا مطلوبٌ ذكرُه والإيمان به قلبًا ووجدانًا، لكنَّ التَّوحيد الحقيقيّ أن يتيقّن الإنسانُ المؤمن بأنّ خالقه الله تعالى واحدٌ أحد فردٌ صمد، بمعنى أن يتعقّل بذهنه نفيَ الشَّريك عنهُ قطعاً، وهذا هو معنى التَّوحيد الذَّاتيّ لله تعالى[1] وأثر هذا المعنى نجدهُ في القرآن الكريم، إذ هناكَ سورةٌ قصيرةٌ بألفاظها كبيرةٌ بمعطياتها وثمارها أكّدتْ هذا المعنى، ألا وهي سورة التَّوحيد (الإخلاص) المباركة: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:1-4].

وإذا أدرك الإنسان المُؤمن مفهومَ التَّوحيد الذَّاتي لله تعالى وتيقّن منهُ، فعليه أن يُدركَ ويفهم التَّوحيدَ الصِّفاتي لله تعالى، بمعنى أن يعرف أنَّ لله تعالى صفات كماليَّة وثبوتيَّة، نحو كونهُ -عزَّ وجلَّ- حيًّا وسميعًا وبصيراً وعليمًا وقادرًا ومُريدًا، وفي الوقتِ ذاتهُ مطلوب منهُ أن يُنزّه ربهُ سبحانهُ عن صفات النَّقص، التي تُسمّى بالصِّفات السَّلبيَّة، أي التي يجبُ سلبُها عن الله -جلَّ شأنه- وعدمُ توصيفهُ بها، منها: الجسمانيَّة، وكونه في مكان، أو لهُ عرضٌ أو طولٌ، أو كونهُ في جهة ما، أو مُتّحدًا مع غيرهِ مثلما زعم النَّصارى ذلكَ، أو مثلما ذهبت بعض الفرق الضَّالة إلى ذلكَ فحسبت نفسها على الإسلام، وقالت بجسمانيَّة الله تعالى عن ذلكَ علوًّا كبيراً[2].

وأيضًا، فعلى الإنسان المُخلص في إيمانه أن يدرك في حال توحيده لله (جلَّ ذكرهُ) ويقينه بذلكَ، أنَّ لله تعالى أفعالاً يجب أن يعتقد بها، وذلكَ نحو كونه تعالى خالقاً، وباسطَ الرزق، وباعثَ من في القبور، ومجريَ الأمور، ويُحيي ويمُيت وغيرها، وهذا هو التوحيد الأفعالي لله

1 - الصدوق، التوحيد، ص84.

2 - الصدوق، التوحيد، ص 139.

تعالى[1]، بمعنى أنَّهُ تعالى مستقلٌ في أداء أفعاله وقاهرٌ غير مقهور، لذا ذكرَ الإمامُ المهدي عجل الله فرجه الشريف هذا الأمر وبيَّنهُ ووضّحه، وذلكَ بقوله عليه السلام: «الحَمْدُ لله الفاشِي في الخَلْق أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظّاهِر بالكَرَم مَجْدُهُ، الباسِط بالجُود يَدَهُ، الَّذِي لا تَنْقُصُ خَزائِنُهُ، وَلا يَزِيدُهُ كَثرَةُ العَطاء إلاّ جُوداً وكَرَمًا»، وهذا إشارة منهُ عليه السلام إلى ضرورةِ وعي وفهم توحيد اللهِ الأفعالي عقلاً، وحمدهُ سبحانهُ وتعالى على ذلكَ فعلاً.

5 - المَشِيئةُ الإلهيّة:

قالَ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في دعاء الافتتاح: «الْحَمْدُ للّٰه مالِك الْمُلْك، مُجْرِي الْفُلْك، مُسَخِّر الرِّياح، فالِق الْإِصْباح، دَيَّان الدِّين، رَبِّ الْعالَمِينَ»[2]، يُشيرُ هذا النَّص الشريف إلى أنَّ اللهَ تعالى وحدهُ مَن لَهُ السَّلطنة التدبيريَّة على نظام الوجود عامة، منذ أزل الوجود وإلى ما لا نهاية لهُ، فـ(مالِك الْمُلْك) وصفٌ يقينيٌّ وواقعيٌّ للهِ تعالى لا أحد سواه، بمعنى أنَّ لهُ (جلَّ اسمهُ) كلّ ما خلقهُ في الوجود من السَّموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، وما نَعلم وما لا نعلم، يتصرّفُ به كيف يشاءُ سبحانه وتعالى، وهذا ما أشارَ إليه القرآن الكريم، وذلكَ في قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[آل عمران:26].

ومُفردة (مُجري الفُلك) هذهِ صورة من صور إدارة الله تعالى لنظام الوجود وتدبيره لهذا الكون، والفُلك بضم الفاء هي السّفن[3]، وقد جاءَ أثر هذا المعنى في القرآن الكريم، فقال عزّ من قائل: ﴿**هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾[يونس:22]، فكلُّ شيءٍ يتحرّك بأمر الله تعالى، ولا يخرج عن سلطنته سبحانه على نظام الوجود، حتى السّفنُ التي نراها تجوب البحار، فهي تتحرك بمشيئةِ الله تعالى وإرادته.

وأمَّا (مُسخّر الرياح) فهذه صورة أخرى وعجيبة من عجائب الله تعالى في تسخير الرَّياح لخدمة

1 - السبحاني، الإلهيات، ص 449.
2 - الصحيفة الرضوية الجامعة، ص 302 .
3 - ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 478.

البشريَّة، فيقولُ الله تعالى بشأن هذه الحقيقة التَّدبيريَّة فعليًّا: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ المَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[الأعراف:57]، فاللهُ تعالى هو الذي يرسلُ الرِّياح اللينة الطيبة مبشراتٍ بالغيث الذي تثيرهُ بإذن الله سبحانهُ، فيستبشرُ الخلق برحمةِ الله، حتى إذا حملت الريحُ السَّحاب المُحَمّل بالمطر، ساقه الله لإحياءِ بلدٍ قد أجدبت أرضُه، ويَبست أشجاره وزرعه، فأنزل الله به المطر، فأخرجَ به الكلأ والأشجار والزروع، فعادت أشجاره مُحَمَلّة بأنواع الثمرات، كما نُحيي هذا البلد الميّت بالمطر، نخرجُ الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم، لتتّعظُوا فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث، فالرِّياح لها من الوظائف الحيويَّة ما يتوقف عليها نظام حياة الإنسان واقعيًّا، لذا فالقرآن الكريم إنمَّا استعرض وظائفَ الرياح مُذكّرا الإنسان بنعم ربه وفضله عليه، فقال الله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[الحجر:22]، وقال تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[الروم:48]، فإجراء الله تعالى الفُلكَ وتسخيره تعالى الرياحَ من النِّعم المَغفُول عن شكرها بشريًّا، ولهذا جاء ذكرُها من لدن الإمام المهدي عليه السلام، تذكيراً لنا بضرورة شُكر النِّعم.

(فالِق الإصباح)، وهذه العبارة هي الأخرى من عظيم صفات قدرة الله سبحانه، فقد أشارَ إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**﴾[الأنعام:96]، بمعنى: أنَّ الله تعالى هو الذي شقّ ضياء الصَّباح من ظلام الليل, وجعل الليل مستقرًّا، يسكن فيه كلّ متحرك ويهدأ، وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدَّر لا يتغير ولا يضطرب، ذلك تقدير العزيز الذي عزَّ سلطانه، العليم بمصالح خلقه وتدبير شؤونهم. فتلك الظواهر الوجودية والكونية مَنْ مُهندسها ومدبّرها؟ أليس الله سبحانه؟ فأنىّ لنا نكران تلكَ النِّعم والغفلة عنها؟.

الخاتِمَة

يُعدُّ (الأثر القرآنيّ) مِن أهمِّ المواضيع المهمَّة التي لا يكادُ يخلو منها أيّ عملٍ أدبيّ أو علميّ، فكيف إذا كان هذا العمل مرتبطًا ارتباطًا وثيقاً بالقضيَّة العقديَّة، إذ ارتكز الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في أغلب فقراة دعاء الافتتاح على النَّص القرآنيّ، ليبينَّ أنَّ القرآن الكريم هو الحجّة البالغة على النَّاسِ جميعاً، وأنَّ الاشتغال بهِ والتَّدبر في آياتهِ مِن أشرفِ الأمورِ.

وإنَّ الاستعانةَ بالمفردةِ القرآنيَّة قد أدّى إلى توسيع دائرة الضَّوء الدلاليّ في الدُّعاء المزبور، إذ إنَّها قد اكتسبت الدَّلالة الواسعة العميقة في ضوءِ السِّياق القرآنيّ، علاوة على السِّياق الخاص بكل واحدة مِن الدُّعاءِ.

وفي ضوءِ النَّظر إلى جميعِ الأثار القرآنيَّة في الدُّعاءِ يتبينَّ مدى تعمّق الإمامُ عجل الله تعالى فرجه الشريف في القرآنِ الكريمِ، حتى غدا من ضمن كلامهِ الشَّريف، يتبينَّ أيضاً وحدة منهجهِ المبارك في ذلك، فهو عليه السلام سائر على نهجِ القرآنِ الكريم، ولن يحيد عنهُ ولو بمقدار أنملة.

وأمَليّ كُلُّهُ أن يكونَ هذا الجُهد مؤهلاً للالتحاقِ في مسيرةِ البحث الأكاديميّ، ليُضيءَ إضاءةً بسيطةً في ميدانهِ، ويُفيد باحثاً أو طالبَ علم، والله العالم مِنْ وراءِ القصدِ.

ونسألُ اللهَ تعالى أن نكونَ من السَّائرينَ على نهجِ القرآنِ الكريمِ وعَدْله، أهل البيت عليهم السلام، وأن نكونَ ممَّن يعي القرآن وعي رسالة إلهيَّة، يُرادُ منها التَّطبيق على المعمورة لإصلاحها والنُّهوض بها.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الخلقِ والأنبياءِ والمرسلينَ، حبيبِ إلهِ العالمينَ أبي القاسمِ المصطفى محمَّد صلى الله عليه وآله، وعلى أهلِ بيتهِ الطيبينَ الطاهرينَ، وصحبهِ المنتجبينَ المُخْلَصِينْ، وَمَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى قيامِ يومِ الدِّينِ.

المصادِر والمراجِع

القُرآن الكريم

■ إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، بيروت: دار الحكمة، من دون تاريخ.

■ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ط4 - 2005م.

■ باقر، السيد محمد، الصحيفة الجامعة لأدعية علي بن موسى الرضا وأبنائه الأربعة (عليهم السلام)، قُم- إيران: مؤسسة الإمام المهدي(ع)، مطبعة: جابخونه، ط1 - 1420هـ.ق- 1378هـ.ش.

■ البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1 - 1420هـ .

■ الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، بيروت: دار الكتاب العربي، من دون تاريخ.

■ الرضي، الشريف، خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الأميني، مشهد: إيران: مجمع البحوث الإسلامية، ط1 - 1406هـ.

■ السبحاني، الشيخ جعفر، الإلهيات، بيروت: الدار الإسلامية، ط1 - 1409هـ – 1989م.

■ السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدّر المصُون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم، (د. ت).

■ شبر، السيد عبد الله، تفسير شُبّر، تحقيق: الشيخ علي الأسدي، قُم- إيران: مكتبة فدك لأحياء التراث، ط1 - 1428هـ - 2007م.

■ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، قُم المقدسة: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، من دون تاريخ.

■ الصفار، ابتسام مرهون، أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، بغداد: دار الرسالة، ط1 - 1974م.

■ العاني، د. سامي مكي، (دراسة وتحقيق)، ديوان كعب بن مالك الأنصاري، بغداد: مطبعة المعارف، ط1 - 1386هـ - 1966م.

■ الفيومي، أحمد بن محمد، المِصباح المُنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: الدكتور خضر عواد، بيروت: مطبعة مكتبة مكتب لبنان، ط1 - 1987م.

■ القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، بيروت: دار القارئ، ط2-1442هـ – 2020م.

■ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مُعجم في المصطلحات والفروق اللغوية، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط- 1976م.

■ الهديبي، الشيخ حبيب، إشراقات فكرية من أنوار الخطبة الفدكية، بيروت: دار البلاغة، ط1 - 1423هـ - 2002م.

البُحوث

■ الشنيني، إيمان، التّناصّ النشأة والمفهوم، مجلة أُفق الثقافية، العدد 1، أكتوبر 2003م.

الأطروحـــــــةُ المهدويّـــــــة
بين مقولات الاستشراق والنُّصوص القرآنية

◆ أ. قاسم شعيب[1]

■ **خلاصة**

لم يُهمل المُستشرقون البحث في مسألة المهدوية، بل درسوها من زوايا منهجية مختلفة تاريخانيّة وأنثروبولوجية وإيديولوجية، وانتهوا إلى إنكارها واعتبارها عقيدة دخيلة على الإسلام، واردة من الديانات السابقة، تمامًا كما هو موقفهم من مُعتقدات وتعاليم إسلامية أخرى، دون أن يكون لذلك أيّ أساسٍ علمي، ودون اعتبار للنصوص التأسيسية المتواترة في شأن هذه المعتقدات.

في هذا البحث، سيتمّ استعراض مواقف عدد من المستشرقين(من اليهود والنّصارى) من الأطروحة المهدوية، في عنوانين مستقلين، ومناقشتها. ثم البحث في أصالتها القرآنية، من خلال عنوان ثالث يستعرض مجموعة من الآيات، المفسرة ومُؤوَّلة في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، احتضنتها الموسوعات التفسيرية، لدى كلٍّ من أهل السُّنة والشيعة على السّواء.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – المهدوية - الاستشراق- الشيعة – أهل السُّنة.

1 - باحث في الفلسفة والإسلاميات - تونس

مُقدّمة

يعكس البحث في مفهوم المهدوية في الإسلام الاهتمام بالمستقبل، من أجل استكشاف إمكانات خُروج الإنسانية من مآزقها المعرفية والقيمية والحضارية التي تتخبط فيها. وهو يُقابل البحث في فكرة الخلاص في الديانات الأخرى. وتحقيق هذا الهدف لن يحدث بالقطيعة مع الماضي، الذي لا يُمكن الانفصال عنه في أي عملية بناء حضاري جديد.

وكما هو معلوم فالمهدوية أطروحة إسلامية تتّصل بظهور شخصية استثنائية في نهاية الزمان، لتُنقذ العالم وتخلِّص البشرية من الفساد والظلم والحروب والشرور التي ستعمّ، وتطبيق العدالة بين الناس، وصولا إلى تحقيق أهداف رسالات الأنبياء، بالإضافة إلى نشر السلام والحرية والرخاء العام في العالم.

لكن عددًا من المستشرقين الذين تناولوا مسألة المهدوية حاولوا إنكار أصالتها الإسلامية، من خلال إهمال النُّصوص الخاصّة بها، والادّعاء بأنها فكرة أو عقيدة يهودية ومسيحية أدخلها الشيعة إلى الإسلام بسبب مُعاناتهم من بطش الأمويين وبحثهم عن الخلاص. وهذا ما تطلّب منّا عرض مواقفهم ومناقشتها. ثم تقديم الأدلة القرآنية على أصالتها وتجذُّرها في العقيدة الإسلامية، لأنّ القرآن هو النّص المركزي الأول الذي تحتاج المعتقدات الدينية - الإسلامية إثبات نفسها من خلاله.

1 - الاستشراق والأطروحة المهدوية

يُشير مفهوم الاستشراق إلى الدراسات الغربية في المجالات الثقافية والتاريخية والسياسية

في المنطقة العربية والعالم الإسلامي. فهو، كما وُصف، "علم بالشرق"، تأسّس في البداية في بريطانيا لفهم مُعتقدات الشرق وثقافاته، إبان التمدّد الاستعماري في بلاد الشرق.[1]

بدأ الاستشراق في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وفي القرن السابع عشر أصبحت لندن وباريس أهم المراكز لدراسة الشرق، قبل أن تظهر معاهد متخصصة في هذا النوع من المعرفة. والاستشراق هو نفسه الثقافة الغربية في نظرتها للثقافات الشرقية. وهي نظرة نمطية، غالبًا ما تفشل في إدراك عُمق الثقافة الإسلامية التي لم يستطع المستشرقون قراءتها إلا من خلال خلفياتهم الدينية والمذاهب والإيديولوجيات التي يتبعونها.

ومن أشهر هذه المواقف مثلا، موقف المستشرق الألماني مراد هوفمان(1931-2020م)، الذي يقول في وصف الشيعة: "الشيعة متاهات الأسرار وسراديب الغيب التي يمتلك مفاتيحها سدنة وكهنة ضالُّون مُضللون، صفوة ذات وصاية مترسبة عن نماذج قبلية يستبد في الحكم فيها الزعيم والشيخ العظيم، بينما السُّنة عكس ذلك"[2]. بينما يقول غولد تسيهر(1850م - 1921م): "الشيعي الحاضر لا يقلّ عن الشّيعي السّاذج في الشعور بالحنق والسخط على الأمويين"[3].

ومن الواضح أنّ هذه الأحكام لا تنطلق من أُسس موضوعية بقدر ما تعكس مسبقات دينية وثقافية. فـ هوفمان مستشرق مسيحي قال إنّه تحوّل إلى الإسلام واعتنق المذهب السُّني. وغولد تسيهر مستشرق يهودي. وكلاهما لا يمُكنه إلا إطلاق أحكام سلبية تُجاه الشيعة. وهي أحكام ستتكرر في مواقفهم من عقيدة المهدوية.

أ- المهدوية في الاستشراق اليهودي

تتّفق الدراسات الاستشراقية اليهوديّة حول إنكار العقيدة المهدويّة وأصالتها في الإسلام، لكنهم ينقسمون في تفسير ظهورها إلى تيارين:

1 - زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، د. ت، ص20 .
2 - هوفمان، الإسلام كبديل، ص134.
3 - غولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص180.

التيار الأول: يعتبر الفكرة المهدوية واردة من الديانات السابقة. ويقول أصحابه: "إنّ المهدويّة الإسلاميّة خرافة، وأنّ أصلها ومنبعها التراث الديني اليهودي"[1]، وهذه دراسات أيديولوجية وغير علمية، فهي تُكرر الأفكار ذاتها بأساليب متنوعة.

يقول المستشرق اليهودي جيمس دارمستيتير (1894 - 1849م) James Darmesteter في كتابه "المهدي الماضي والحاضر"[2]، إنّ فكرة المنقذ والمخلّص موجودة قبل الإسلام عند ديانات سابقة، وقد أخذ المسلمون الفكرة من الديانات الثلاثة: اليهوديّة والمسيحيّة والزرادشتيّة، وهذا يعني أن عقيدة المهدويّة في الإسلام ليست أصيلة. وقد أكّد هذا الزعم المستشرق فيليب هيتي (1886-1978) في بحثه عن "المهدي" الذي كتبه في دائرة المعارف الكاثوليكيّة الأمريكيّة، إذ يقول: "إنّ المهدي عند الشيعة ما هو إلا انعكاس للمعتقد اليهودي والمسيحي"[3].

لكن فكرة الخلاص أو المهدوية تُعتبر سابقة أيضًا على اليهودية، حيث نجدها في الديانات الشرقية القديمة. فالبرهمانية التي تعتبر أم الديانات الوثنية، تعتقد بظهور مُخلص في نهاية الزمان، بعد أن يعمّ الفساد والظلم الأرض. وهذا المخلص هو كريشنا الذي ينزل في صورة بشرية ليُخلِّص الأرض من الظالمين وينشر العدل بين الناس.. فهو بطل ملحمة المها بهارتا. ولذلك يصف الهندوس كريشنا بأنه الفادي، والمُعزّي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله الذي ولد من العذراء ديفاكي.

وإذا كان الأمر كذلك، فعلى المستشرقين جيمس دارمستيتير وفيليب هيتي أن يُفسِّرا لنا هذا التشابه بين المُعتقد البرهماني والمعتقد اليهودي والمسيحي بخصوص ظهور مخلص في آخر الزمان، ولماذا لا يقولان: إنّ اليهودية والمسيحية هما كذلك نقلا معتقدات برهمانية؟ بل إنّ المستشرق المسيحي مُطالب بتفسير هذا التطابق العجيب بين كريشنا والمسيح في اعتبار كل منهما مُخلِّصا ينزل من السماء، وأنه الأقنوم الثاني في ثالوث اللاهوت المُقدس وابن الإله من امرأة عذراء!؟

1 - The Mahdi Past and Present, P1115-.

2 - Ibid, P11- 15.

3 - Al-Mahdi, in New Catholic Encyclopedia, Volume 9, P48.

والحقيقة إنّ فكرة الخلاص والمهدوية كانت حاضرة في كل الرسالات النبوية منذ آدم وإبراهيم عليهما السلام. فقد كان الوحي يخبرهم بأحداث المستقبل، ويُعرفهم على الأنبياء والأوصياء الذين سيأتون من بعدهم. ومن الطبيعي أن تتسرب تلك الأخبار إلى الوثنيين ويدخلونها في معتقداتهم بعد التلاعب بها. وهذا الأمر يتأكد في شأن النبي الخاتم وأوصيائه، وصولا إلى خاتم الأوصياء(المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهذا ما تُشير إليه الآية الكريمة: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة:37]. عن "المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ..**﴾[البقرة: 124]، ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: "يا ربِّ أسألك بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تُبت عليّ، فتابَ الله عليه، إنه هو التّواب الرحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله: ﴿**أَتَمَّهُنَّ**﴾؟ قال: يعني أتمهن إلى القائم عليه السلام، اثْنا عشر إمامًا"، تسعة من وُلد الحسين عليه السلام. قال المُفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ..**﴾[الزخرف:28] ؟ قال: يعني بذلك الإمامة، جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة"[1].

ولم يتوقف المستشرق جيمس مستيتير في كتابه "المهدي الماضي والحاضر" عند ذلك، بل ادّعى إلى أنّ النّبي لم يخلف أبناء ذكورًا[2]. فالمهدي ليس من وُلده. وهذا الموقف يرفضه كل المسلمين، سُنّة وشيعة، حيث إنهم مُتفقون على أنّ المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وآله. فليس المهدي حفيد النبي من وَلد ذَكر له، بل هو حفيده من ابنته فاطمة عليها السلام. ومن المؤكّد دخول البنات وأولادهن في ذرّية الرجل. فهم أسباط وأحفاد بلا شك.

وقد سمّى النبي صلى الله عليه وآله الحسين عليه السلام سبطا من الأسباط، لأنّ السّبط هو الحفيد من البِنت (أو الابن)، والذي يُمثل الامتداد المادي والمعنوي للرجل. فالفعل سَبُط تعني طال واسترسل. والإمام

1 - الصدوق، معاني الأخبار، ص305.

2 -James Darmesteter, The Mahdi Past and Present, P16.

الحسين عليه السلام يُمثل امتدادا للنبي صلى الله عليه وآله، فهو جده. وفي آية المباهلة قال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾[آل عمران: 61]، فجاء بالحسن والحسين، مع علي وفاطمة(عليهم السلام). والمهدي عليه السلام هو آخر العنقود في سلسلة الأئمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام، فالرسول صلى الله عليه وآله جدّه كما هو جدّ الحسين عليه السلام.

وإنكار أن يكون المهدي عليه السلام من ذرية النبي صلى الله عليه وآله، يُساوق إنكار أن يكون المسيح من ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأنّ المسيح إنّما ينتسب لإبراهيم ويعقوب من جهة أمّه مريم عليها السلام، وهي أيضًا حفيدة لسليمان بن داوود[1]. وهذا في الحقيقة ما فعله اليهود مع المسيح الذي اتهموه بمختلف التُّهم، وانكروا انتسابه ليعقوب وداوود، ثم حاولوا قتله.

ويدّعي المستشرق مستيتير أنّ المهدوية لم تتحقّق في كل البلاد الإسلامية، مما يطرح شكوكًا حول نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصدقه[2]. وهذا الكلام قد يصح، لو كان النبي صلى الله عليه وآله قد حدّد وقتًا مُعيَّنا لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بينما هو في الحقيقة لم يحدد أي وقت. ولا يُمكن القول - تبعا لذلك- إنّ نبوته أصبحت محلّ شكٍّ. وحتى لو كنا في آخر الزمان الذي يظهر فيه الإمام، فإنّ آخر الزمان هذا لم ينته، لأنّه إنما ينتهي بحرب عُظمى، وتحقُّق سائر العلامات[3].

وقد لجأ المستشرق فيليب هيتي في بحثه عن "المهدي" إلى رواية ضعيفة ومصنوعة لتبرير هذا الإنكار، إذ يقول: "هناك رواية تُشير إلى كون عيسى عليه السلام هو المهدي نفسه"[4]، بينما يسقط

---

1 - في الآية الكريمة: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ**﴾ [الأنعام: 83-85]. فنسب عيسى إلى داوود من جهة أمه.

2 -The Mahdi Past and Present: Translator's Preface – Ada S. Ballin, Page 4.

3 - روى البخاري، (حديث: 7121)، عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة». وفي "الغيبة" للطوسي، ج1، ص361: عن الإمام الصادق عليه السلام «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقلنا إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال: أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي».

4 - هيتي، فيليب، دائرة المعارف الكاثوليكيّة الأمريكيّة – لفظة (المهدي)، المجلّد 9، ص48.

المستشرق رونلدسن في فخ الاستهزاء بعقيدة المهدوية من خلال قصّة السرداب، كما في كتابه "عقيدة الشيعة"[1]، بينما تُوجد نصوص كثيرة تؤكد اختفاء الإمام المهدي(عليه السلام)، وهو لا يزال صبيًّا، في هذا المكان أثناء ملاحقة جنود العباسيين له.

إنّ خبر "لا مهدي إلّا عيسى ابن مريم"[2]، خبر أحاد ضعيف السّند، وهو لا يصمد أمام الروايات الصحيحة والمتواترة عن الإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف) لدى جميع الفرق الإسلامية. فالمهدي (عجل الله فرجه الشريف) من عترة النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) من ولد فاطمة، كما تقول الروايات المتواترة، عند السُّنة والشيعة، ومنها: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[3].

التّيار الثاني: يدّعي أنّ فكرة المهدوية لا أساس لها في الأديان، وهي ليست وحيًّا، بل هي انعكاس لواقع نفسي واجتماعي تعرض له الشيعة في التاريخ. فقد قال المستشرق دوايت رونلدسن في كتابه "عقيدة الشيعة": إنّ "الإخفاق الذي أصاب الحكومة الأمويّة في توطيد أركان العدل، هو المنشأ لظهور فكرة المهدي"[4]، وزعم رونلدسن "أنّ روايات المهدي موضوعة في عصر ما قبل تدوين السنّة النبويّة، وإنّ الكتب الروائيّة السُنّية قد خلت من هذه الروايات، و"إنّ سرّ وضع الحديث عند الشيعة، هو أنّ القرآن لم يذكر الإمام فاستغلّوا السُّنّة لذلك"[5].

وقد أكّد على الفكرة نفسها المستشرق إغناس غولدتسيهر، في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" إذ يقول: "لا بدّ من تأسيس فكرة الآمال الصامتة لتهدئة روع الناس، ومن أجلى مظاهر فكرة الآمال الصامتة مسألة المهدي"[6]، وكذلك المستشرق فان فلوتن في كتابه "السيادة العربيّة" إذ قال: "ولا يفوتنا أن نذكر أوّلاً أنّ ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظلّ وهمًا من الأوهام،

1 - دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص247 و248.
2 - ابن ماجه، السنن، ج2، ص340، ح: 4039، وقد ضعّف علماء الجرح من أهل السنة هذا الحديث الغريب، وقدحوا في أحد رواته(محمّد بن خالد الجندي).
3 - أبو داود، سنن أبي داود، ح: 4284، وابن ماجه، سنن ابن ماجة، ح: 4086، الألباني، صحيح الجامع، ح:6734.
4 - دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص231.
5 - دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص231.
6 - غولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص85.

حتّى إنّ حاجة الشرقيّين اليوم إلى مهدي يملأ الأرض عدلاً لم تكن أقلّ منها في عهد بني أميّة، ولم يكن جَوْر النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسيّة بأقلّ من النظام الأموي المختلّ، فحفّز النفوس إلى التمسّك بعقيدة المهدي والتطلّع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره"[1].

وفي مرحلة متأخرة اشتهر اليهودي الأمريكي (برنارد لويس) (1916-2018م) Bernard Lewis، باعتباره أحد المستشرقين الصهاينة الكبار الذين درسوا الحركات الدينية وتأثير مفهوم المهدي على تلك الحركات التي وُصفت بالثورية والسياسية.

كان لويس بدوره يُنكر أصالة المسألة المهدوية في الإسلام ويبحث عن تبريرها من خلال السياقات التاريخية والسياسية. وقد رأى أنّ هذه الفكرة كانت تُستخدم في كثير من الأحيان كوسيلة لتوحيد ودعم الحركات السياسية والاجتماعية، خاصة خلال فترات الاضطراب والأزمات. وفي أحيان أخرى كانت تُستخدم لتحقيق أهداف خاصة بالزعماء الدينيين والسياسيين، أو لتبرير الثورات أو حركات التمرُّد. وقد كتب يقول: "اجتذبت أشكال التشيُّع المتطرفة التي لا تقبل التوفيق، المَوالي من الفُرس وغير الفُرس، فأدخل هؤلاء فيها الكثير من الأفكار الدينية الجديدة التي استقوها من معتقداتهم المسيحية واليهودية والفارسية الأولى.

وربمّا كان تصوّر المهدي (أي المهدي إلى سواء السّبيل)، هو أهم هذه الأفكار الدينية الجديدة. وكان المهدي في أول الأمر زعيما سياسيًّا فحسب، ولكنه سرعان ما أصبح داعية دينيًّا مُنقذًا. ونرى أول مظهر مميز لهذا المذهب في ثورة المختار، الذي نظّم في سنة 685-687 م ثورة في الكوفة باسم محمد بن الحنفية"[2].

إنّ عقيدة المهدي لو كانت فكرة شيعية محضة، لما وجدنا لها أثرًا في كُتب أهل السُّنة ومُدوناتهم، رغم أنهم يقدّسون مُؤسس الدولة الأموية الذي يعرف الجميع موقفه من الإمام علي وشيعته. فكُتب الحديث والتفسير السُّنية تضم أخبارًا متراوحة بين الصحيح والحسن والموثق

1 - فلوتن، السيادة العربيّة والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ص132.
2 - لويس، برنارد العرب في التاريخ، ص. ص.100-101.

وغير ذلك، عن الإمام المهدي(عليه السلام)، فاقت الأربعمئة حديث، تتحدث عن خروج الإمام ونشره العدل. ومن هذه الأحاديث أربعون حديثًا مروية بطرق متعددة. وهذا كلّه يجعل المسألة في دائرة التواتر.

لقد صدرت هذه الأحاديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله) بينما لم يكن هناك وجود للحكم الأموي، ولا ممارساته القمعية ضد الشيعة وأئمتهم. وهي تتحدث عن ظهور المهدي(عليه السلام) في آخر الزمان، وتجعله من المحتوم.

ومن المحال أن تكون كل تلك الأحاديث - على كثرتها - كلها موضوعة، خاصة وأن السلطة التي انتقلت بعد الرسول إلى قريش والأمويين كانت معادية لأهل البيت (عليهم السلام) وعقيدة المهدي من الأساس. وهذا يعني أنّ الأحاديث حول المهدي(عليه السلام) أكثر من ذلك بكثير، ورغم محاربتها إلا أنها وصلت إلى الناس جيلا بعد جيل. إننا نجد مثلاً في موسوعة "معجم أحاديث الإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف)" ما مجموعه 1861 حديثًا متعلّقة بالمهدي(عليه السلام)، استخرجت من مصادر مختلفة. ولذلك، فإنّ القول: إنّ فكرة المهدي خرافة من صنع خيال الشيعة، هو في الحقيقة إغماض للعين عن الحقيقة.

كما يُوجد اتفاق بين الشيعة وأهل السُّنة على وجود المهدي(عجل الله فرجه الشريف) وتُحمّله مهمة إنقاذ المسلمين والعالم كله من الظّلم والجَوْر. وقد اعترف ابن خلدون (1332-1406م) بأن بعض الأحاديث الخاصة بالمهدي(عجل الله فرجه الشريف)، لدى أهل السُّنة صحيحة. وقال شيخ الأزهر الاسبق محمد خضر حسين (1876 - 1958م) ردّا على ابن خلدون: "ونحن نقول: متى ثبت حديث واحد من هذه الأحاديث، وسَلِم من النقد، كفى في العلم بما تضمنه من ظهور رجل في آخر الزمان يسوس الناس بالشرع، ويحكمهم بالعدل، إذ أريناك أنّ مسألة المهدي لم تكن من قبيل العقائد التي لا تثبت إلا بالأدلة القاطعة..

والصحابة الذين رُويت من طرقهم أحاديث المهدي نحو 27 صحابيًّا.. منهم: أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبد

المطلب، وتميم الداري، وابن عباس.. والواقع أنّ أحاديث المهدي بعد تنقيتها من الموضوع، والضعيف القريب منه، فإنّ الباقي منها لا يستطيع العالم الباحث على بصيرة أن يصرف عنه نظره، كما يصرفه عن الأحاديث الموضوعة..

وقد صرّح الشوكاني، بأنّ هذه الأحاديث بلغت مبلغ التواتر، فقال: "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون، فيها الصّحيح والحسن والضعيف المُنجبر، وهي متواترة بلا شك، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول.. وأضاف: يقول بعض المنكرين لأحاديث المهدي جملة: إنّ هذه الأحاديث من وضع الشيعة لا محالة. ويرد هذا، بأن هذه الأحاديث مروية بأسانيدها، ومنها ما تقصّينا رجال سنده، فوجدناهم ممن عُرفوا بالعدالة والضبط، ولم يتّهمهم أحد من رجال التعديل والتجريح بتشيُّع، مع شهرة نقدهم للرجال".[1]

ب- المهدوية في الاستشراق المسيحي

ركّز المُستشرقون المسيحيون على دراسة النصوص الإسلامية مثل القرآن والأحاديث، بالإضافة إلى النصوص التاريخية والأدبية، لفهم الأصول والتطورات المتعلقة بمفهوم المهدوية. وتناولوا قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف من عدَّة جوانب، منها: مسألة وجوده من عدمها، والأساس الذي بُنيت عليه القضية المهدوية، كما ناقشوا مسألة ولادته والظرف السياسي الذي رافق ذلك. وتحدثوا عن الغيبتين الصغرى والكبرى وعن السفراء الأربعة والأدوار التي أُوكلت إليهم.

أوّلا: ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

كان التشكيك والإنكار سيِّدا الموقف لدى عموم المستشرقين المسيحيين، الذين كرّسوا جهودهم لنفي وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف دون الاستناد إلى أدلة، فالمستشرق رودولف شتروثمان

1 - موسوعة الأعمال الكاملة، ج1، الصفحات: 168--169 170.

(1877-1960م) Strothman مثلا، قال: "من المشكوك فيه كل الشك أنَّ الحَسن الخالص، وهو الإمام الحادي عشر، قد خَلَّفَ ولداً على الإطلاق لما مات عام 260هـ - 873م، لكن ساد بين الشيعة الإمامية الاعتقاد بوجود ابن له هو محمد حجة الله[1]. فهو يستبعد تماماً ولادته، أو أن يكون للإمام العسكري ولد، ووجوده عنده ليس إلّا اعتقاداً لدى الشيعة الاثني عشرية.

ويذهب المستشرق الألماني (إسرائيل فردناند) (1876-1920م) Isr.Friedländer في الاتجاه نفسه، ويتحدث عن ولادة أسطورية وذات إشكالية كبيرة، مدعيا أنها حدثت في اليوم نفسه الذي توفي فيه والده الإمام الحسن العسكري عام 260هـ[2].

ومن جهته، أنكر (هاينز هالم) (؟ -1942م) Heinze Halm ولادة الإمام[3]. وهو يعتمد في ذلك نصوصًا سُنّية، بما أن الاستشراق عامة يتبنّى الاتجاه السُّني ليُهاجم المعتقدات الشيعية من خلالها، لكنه يقع بذلك - من ناحية أخرى-، في إنكار مسلمات وحقائق إسلامية تُؤكدها نُصوص صحيحة لدى الفريقين. وهذا المستشرق، عندما يقول إنّ ذلك من اختراعات رواة الشيعة الأوائل، يذكر رواية أوردها النوبختي (ت310هـ) في كتابه "فرق الشيعة"، مفادها أنَّ الإمام العسكري عليه السلام مات ولم يخلِّف أي ولدٍ يرثه، ولذلك ورثه أخوه جعفر[4]، بينما روى النوبختي ذلك الخبر ولم يتَبنَّه، فقد روى روايات كثيرة أخرى في كتابه عن ولادة الامام المهدي عليه السلام. ولذلك، يُحتمل هنا أن يكون الإمام العسكري قد أخفى خبر ولادة الإمام المهدي عن السلطان العباسي خوفاً عليه من القتل، وسوف يظهر كقائد للمسلمين[5].

وبدوره، يقف المستشرق الألماني (غيرهارد كونسلمان) (1932-2008م) Konzelman في صف المنكرين لولادة الامام. فقد سرد الأحداث التي سبقت الولادة وما جرى على الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام. وسَرد قصة زواج الإمام العسكري من الأميرة البيزنطية. لكنه شكّك في

1 - دائرة المعارف الإسلامية، الشيعة، ج20، ص6422.

2 - Heterodoxies of the Shiites , p13

3 - هالم، هاينس، الشيعة، ص45-47.

4 - النوبختي، فرق الشيعة، ص99.

5 - فرق الشيعة، ص47.

مجمل القصة، وادَّعى أنَّها أسطورة من نسج خيال مؤرِّخي الشيعة، الذين أرادوا منها إقناع الناس بمسار الأحداث التي من شأنها إثبات إمامة محمد بن الحسن الإمام الثاني عشر[1].

وتُورد الكُتب الشيعية التفاصيل الخاصة بولادة الإمام ونسبه[2]، وهي تتضمن الكثير من الروايات الصحيحة[3]. ومن المناسب في هذه الحالة أخذ بعض التفاصيل الخاصة بولادة الإمام من المصادر التي نوّه بها النبي ﷺ في حياته عندما أحال الناس من بعده إلى عترته. ولا جدال بين المؤرخين والرواة حول علم الأئمة الإثني عشر وتقواهم وجلالتهم، والأحرى الأخذ عنهم فيما يقولونه أو يروونه عن رسول الله ﷺ.

بل إنّ هناك مصادر سُنية تتحدث عن ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، عندما تتحدث عن غَيْبته. روى ابن الصباغ المالكي، قال: "وله قبل قيامه غَيْبتان: إحداهما أطول من الأخرى. فأما الأولى فهي القُصرى، فمنذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وأما الثانية، وهي الطُّولى، فهي التي بعد الأولى. في آخرها يقوم بالسيف. قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء: 105]"[4].

ثانيًا: قصّة المُصاهرة

ادّعى المستشرق كونسلمان أنَّ الشيعة أرادوا إثبات وجود علاقة مصاهرة بين عيسى ومحمد (صلوات الله عليهما)، ليكون ذلك مقدمة لتوحيد أتباع الرسالتين على الدين الصحيح الذي سيظهره المهدي عجل الله فرجه الشريف. وهذه المُصاهرة تُوحي عنده بأنّ المسيح اعترف بعلو الإسلام وأنّ اتّباعه هو السبيل الأصح والأسلم.

1 - غارهارد كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص107.

2 - الطوسي، الغيبة، ص414. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص418.

3 - راجع مثلا: الشيخ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي، ط1، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم-إيران، 1411 هـ. ق.

4 - ابن الصباغ، الفصول المهمّة في معرفة الأئمة، ص318.

ومن ناحية أخرى، أراد مُؤرخو الشيعة التأكيد على نُبل سلالة النبي محمد ﷺ من خلال مُصاهرة أنبل أسرة مسيحية، ليتمّ التوحيد بين الإسلام والمسيحية، وبذلك يُصبح المهدي مخلّصا لأتباع الديانتين معًا والعالم كله تبعًا لذلك[1]. لقد اعتقد كونسلمان أنّ القصة أسطورة أراد بها المؤرخون الرفع من شأن الإسلام. لكن الحقيقة أنّ النبي وأهل بيته والأئمة ليسوا في حاجة لإثبات شرفهم العائلي من خلال الزواج بأي امرأة مهما كان نسبها وأصلها. فالنُّبل خاصّية عائلة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) صعودًا إلى إسماعيل وإبراهيم. وهو شيء لا ينكره عربي أو مسلم في تلك العصور. وقد مدح القرآن النبي في خُلقه، وأهل البيت في طهارتهم، ودعا إلى مودّتهم وطاعتهم في آيات كثيرة. لكننا لا ننفي إمكانية أن تكون تلك المُصاهرة من أجل استمالة المسيحيين. كما يُمكن أن تتعلق من جانب آخر بعودة المسيح، ليكُون المساعد للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على هداية النصارى.

ثالثًا: الغَيبة الصُّغرى والسُّفراء الأربعة

كتبَ المستشرقون الألمان عن موضوع الغيبة والسفارة، ومنهم المستشرق شتروثمان الذي اعتمد على العديد المصادر الشيعية. وهو يعتبر غَيبة الإمام اختفاءً غامضًا. ويشكُّ في غيبته كما شك في وجوده من الأساس، رغم اطلاعه على كتب الشيعة، ورغم أنه هو من أشرف على أطروحة الدكتوراه لجواد علي (1907-1987)[2]، في همبورغ سنة 1939، والتي تتحدث عن القضية المهدوية من خلال المصادر الشيعية. لكن من الواضح أنّ جواد علي كان هو المتأثر بهذا المستشرق وليس العكس، فقد كان بدوره يشك في موضوع النيابة وينسب للسفراء الأربعة مصلحة في ادّعائها لأنّ ذلك يجعل لهم وجاهة لدى الشيعة. وهو يتجاهل في هذا المستوى، شهادة الناس الذين رأوْه وتوقيعات الإمام عليه السلام[3]، التي تتضمن إجابات عن أسئلة يصعب على أي سفير امتلاكها.

1 - كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص. ص. 108 - 109 .

2 - الأطروحة كانت بعنوان: "المهدي المنتظر عند الشيعة الاثنا عشرية".

3 - هناك من ادَّعى البابية لنفسه مثل الشريعي والنصيري وابن بلال وآخرون فجاءت التوقيعات بعدم أحقيتهم. أما السفراء الأربعة فالتوقيعات تُؤكد أحقيتهم. انظر مثلا: الصدوق، إكمال الدين، ص482 و522. والطوسي، الغيبة، ص397 و415.

ونزعة الشك والإنكار تكررت عند المستشرقة الألمانية فيرينا كليم (Verena Klemm 1956م- ؟) وتساءلت عن جدوى الغيبة التي تُثير الشّك لدى الشيعة. وقد اتّضح أنّ الغَيبة كانت ضرورة لحفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف إلى أن يحين الوقت المناسب لظهوره.

أما المستشرق مراد ويلفريد هوفمان فقد استغرب من إصرار الشيعة على عودة الإمام الثاني عشر كي يصلح العالم بعد فساده[1]، وينكر ولادته من الأساس. وربما كان قليل الاطلاع على المدونة الحديثية بخصوص الإمام لدى الشيعة والسُّنة معًا، حيث تواتر خبره لدى الفريقين، أو أنه كان خاضعًا لمُسبقاته الدينية ومزاجه النفسي.

ويرى المستشرق إسرائيل فردلاندر أن غيبة الإمام و وُجود السفراء، شيء دخيل على التشيع ولا أصالة له، وأن أصوله نجدها في المسيحية لدى الطائفة الدوسيتية Docetic مثلا، التي تُؤمن بعودة المسيح، والديانة المانوية أيام الإمبراطورية الساسانية التي تؤمن بعودة ماني. فبالنسبة إليهما، نجا عيسى وماني من الصلب، وصُلب غيرهما[2].

لم يتحدث الشيعة عن صَلب المهدي أو قتله، بل عن اختفائه أثناء مداهمة العباسيين لبيت أبيه. كما أنهم لا يتحدثون عن رفعه إلى السماء كما يُقال عن ماني، أو كما ما حدث للمسيح. وهذا يعني أنّ غَيبة المهدي لا تُشبه رفع المسيح إلى السماء. وغَيبة الإمام هي غيبة لشخصيته، بحيث لم يعد أحد يستطيع التعرف عليه باستثناء الأشخاص الذين يختارهم هو. فهو يعيش مع الناس ويراهم ويحضر المواسم كما تُؤكد الروايات[3].

وإذا أصرّ المُستشرق إسرائيل فردلاندر على تشابه مسألة غَيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بما حدث للمسيح عليه السلام من "صَلْب ورفع" كما يعتقد، فعليه أن يوضّح لنا سبب تلك المصادفة الغريبة بين عقيدة صَلب المسيح ورفعه في المسيحية، وعقيدة صَلب ماني ورفعه التي نجدها في الديانة

1 - هوفمان، يوميات ألماني مسلم، ص89.

2 - Heterodoxies of the Shiites، pp 32- 29.

3 - في الخبر "عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله(ع) يقول: «إنّ للقائم غيبتين يرجع في إحداهما وفي الأخرى لا يُدرى أين هو، يشهد المواسم، يرى الناس ولا يرونه»، النعماني، الغيبة، ج1، ص179.

المانوية، السّابقة تاريخيًّا للمسيحية. ولماذا يُصر على القول بوُجود التشابه بين غَيبة المهدي وظهوره ورفع المسيح وعودته، بينما يغضُّ الطرف عن التشابه الأكثر وضوحًا، والذي يصل إلى حدِّ التطابق بين المسيحية والمانوية في هذه العقيدة.

لم تكن غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مُفاجئة للشيعة، فقد تحدث عنها النبي والأئمة بكثرة. كما تحدثوا عن غيبتيه الصغرى والكبرى، وتحدّثوا عن ظهوره وانتصاراته. وقد تمّ إعداد الشيعة معرفيًّا ونفسيًّا لتقبل غيبة الإمام المهدي وتفهمها. وعندما غاب عليه السلام، جعل نُوابًا له حتى لا تكون هناك شكوكًا حول وجوده، ولا يكون غيابه التام مفاجئًا.

وقد نفى الشيخ المفيد وُجود أي انقسام داخل الإمامية بشأنه في ذلك الزمان، كما نفى رواية الأربعة فرق التي لا تُوجد لها أسماء[1]. ونقل ابن حزم الظاهري أنَّ الإمامية كلهم مُتّفقون على أنّ محمد بن الحسن المهدي حيٌّ لم يمُت، ولا يموت حتّى يظهر ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجَوْراً، وهو عندهم المهدي المنتظر[2].

ومن الجانب السُّني روى البرزنجي عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال: "لصاحب هذا الأمر – يعني المهدي عليه السلام – غيبتان، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم ذهب. ولا يطّلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره"[3]. غير أنّ البرزنجي فسرّ الرواية على أن الغيبة الصغرى تقع في جبال مكة. وأهمل الحديث عن الغيبة الثانية.

وروى الشافعي السلمي في كتابه "عَقْد الدرر" عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «لصاحب هذا الأمر - يعني المهدي عليه السلام- غيبتان، إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم "مات!"، وبعضهم "قُتِل!"، وبعضهم "ذَهَب!"، ولا يطّلع على موضعه أحدٌ من وليٍّ ولا غيره، إلاّ المولى الذي يلي أمرَه»[4].

أما سبب الاختفاء والغيبة فيرى المستشرق كونسلمان أنه الخوف، فقد خافت العائلة على

1 - المرتضى، الفصول المختارة، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ص321.
2 - ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، ص37.
3 - البرزنجي، الإشاعة لأشراط علم الساعة، ص187.
4 - السلمي الشافعي، عقد الدرر في اخبار المهدي المنتظر، ص134.

الإمام وقامت بإخفائه خوفًا عليه من مؤامرات عمِّه جعفر. وبعد ما حدث أمام تُجّار قُم، حيث أخبر الإمام بمبلغ المال، كان يُمكن لجعفر أن يخطط للقضاء عليه بالسُّم. وفي الواقع كان بيت الإمام العسكري عليه السلام في سامراء مبنيًّا فوق سراديب وأقبية متشعبة مَنَحَتْ الابن فرصة الاختفاء أثناء ملاحقة جنود بني العباس له. لكن من غير المعلوم ماذا حدث بعد ذلك[1]. ويبدو أنّ كونسلمان كان محقًّا في تحميل جعفر بن علي مسؤولية غيبة الإمام، لكن ذلك لا يجب أن يُبرئ الحاكم العباسي من جرائمه في ملاحقة الأئمة وآخرهم المهدي عجل الله فرجه الشريف. وقد أُثِر عن الإمام زين العابدين عليه السلام إخباره بحقيقة الأمر قبل وقوعه، حيث قال: «كأنيّ بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيّب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصًا على قتله إنْ ظفر به، طمعًا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه»[2].

لقد عمِل الاستشراق المسيحي، كما فعل نظيره اليهودي، على تزييف حقيقة المهدي عليه السلام، وادّعى بعضه أنه "الدجال المنبوذ" في كل الأديان، فقال المستشرق الأمريكي المعاصر الذي يتبنى الصهيونية المسيحية، جويل ريتشاردسون، في كتابه "المسيح الدجّال الإسلامي حقائق صادمة" إذ ذكر: "أنّ المسلمين ينتظرون المسيح الدجّال لا ليرفضوه بل ليقبلوه"، وزعم أيضًا "أنّ المهدي يتشابه تمامًا مع المسيح الدجّال"[3]. ولأجل ذلك، يدّعي هذا المستشرق أن الدجال هو من ذرية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله. وهذه مُفارقة. فقد كان النبي يحذّر من الدجال وفتنته، ويُبشر بالمهدي ويدعو إلى موالاته محددًا نسبه وصفاته وأخلاقه وعلمه والتزامه. وحدّد في المُقابل صفات الدجال الجسدية فقال إنه أعور[4]، كما حدّد صفات الإمام المهدي فقال إنه في غاية الحُسن[5]. وهذا مقياس محسوس يمكن التأكد من خلاله مِنْ هوية الدجال.

1 - كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص116.

2 - الطبرسي، الاحتجاج، ج2، ص49.

3 -Joel Richardson, The Islamic Antichrist, Pages 80, 94 & 187.

4 - في صحيحي البخاري ومسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية». حديث رقم: 7407 . وعن عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وآله قال: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، ذلك أن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتية ولا جحراء، فإن أُلبس عليكم، فاعلموا أن ربّكم ليس بأعور». المجلسي، بحار الأنوار، ج88، ص92.

5 - أبو داود، السنن، ح: 4285؛ والحاكم، المستدرك، ح: 8670.

لا تعكس كتابات المستشرقين مواقف علمية من الإسلام عمومًا والشيعة بشكل خاص. وهم يصدرون عن خلفيات اعتقادية وفكرية ومهنية متنوعة. فهناك العسكري والمُخابراتي والأكاديمي والباحث ورجل الدين..إلخ، وكانت نظرتهم للشرق تنقسم إلى موقفين، الأول: أَقلِّي يُبدي احترامًا له. والثاني: أكثري يعكس حالة من الاستعلاء. والموقف الاستعلائي يُحيل إلى شعور بالقوة والتفوق مُقابل الضّعف والتخلف الذي تردّى فيه العالم الشرقي. وغالبًا ما يستخدم الاستشراق أداة لتكريس ذلك التفوق من خلال دارسة نقاط القوة والضعف في الثقافة الشرقية من أجل تأبيد الهيمنة والاستتباع.

لا شك أنّ الاستشراق يعكس توقًا غربيًّا لمعرفة الآخر من أجل الإحاطة بسلبياته وإيجابياته ودراستها واستخدامها في التعامل معه. وكانت نتيجة ذلك التّوق، جمع الكثير من المخطوطات العربية وتنظيمها وترتيبها وحفظها في المكتبات الغربية. لكن هذا الجانب الإيجابي لا علاقة له بالموضوعية العِلمية، بقدر ما له علاقة بالبحث الغربي عن اكتساب أسباب القوة.

ردّ العرب على مقولات الاستشراق بطريقتين تختلفان باختلاف خلفياتهم الفكرية والإيديولوجية والمذهبية. الأولى كانت مرحّبة، وقادها "الحداثيون" الوضعيون الذين يتبنّون الأنساق الفكرية الغربية، ولا توجد لديهم سوى مناقشات جزئية من أجل تغليب رأي هذا المستشرق على ذاك. والثانية رافضة تبناها "الإسلاميون" وجاءت ردودهم من زوايا مختلفة علمية ومذهبية وإيديولوجية.

وقد تحدث بعض "الحداثيين" عن ضرورة إنشاء علم للاستغراب في مُقابل الاستشراق، من أجل دراسة الثقافة الغربية بطريقة نقدية كما فعل د. حسن حنفي في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب". لكن نقد الاستشراق يصعب أن يُنجزه باحث يتبنّى مقولات الفكر الغربي الذي يحكم توجهات المستشرقين، ويصف نفسه بالوضعي ويتبنّى الأفكار المادية الغربية، ويُحاول إحلالها داخل المنظومة الإسلامية من خلال الادعاء بأن مفاهيم القرآن ومقولاته كما هو الله والوحي والنبوة والمهدوية والجنة والنار وغيرها، مُجرد رموز وإشارات ومجازات وليست حقائق[1].

1 - التراث والتجديد، ص 40 و61.

ومن المُفارقات أن يُبدي المستشرقون احترامًا كبيرًا لفكرة المهدي أو المخلص في عقيدتهم سواء كانت يهودية أو مسيحية، بينما ينكرون ذلك بخصوص عقيدة المهدوية في الإسلام. فهم ينفون عن غيرهم ما يعتقدون هُمْ به. وهذا يعني أنّ مواقفهم كانت محكومة بمعتقداتهم الدينية الخاصة. كما يعني أيضًا أنهم أنكروا المهدي تمسكا بمعتقداتهم حول الخلاص، وأنّ المَشيخ عند اليهود أو المسيح عند المسيحيين هو المُخلص.

2 - الأطروحة المهدوية في القرآن

لا يصمد إنكار المستشرقين للأطروحة المهدوية، وأصالتها داخل الإسلام أمام معطيات التاريخ ومنطوق الروايات المتواترة. ونحن لا نجد نصوص المهدوية في مُتون الحديث فحسب، بل إنّ القرآن لا يخلو منها. والاختلاف بين الاثنين هو أن ما نجده في المصحف تحدث عنها على نحو المفهوم وجاء شرح الأمر وتفصيله في حديث النبي والأئمة (صلوات الله عليهم). أكّد القرآن في كثير من الآيات على انتصار الدين الإلهي في النهاية وظهور الإمام الذي يُحرك في تلك الاطروحة في الواقع، ويُطبق أنظمتها للانتقال بالناس من واقع بائس ومرير إلى واقع مختلف تمامًا.

ولا تختص المُدونة الشيعية بإيراد النصوص التي تفسر الآيات التي تُبشر بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، بل يشمل ذلك المدونة السُّنية، وبشكل خاص موسوعات التفسير. ويمكن التوقف عند عدة آيات فُسّرت بالإمام المهدي عليه السلام.

أ- الإمام المهدي في التّفاسير السُّنية

★ **أولا:** قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[التوبة:33]، [الفتح:28]، [الصف:9].

وقد تكرّرت هذه الآية في ثلاثة سور، ربما من أجل التأكيد على حتمية ظهور الإسلام على غيره من الأديان، وقد فسّرها علماء أهل السّنة بأنها تُشير إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال الأندلسي في "البحر المحيط" والرازي في مفاتيح الغيب" والخطيب الشربيني في "السراج المنير" وابن عادل في تفسيره "اللباب في علوم الكتاب": "قال السدي: ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، وأدّى الخراج"[1]. وقال النيسابوري في تفسيره "غرائب القرآن": "وتمام هذا، إنّما يظهر عند خروج المهدي ونزول عيسى"[2].

أما القرطبي فقال في تفسيره: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ..**﴾ يريد محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بالهدى أي بالفرقان ودين الحق ليظهره على الدين كلّه أي بالحُجة والبراهين.. ليظهر الدين، دين الإسلام على كُل دين، قال أبو هريرة والضحاك: هذا عند نزول عيسى عليه السلام، وقال السّدي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، أو أدى الجزية، وقيل: المهدي هو عيسى فقط، وهو غير صحيح، لأنّ الأخبار الصّحاح قد تواترت على أن المهدي من عترة رسول الله ﷺ، فلا يجوز حمله على عيسى"[3].

ونقل الطبري رواية عن أبي هريرة في تفسير هذه الآية ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾، قال: »حين خروج عيسى بن مريم«[4]. وقد اتّفق السُّنة والشيعة على أن عودة المسيح لا تكون إلا عند ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)، فالبخاري يروي "عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أنَّ أبا هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»[5]. وابن حجر يقول في "فتح الباري": "وكلّهم - أي المسلمين- ببيت المقدس، وإمامهم رجلٌ صالحٌ قد تقدّم ليصلّي بهم، إذ نزل عيسى، فرجع الإمام ينكص ليتقدّم عيسى، فيقف عيسى بين كتفيه، ثمَّ يقول: تقدّم، فإنّها لك أُقيمت. وقال أبو الحسن الخسعي الأبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأنَّ المهدي من

1 - نظـر: ابن الأثير، البحر المحيط في التفسـير، ج5، ص406، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسـير الكبير، ج16، ص33، الخطيـب الشربينـي، السراج المنـير في الإعانة على معرفـة بعض معاني كلام ربنا الحكيـم الخبير، ج1، ص606، ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج10، ص77.

2 - النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج3، ص458.

3 - القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص121.

4 - الطبري، تفسير الطبري، ج10، ص150.

5 - صحيح البخاري، ح: 3449، وصحيح مسلم، ح: 155.

هذه الأمة، وأن عيسى يصلّي خلفه"[1].

وإذا كان القرآن والعترة متلازمين لا يفترقان كما في حديث الثقلين وغيره، فإن ذلك يعني أنّ لكل زمان إمامُه الذي ينطق عن القرآن ويُبين أحكامه. وهذا يثبت أنّ الإمام بعد العسكري عليه السلام، هو المهدي، فهو الإمام الثاني عشر، كما تؤكد رواية البخاري ومسلم بخصوص عدد خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وأنهم اثنا عشر.

ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يَردا عليّ الحوض»[2].

وهو حديث مشهور ومُتواتر يكشف ضرورة وُجود إمام من عترة النبي لا يفارق القرآن، كما أكد علماء من أهل السنّة مثل المناوي الشافعي في "فيض القدير" عند شرح حديث الثقلين، قال: "قال الشريف -الحافظ السمهودي-: هذا الخبر يُفهِم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمن إلى قيام الساعة، حتّى يتوجه الحثّ المذكور إلى التمسك به، كما أنَّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أمانًا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض"[3].

وهذا كله يُؤكد ما رُوي عن النبي والأئمة من آل بيته (صلوات الله عليهم) حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام. وهو ما ينسجم مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[الرعد: 7]. وقد أشار إلى ذلك صراحة الحافظ القندوزي الحنفي في كتابه "ينابيع المودّة" في رواية عن ابن عباس أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ عليًّا وصيّي، ومن ولده القائم المنتظر المهديّ الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت جَوْرًا وظلمًا، والذي بعثني بالحقّ بشيرًا ونذيرًا، إنَّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غَيبة؟ قال: إيْ وربيّ، ليمحّص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين»[4].

1 - ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص358.
2 - الألباني، صحيح الجامع الصغير، ج1، ص482، ح 3788، ومسند أحمد بن حنبل، ح21654.
3 - المناوي، فيض القدير، ج3، ص15.
4 - القندوزي، ينابيع المودّة، ج3، ص297.

✶ **ثانيًا**، قوله تعالى: ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾[التوبة:32].

قال الثعلبي في تفسيره: ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾، أي يُعلي دينه، ويُظهر كلمته، ويتمّ الحق الذي بعث به رسوله ولو كره الكافرون ﴿**لِيُظْهِرَهُ**﴾ ليعليه، وينصره، ويظفره ﴿**عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ على سائر المِلل كلّها ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾. قال السدّي: وذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، أو أدّى الخراج"[1].

✶ **ثالثًا**، قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[البقرة:114].

قال الطبري في تفسيره: "حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدّي قوله: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾، أما خزيهم في الدنيا، فإنهم إذا قام المهدي، وفتحت القسطنطينية قتلهم. فذلك الخزي"[2]. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: "حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي: أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي فتح القسطنطينية، وقتلهم، فذلك الخِزي، وروي عن عكرمة، ووائل بن داود نحو ذلك"[3].

وقال ابن كثير في تفسيره: "وفُسّر الخِزي من الدنيا بخروج المهدي عند السدّي، وعكرمة، ووائل بن داود"[4]. وقال القرطبي في تفسيره: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾، عن قتادة السدي: الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي وفتح عمورية ورمية وقسطنطينية، وغير ذلك من مدنهم على ما ذكرناه في كتاب التذكرة"[5].

✶ **رابعًا**، قوله تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[السجدة:21].

1 - الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج5، ص36.
2 - تفسير الطبري، ج 1 ص 545.
3 - ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص211.
4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص271.
5 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص79.

قال ابن عبد السلام في تفسيره: ﴿**الْعَذَابِ الأَدْنى**﴾ مصائب الدنيا في النفس والمال، أو القتل بالسيف، أو الحدود، أو القحط والجدب، أو عذاب القبر، قاله البراء بن عازب ومجاهد، أو عذاب الدنيا، أو غلاء السعر. ﴿**الْعَذَابِ الأَكْبَرِ**﴾ جهنم، أو خُروج المهدي بالسيف"[1]. وفي تفسير "البحر المحيط": "عن جعفر بن محمد: أنه خروج المهدي بالسّيف"[2].

✷ **خامسًا**، قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[الأنفال:39].

قال الآلوسي في تفسيره: ﴿**وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلهِ**﴾ وتضمحل الأديان الباطلة كلها إما بهلاك أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها خشية القتل، قيل: لم يجئ تأويل هذه الآية بعد، وسيتحقق مضمونها إذا ظهر المهدي، فإنه لا يبقى على ظهر الأرض مُشرك أصلاً"[3].

ب- الامام المهدي عليه السلام في التّفاسير الشيعية

نجد في التفاسير الشيعية تركيزاً أكبر بكثير من التفاسير السُّنية على شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وهناك كمٌّ كبير من الآيات المفسرة في الإمام. فقد اهتم النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام بالأطروحة المهدوية، وتحدّثوا في كل التفاصيل المتعلقة بها، كما فسّروا الآيات المُؤولة فيها بسبب أهميتها الفائقة. وهذا لا يعني أن المهدوية فكرة شيعية نبتت بسبب أوضاع سياسية واجتماعية معينة عانى منها الشيعة كما يدعي بعض المستشرقين، بل يعني أنّ الشيعة هم من اهتم بحفظ هذا التراث النبوي أكثر من غيرهم. فقد كانوا مرتبطين بأئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين يُمثلون الثقل الثاني، الذي أوصى النبي صلى الله عليه وآله بالتّمسك به، بينما تمسّك غيرهم بأشخاص لم يُوصِ النبي بالتمسك بهم ولا بأقوالهم، وربما أوصى بعكس ذلك.

ليست المهدوية مجرد مسألة فرعية تخصّ الجوانب العملية، كالصلاة والصيام، بل هي عقيدة

1 - العز بن عبد السلام، تفسير القرآن الكريم، ج2، ص553.
2 - أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج8، ص439.
3 - الآلوسي، روح المعاني، ج5، ص194.

متفرعة عن أصل الإمامة. فكما يؤمن الشيعة بالنبي في نبوته، وبأحد عشر إماما في إمامتهم، يؤمنون أيضا بالمهدي في ولادته وغيبته، وظهوره في آخر الزمان، وإمامته لكل المسلمين. والولاية له هي الجانب العملي من هذه العقيدة. أي إنّ الولاية هي التعبير العملي عن الاعتقاد بالإمامة والمهدوية. ومن تلك الآيات:

✶ **أوّلا:** قوله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء:5].

قال الطبرسي في تفسير الآية: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: «هُم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان». ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما قد ملئت ظلماً وجَوْراً»[1].

✶ **ثانيًا:** قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة:33].

روى الصدوق: عن أبي بصير قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾، فقال: والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام، لم يبْق كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى لو كان هناك كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مُؤمن في بطني كافر فاكْسرني واقْتله»[2].

✶ **ثالثًا:** قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ**

1 - الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج7، ص120.

2 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ح: 16، ص670، وتفسير فرات الكوفي، ح3، ص. ص.481-482 .

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور: 55].

روى فرات الكوفي: عن السدّي، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله -تعالى-: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾[النور:55] إلى آخر الآية، قال: نزلت في آل محمد ﷺ[1].

★ **رابعًا**، قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:59].

روى ابن بابويه «عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عزّ وجل على نبيّه محمد ﷺ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أُولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هُم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقْرِئْه منِّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن عليّ، ثم سَميّي وكُنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي. ذاك الذي يفتح الله - تعالى ذكره- مشارق الأرض ومغاربها على يديه، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غَيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امْتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال عليه السلام: أي والذي بعثني بالنبوة، إنّهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإنْ تجلّلها سحاب، يا جابر، هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلا من أهله».[2]

1 - تفسير فرات الكوفي، ص. ص. 288 - 289، الحديثان: 3 و6.

2 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، باب نص الله تبارك وتعالى على القائم عليه السلام، ج1، ح3، ص281.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[النساء: 159].

روى علي بن إبراهيم بسنده عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج: يا شهر، آية في كتاب الله قد أعيتني، فقلت: أيها الأمير أيّة آيةٍ هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[النساء:152]، والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيُضرب عنقه، ثُم أرمقه بعيني فما أراه يُحرك شفتيه حتى يخمد فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما أوّلت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره الاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خَلْف المهدي. قال: ويحك.. أنى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام. فقال: جِئْتَ بها والله من عين صافية"[1].

خاتمة

لا تخلو رسالة نبوية من فكرة المهدوية، كما تؤكد الروايات الإسلامية. فهي أصل مشترك بين جميع الرسالات التوحيدية. وبحسب تلك النصوص، فإن أوّلُ من بشّر بالقائم المهدي في آخر الزمان هو آدم بعد أن تلقى من ربِّه كلمات، فدعا بها وقُبلت توبته.

وعليه، فأطروحة المهدوية ليست أسطورة شيعية، كما ادّعى المستشرقون، بعدما تبين أنهم لا يختصُّون بها، بل يُشاركهم فيها أهل السُّنة الذين تعجُّ مُدوّناتهم في الحديث والتفسير بها. صحيح أنّ الشيعة يُؤكّدون عليها أكثر من غيرهم، ويعتبرونها امتدادًا لمفهوم الإمامة، كما يُبدون وضوحًا بخصوص هويّة صاحبها وحيثيات ولادته وغَيبته. لكن هذا شيء يُحسب لهم، فالمهدي عجل الله فرجه الشريف يجب أن يكون شخصًا مُحدّدًا في نسبه وصفاته وخصائصه، حتى يعرف الناس حقيقته ولا ينجرُّون وراء المُدعين للمهدوية الذين ظهروا عبر التاريخ. ولم تكُن المهدوية مجرد تنظير، بل كانت حقيقة مُشخصة في رجلٍ رآه كثيرون ونقلوا أحاديثه ومواقفه. وهو يختلف عن مُخلِّصي

1 - القمي، تفسير القمي، ج1، ص158.

الديانات الأخرى(المزعومين)، سواء في ذاته أو صفاته.

باختصار: تمُثل المهدوية عقيدة قرآنية وإسلامية خالصة، وقد تجسّدت في شخص الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهي عقيدة قائمة على أسس دينية وعلمية لا شكّ فيها. ومن خلالها وعد الله المؤمنين بالنصر والغلبة وظهور الدين(الإسلام) في آخر الزمان، أما ما ادّعاه المُستشرقون بكلِّ اتجاهاتهم، من تشكيكات وتحليلات ومواقف، فهو بعيد كلَّ البُعد عن الحقائق الدينية والتاريخية والعلمية، بل تبيّن تهافت الأطروحات الاستشراقية في موقفهم من العقيدة المهدوية وأصالتها الإسلامية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المُصنّف، تحقيق محمد عوامة، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط1-2006م.
- ابن الأثير الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت: دار الجيل، ط-2 1996م.
- ابن حماد، نعيم، الفتن، القاهرة: مكتبة التوحيد، ط1 - 1991.
- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت.
- ابن عادل، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
- ابن عبد السلام، العز، بيروت: دار ابن حزم، د. ت.
- النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الآلوسي، تفسير رُوح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت: د. ت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط1 - 1422هـ.
- البرزنجي، محمد بن رسول، الإشاعة لأشراط علم الساعة، بيروت: دار المنهاج، ط3 - 2005م.
- الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- حسين، محمد الخضر، موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين، منشور على

المكتبة الشاملة الإلكترونية.

- حنفي، حسن، التراث والتجديد، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر، ط5 - 2002م.
- حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط- 1991م.
- الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، المطبعة العلمية، قم- إيران، ط 2 - 1383هـ.
- دونالدسن، دوايت، عقيدة الشيعة، القاهرة: ط1 - 1946م.
- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، دون تاريخ الطبعة.
- السلمي الشافعي، عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر، الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار: 1410هـ- 1989م.
- الشربيني، الخطيب، السّراج المُنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، القاهرة: مطبعة بولاق(الأميرية)، د. ت.
- الصدوق، ابن بابويه، إكمال الدين وتمام النعمة، قم-إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط- 1405هـ.
- الصدوق، ابن بابويه، الخصال، قم- إيران، منشورات جماعة المدرسين، ط1403-هـ.
- الطبرسي، الاحتجاج، النجف الأشرف- العراق: مطابع النعمان، ط- 1966م.
- الطوسي، الغيبة، قم- إيران: مؤسسة المعارف الاسلامية، ط1 - 1411 هـ. ق.
- علي، جواد، المهدي المنتظر عند الشيعة الاثنا عشرية، بيروت: منشورات الجمل، ترجمة، أبو العيد دودو، ط-2 2007م.
- الغرناطي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- غولدتسيهر، إغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرون، القاهرة: دار الكاتب المصري، ط1 - 1946م.

- فلوتن، ج. فان، السيادة العربيّة والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، القاهرة: مطبعة السعادة، ط1 - 1934م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، د. ت.
- القندوزي الحنفي، سليمان بن خوجة، ينابيع المودة، بيروت: مؤسسة الأعلمي، د. ت.
- الكليني، الكافي، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1388 هـ. ق.
- الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، طهران-إيران، ط- 1990م.
- كونسلمان، غارهارد، سطوع نجم الشيعة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط- 2004م.
- لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، بيروت: دار العلم للملايين، ط1 - 1954.
- الماجدي، خزعل، الحضارة الهندية، بيروت: الرافدين للنشر والتوزيع، ط- 2019م.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط- 1983م.
- المرتضى، الفصول المختارة، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد- قم- إيران: مؤسسة الإمام الصادق، ط- 1413هـ.
- النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، بيروت: منشورات الرضا، ط1 - 2012م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط- 1412هـ- 1991م.
- هالم، هاينس، الشيعة، ترجمة محمد كبيبو، بيروت: الورق للنشر، ط- 2011م.
- هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، ترجمة غريب محمد غريب، الكويت: مجلة النور، ط1 - 1993م.

- James Darmesteter, The Mahdi Past and Present, 1st Edition, 1885, NY- USA.
- New Catholic Encyclopedia, Second Edition, 2002, USA, Volume 9.

عقيدةُ الانتظار والمهدويّة في رؤى المُستشرقين

دراسة تحليلية

◆ أ. د. شهيد كريم محمد الكعبي[1]

م. م آيات عزيز جري[2]

■ **خلاصة**

أكّدت هذه الدراسة أنّ فكرة المهدوية وانتظار المُخلص، هي فكرة نابعة من الفطرة الإنسانية التوّاقة للعدل والعيش بسلام وكرامة، وكذلك رغبة المجتمعات الإنسانية في تحقيق العدالة. وهذا ما أكدته كذلك الأديان السماوية ومن بينها الإسلام، كما تبنته الفلسفات الوضعية..

أما بخصوص موقف الاستشراق الغربي من عقيدة المهدوية والخلاص، فقد سلّطت الدراسة الضوء على مواقف كبار المستشرقين الأوروبيين، مثل: المستشرق الهولندي جيرولف فان فولتن والمجري جولد تسيهر والفرنسي هنري كوربان..، حيث عرضت مُجمل آرائهم وناقشتها، كاشفة عن خلفياتها الدينية والأيديولوجية والسياسية، وتهافت ما روّج له بعض المستشرقين، وخصوصًا ادِّعاءهم أن عقيدة المهدوية الإسلامية منتحلة من الأديان السابقة عن الإسلام، بينما الحقيقة العلمية والتاريخية، تؤكد أصالة هذه العقيدة وتجذُّرها في نصوص الوحي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الشيعة - المهدوية - الاستشراق - الانتظار - هنري كوربان..

1 - متخصص في تاريخ الإستشراق، جامعة ميسان - العراق.

1 - متخصصة في التاريخ الإسلامي، جامعة ميسان - العراق.

مقدمة

كانت ولا زالت فكرة الخلاص وانتظار المُنقذ، موضوعًا يشغل هيكلية الفكر الديني بشكل عام، فلا يكادُ يُوجد دين أو مذهب اعتقادي يخلو من هذا الهاجس، الذي مثّل على امتداد مسار البشرية أملاً تَتوقُ النّفوس لتحقيقه ومشاهدته، سيّما من قبل المضطهدين والمحرومين، قبالة السّلطات أو الجهات التي ظلمتهم وسلبت حقوقهم. وهي بهذا اللحاظ فكرة وعقيدة تنبع من أصل الفطرة الإنسانية التّواقة للعيش بسلام وكرامة وطمأنينة..، وغالبًا ما يُعقد الأمل في تحقُّق هذه الفكرة على مُنقذ مُنتظر، يتمتّع بصفات ومزايا تفوُّق قدرة الآخرين، يغدو معها قادرًا على إنجاز هذه المهمة.

وعليه، فالأديان السماوية منها والوضعية والمدارس الفكرية الفلسفية، تُؤمن بضرورة تحقيق العدالة في نهاية المطاف البشري، وهو ما بات يُعرف بأدب "الإسكاتولوجيا(Eschatology) أحداث آخر الزمان)، فَمِن شرق الأرض لغربها، تتنوع تمثُّلات هذا المنقذ بحسب المُتبنيات والعقائد السائدة، إذ يُؤمن الهنود بعودة(فيشنوا) صاحب الحقيقة العُليا وربُّ الماضي والحاضر[1]، فضلا عن(بوذا- كرشنا- مهاويرا) أيضًا[2]، كما ينتظر المجوس رجعة (زرادشت أو شيدر- بهرام) المُنقذ[3]، ويترقب الأحباش عودة مَلكهم(تيودور) الذي سيملك الأرض في آخر الزمان، وينتظر الهنود الحُمر عودة مُنقذهم(إينكاري)، وكذلك الحال في البيرو وبوليفيا إذ ينتظرون عودة

1 - قيداره، النظرية المهدوية، ص 37 .

2 - مهـدي، فالـح، البحث عن المنقذ، ص 60، و محمد إسـماعيل، الهند القديمـة، ص 141، وإبراهيم محمد، الأديان الوضعية، ص 116 .

3 - مهدي، فالح، البحث عن منقذ، ص 81 .

حكم(إينكا)، كما يُؤمن اليهود ببعثة(المِشْيا/المِسيا)، أما النصارى فهم على موعد مع عودة عيسى عليه السلام، وسائر المسلمين ينتظرون ظهور المهدي[1].

أضف إلى ذلك، هيئات التمثل المختلفة في الحضارات القديمة (عشتار-تموز/ديموزي) في الحضارة الرافدينية[2]، و(أوزوريس- الفراعنة/الإسكندر)، في حضارة وادي النيل[3]..، إلى غيرها من الشخصيات الأسطورية والبطولية والآلهة في باقي الحضارات.

وتمُثل الخصوصية الإسلامية – باعتبارها آخر الديانات التوحيدية النّصية - ارتكازاً مهمًّا لعقيدة الانتظار، لشُمولها مجمل المسارات المذهبية المنبثقة عن الإسلام، سيّما مع اعتقاد المسلمين بضرورة سيادة الدين الإسلامي على جميع الأديان في نهاية المطاف، وهو ما لم يتحقّق لا في عصر النبوة، ولا في عصور الخلافة، بل إنّ التراجع المرير على مستوى الساحة الدينية والفكرية والجغرافيا السياسية، هو ما يُعمِّق ويُركّز هذه الفكرة، التي تنطلق من النّص القرآني الذي يُؤكّد على حتمية وقوع هذه الفكرة بأكثر من موضع منها قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:32]، وقوله تعالى:**﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**[القصص:4-5]، وقوله تعالى:**﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[النور:55]، وقوله تعالى:**﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[التوبة:33]، وقوله تعالى:**﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[آلعمران:85]. بالإضافة إلى أخبار وأحاديث وتأكيدات نبوية على مجيء ذلك اليوم الذي يتجلّى فيه شخص المُخلّص المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليملأ

1 - جواد، فكري، عقيدة الانتظار عند اليهود، 234 .

2 - أسني، نبيل، المسيح المخلص، ص12 ، مختار وأبو الريش، إظهار الحق، ص 50 .

3 - حسين، محمد، ظاهرة الانتظار، ص 290.

الأرض قسطاً وعدلا، بعدما مُلئت ظُلمًا وجَوْرًا، ويحقق سيادة الإسلام.

فنجد النبيﷺ مرارًا وتكرارًا لا ينفكُّ ينصّ على إنه: «لو لم يَبْقَ من الدُّنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل رجلاً منّا يملأها عدلاً كما مُلئت جوراً»[1]. وبينّ في موضع آخر انتساب المُصلح المنتظر إلى بيت النبوة بقولهﷺ: «أُبشِّركم بالمهدي، يُبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً»[2]. وبينّ في مواضع أخرى أنّ اسم هذا المُنتظر يتطابق مع اسمه فقال: «لو لم يَبْقَ من الدنيا إلا يومٌ واحد، لَطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً منّي يُواطئ اسْمه اسْمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظُلمًا وجَوْراً»[3]. وقال في لفظ آخر: «لَوْ لم يَبْقَ من الدّهر إلاّ يوم، لَبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما مُلئتْ جَوْراً»[4]. وشدّد في مواضع أخرى أنّه من ذُرية فاطمة الزهراءعليها السلام، فقالﷺ: «المهدي من وُلد فاطمة»[5]. وهذا التّداؤب في تبنّي هذه الفكرة، هو ما دفع أنصار المادية التاريخية أو النقد التاريخي سيّما المستشرقين، إلى أن يَميلُوا لفرضية الانتحال وأخذ اللاحق عن السابق، وبالتّالي، عدم أصالة هذه الفكرة في أيٍّ من الديانات النّصية، بحسب ما تقود إليه مُكتشفات النّصوص الآثارية التي تعود لحضارات سابقة.

ولعلّ ممّا يُعمّق هذا التبنِّي هو مسألة الغرائبية والمنحى الإعجازي في ولادة وسيرة المنقذ على امتداد المسار التاريخي لهذه الفكرة. وهذا الاختلاف في شخصية المُنقذ بين المعتقدات الدينية القديمة منها والنّصية، وما رافق ولادته وسيرته من سِمات إعجازية فضلاً عن البُعد الفلسفي اللاهوتي في مسألة الغياب والحضور، والتميز على مستوى الصفات، مضافًا للتصورات المُتباينة عبر الشخصيات الإلهية في الحضارات القديمة، والتجسيد الإلهي- البشري في المعتقد

1 - ابن حنبل، المسند، ج1 ص9، وأبو داود، سنن أبي داود، ج2، ص309، والحاكم النيسابوري، المستدرك عل الصحيحين، ج4 ص465.

2 - ابن حنبل، المسند، ج3 ص37، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج7، ص313.

3 - ابن حنبل، المسند، ج1 ص376-377، الطبراني، المعجم الكبير، ج 19، ص. ص.32-33.

4 - ابن أبي شيبة، المصنف، ج8، ص679، أبو داود، سنن أبي داود، ج2، ص310، السيوطي، الجامع الصغير، ج2، ص402.

5 - البخاري، التاريخ الكبير ، ج8، ص406، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج1، ص 193.

المسيحي، ومن ثمّ فلسفة الغياب والحضور غير المعلوم زمانًا ومكانًا (الأرضي - السَّمائي)، كلّ هذهِ الأمور وغيرها، هي ما جعلت أنصار المادية والنقد التاريخي يرفضون هذه الفكرة ويُؤكّدون علىَ فكرة الانتحال، ويعملون على إبراز الترابطات السابقة، وإثارة الاعتراضات السّالفة الذكر في دراساتهم حولها.

أوّلاً: الاستشراق وأبرز اهتماماته في هذا المجال

اختلف الباحثون من المستشرقين وغيرهم حول تعريف الاستشراق، وهل يُحيل بالضرورة إلى الفهم الجغرافي (شرق- غرب)؟. أم إنّه يدلّ على مفاهيم أخرى، إذ إنّ لفظة مستشرقين أطلقت على المهتمين بالدراسات الإسلامية والشرقية من الغربيين، كما أُطلق في الوقت ذاته على المشرقيين المهتمين بهذهِ الميادين المعرفية ذاتها، بل إنّ بعض المسلمين أو العرب صنّف نفسهُ ضمن نطاق المستشرقين، كنجيب العقيقي صاحب كتاب "المُستشرقون" -على الرغم من إنه يتحدث عنهم بلحاظ الآخر المختلف، فكراً وعقيدة وفلسفة وحضارة وثقافة-، وفليب حتّي، وهو المؤرخ اللبناني العربي.

ولذا قطع بعض المهتمين بالحركة الاستشراقية بصعوبة إعطاء تعريف مانع وشامل للمستشرقين، فهذا الميدان المعرفي لم يقتصر على الباحثين بشؤون الشرق والإسلام، إنّما تعدّاهُ ليشمل مجموعة كبيرة ومتنوعة من المتخصصين، كالباحثين في علم الآثار، والمصورين، والرسامين، والرحالة، ورجال السياسة والاقتصاد والإدارة، بل حتى الجواسيس فضلاً عن المبشرين أو المتخصصين في المباحث الدينية والفقه المقارن وعلوم اللغات والفيلولوجيا واللهجات، إذ فنحن أمام قائمة طويلة ومتنوعة من الاختصاصات والميادين المعرفية التي جمعها إطار الاستشراق، ولذلك رأى المُتخصّصون في التاريخ الإسلامي من الباحثين الشرقيين سيما الروسيان كراتشكوفسكي(1883-1951) ولوندين أن يستخدما مصطلح مستعربين واستعراب، بدلاً من المستشرقين والاستشراق[1]. وقد أحسّ المُستشرقون في العصر الحديث بأنّ مُصطلح الاستشراق بات يحمل دلالات تعبر عن الهيمنة والاستعلاء الغربي، لذا قرّروا استبدال المصطلح

1 - كريم، شهيد، صورة أصحاب الكساء، ص46 و 50.

بتسميات منها: "مُتخصّصين بالدراسات الإسلامية أو العلوم الإنسانية في آسيا وأفريقيا الشمالية"، وذلك مُنذ المؤتمر التاسع والعشرين للاستشراق الذي عقد في باريس عام (1973م)، بمناسبة مرور مئة عام على عقد المؤتمر الدولي الأول للاستشراق في المدينة نفسها[1].

وبمقتضى تركز اهتمامات الاستشراق في ميدان الدراسات الإسلامية ، فإنه لم يدع مفصلاً من مفاصل التاريخ الإسلامي إلا وتناوله بالبحث والدراسة، وكان ميدان الفرق والمذاهب والعقائد الإسلامية من أبرز الميادين التي طرقها الاستشراق وخاض في بحثها، وبما أنّ الفكرة المهدوية وعقيدة الانتظار تمُثل مرتكزاً أساسيًّا في الهرم الاعتقادي الإسلامي بشكل عام، والاعتقاد الشيعي بشكل خاص، فقد تنوعت دراسات المستشرقين(قديما وحديثاً) لهذا المُعتقد وهذه الفكرة، كما لم تكفَّ الأقلام الاستشراقية من دراسته والكتابة فيه بين الحين والآخر. ولذا كان الإلمام بموضوع البحث يتطلب التطرق للدراسات الاستشراقية التي تناولت هذه الفكرة، وقد اخترنا عدّة نماذج من تلك الدراسات تنوّعت بين الانتماء للاستشراق القديم(الكلاسيكي)، كدراسة المستشرق الهولندي فان فلوتن: "أبحاث في السيطرة العربية والتّشيع والمعتقدات المهدية في ظلّ خلافة بني أمية". وكان نشره في أمستردام في هولندا عام (1894م)، وترجمه الدكتور إبراهيم بيضون عام(1996م).

وكذلك دراسة المستشرق المجري اليهودي أجناتس جولتسهير"العقيدة والشريعة في الإسلام-تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي"، وهو عبارة عن سلسلة محاضرات كتبه باللغة الألمانية للجنة الأمريكية في تاريخ الأديان خلال المدة (1908-1910م). وقد قام بترجمته إلى العربية كل من: محمد يوسف موسى (أستاذ قسم الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق في جامعة عين شمس)، وحسن عبد القادر (أستاذ كلية الشريعة في الأزهر ومدير المركز الإسلامي في لندن)، وعبد العزيز عبد الحق (مدير المركز الثقافي المصري في غانا)، وذلك عام 1959م.

ومن تلك الدراسات، ما كان ينتمي للاستشراق الحديث أو الجديد والمعاصر كدراسة المستشرق الفرنسي المعاصر يان ريشار: "الإسلام الشيعي عقائد وأيدلوجيات"، وقد ألّفه بالفرنسية

1 - كريم، شهيد، صورة أصحاب الكساء، ص94 و95.

عام1991م. وقد تُرجم من قبل حافظ الجمالي عام 1996م. ودراسة المستشرق البريطاني كولن تيرنر الموسومة: "التّشيع والتحوّل في العصر الصفوي". وقد ألّفها عام 2000م، وتُرجمتْ من قِبل حسين علي عبد الساتر عام 2008م. وكذلك كتابه الآخر: "الإسلام الأُسس"، وقد كتبه عام 2006م، وتُرجم من قبل نجوان نور الدين عام 2009م.

وكذلك دراسة المستشرق الألماني المُعاصر هاينس هالم الموسومة بـ: "الشيعة" التي وضعها بالألمانية عام 2011م، وتُرجمت من قبل محمد كبيبو في السّنة نفسها. وغيرها من الدراسات الاستشراقية، التي تطرقت لموضوعة المهدوية والانتظار. على أنّ البحث حاول تنويع الخيارات الاستشراقية، ليس على المستوى الزمني فقط، أي الدراسات الاستشراقية القديمة والحديثة، إنما أيضًا نوع تلك النماذج بحسب الانتماء الفكري للمدارس الاستشراقية، فاختار نماذج من المدرسة الهولندية والمدرسة الألمانية والمدرسة الأمريكية، والمدرسة البريطانية والمدرسة الفرنسية. ومن المعلوم أنّ لكلٍّ من المدارس الاستشراقية الأوروبية مزاياها وخصائصها ومناهجها، بحسب مُتبنّياتها الفكرية والثقافية وموروثها الحضاري، وارتباطها بأجهزة الدول السياسية وبرامجها في مناطق التواجد الإسلامي.

1 - المستشرق الهولندي: جيرولف فان فلوتن[1](1866-1903م) (Gerolf Van Vloten).

يُعدّ المستشرق فان فلوتن من أوائل المستشرقين الذين كتبوا في القضية المهدوية، وذلك في كتابه المُكوّن من مجموعة من الأبحاث: "السيطرة العربية والمُعتقدات المهدوية في ظلّ خلافة بني أمية"، وقد صدر هذا الكتاب في مدينة ليدن في هولندا عام(1894). ومن الطبيعي أن نُدرة المصادر البحثية في ذلك الوقت، والملكة الفكرية، والأيديولوجية الدينية والسياسية التي يحملها ذلك المستشرق، أدّت به إلى أن يسارع للربط بين الرواية الإسلامية التي تربط بين فكرة عصمة الأئمة(عليهم السلام)، وفكره المهدوية والانتظار وبين شخصية عبد الله بن سبأ

1 - حقّق ونشر بعض المصادر العربية وألف عدداً من الدراسات في التاريخ الإسلامي. ومنها نشر وتحقيق كتاب (مفاتيح العلوم للخوارزمي (1895م)، وكتاب (البخلاء للجاحظ(1900م) وكتاب (المحاسن والأضداد للجاحظ. ليدن (1894 1932-م). وكتاب: مجيء العباسيين إلى خراسان(1890م)، و(الأمويون والإسرائيليات(1902م). بدوي، موسوعة المستشرقين، ص410.

اليهودي، إذ عدّ هذه الفكرة على أنها مزيج من الأفكار والمعتقدات الفلسفية القديمة(الفارسية-البابلية)، وما تأثرت به من الفلسفة الشرقية عمومًا والعقائد اليهودية. وعليه، فقد قرّر أنّ الفكرة انطلقت عندما كان عبد الله بن سبأ ومن الْتَفَّ حوله يُنادون بأحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وقد تبنَّت فكرة أنّ جزءًا إلهيًّا قد حلّ في شخصية علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده، وإنهم يتناقلون ذلك الحلول حتى عودة المنتظر كآخر حلقة من حلقات التجسّد الإلهي- البشري على الأرض. وقد ظهرت هذه الفكرة فيما بعد عند الكيسانية، التي اعتقدت بإمامة محمد بن الحنفية على خلاف بينهما، إذْ تعتقد الأخيرة أنّ طاعه الإمام تبطل ضرورة التمسك بقواعد الإسلام في الصلاة والصوم والحج..[1].

ومن خلال دراسته تلك، انتهى فان فلوتن إلى القول: إنّ السبئية ترى في الإمام كائنًا إلهيًّا بطبيعته، بينما كانت الكيسانية تُقدم له الطاعة على أنّهُ رجل يمتلك علوم ما وراء الطبيعة، بيد إنّ كلاهما يؤمن بالرجعة وعودة الإمام، سواء من مَقرّه السماوي كما تقول السبئية، أو من مخبئهِ أو مكان غيابه الأرضي - كما تقول الكيسانية - وهو هنا يستشهد بأبيات للسيد الحميري:

أَلا إنّ الأئمة من قريـش وُلاة الحقّ أربعة سواء

علي والثلاثـة من بنيـه هم أسباطه والأوصياء

فسبط سبـط إيمان وحلم وسبـط غيبتهِ كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء[2].

ثم تحدث عن المسار التاريخي لفرقه السبئية والكيسانية، والتّشظيات التي مرّتا بها وصولاً إلى العصر العباسي وظُهور فرقه الروندية، وتحولهما فيما بعد إلى فرقه الهاشمية، ومن ثمّ هزيمتهما سياسيًّا على أيدي العباسيين وتحولهما إلى التمسك بفكرة الانتظار[3].

1 - فان فلوتن، السيطرة العربية، ص. ص.78-80.

2 - انظر: الأبيات في ديوان السيد الحميري ، ص. ص. 20-21.

3 - السيطرة العربية، 75 - 96.

2 - المستشرق المجري اليهودي(إجنتس جولدتسيهر(1921 - 1850) (Ignaz Goldziher)[1].

ينقل جولد تسيهر بداية ما تناولته المصادر الشيعية من أنّ الإمام المهدي(عليه السلام) اختفى وهو بعُمر(5 سنوات)، وأنه لايزال على قيْد الحياة في مكان ما خفِيٍّ لا يراه الناس، وسيظهر آخر الزمان لتحقيق العدل وتطهير العالم من المفاسد والشرور، وهذا ما يُسمّى بعقيده الإمام الخَفي، والاعتقاد بالإمام الخفي يسود كافة فروع الشيعة، وكذلك عودته للظهور في المستقبل لتُختم سلسلة الأئمة، وهم في ذلك يعتمدون على أحاديث موضوعة مُختلفة لتأييد عقيدتهم هذه[2].

ويرى أنّ الرّجعة أحد العناصر الجوهرية في نظرية الإمامة عند كافّة الفرق الشيعية، وهي لا تختلف بين تلك الفرق إلا في هوية الإمام الخفي، الذي قدرت لهُ العودة ، وبالتالي، فهي تختلف في قائمة الأئمة التي يؤلف الإمام الخفي واحداً منها أو خاتمتها.

وكذلك ربط جولد تسهير عقيدة المهدي والانتظار بتعاليم عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي لم يُؤمن بموت الإمام علي(عليه السلام)، وادّعى له الخلود، والعودة ، وبذلك ربط الاعتقاد بالمهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) بالآراء التقليدية، وذلك من خلال محاولة إرجاع فكرة المهدي الإسلامي إلى الجذور اليهودية والمسيحية والمجوسية، إذ قال: فكرة الرجعة ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التي اختصوا بها، ويُحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية المسيحية ، فعند اليهود والنصارى أن النبي إيليا (إلياس، - كما في النّص القرآني- وهو ابن ياسين من ذرية هارون أخو موسى(عليه السلام)، وقد رُفع إلى السماء، وإنه لابدّ أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل، ولا شك أنّ إيليا هو النموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين الذين

1 - ولد لأسرة يهودية ، ودرس في بودابست وبرلين، وحصل على الدكتوراه منها عام(1870م) ، ثم عاد إلى بودابست ليدرس في جامعتها عام(1872م)، ثم أرسل ببعثة دراسية إلى فينا وليدن والشرق، فأقام في القاهرة وفلسطين وسوريا. ثم عاد إلى بودابست ليعكف على التأليف وتدريس اللغات السامية. وأهم مؤلفاته: الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم (1884م) و: دراسات إسلامية، في جزأين(1889 - 1890م) و(محاضرات في الإسلام أو العقيدة والشريعة في الإسلام 1910م) و: اتجاهات تفسير القرآن أو مذاهب التفسير عند المسلمين (1920م). بدوي: موسوعة المستشرقين ، 197 - 203.

2 - جولدتسهير، العقيدة والشريعة ، ص214.

يحيون ولا يراهم أو يتّصل بهم أحد، والذين سيعُودون يومًا ما كَمهدِيّين مُنقذين للعالم[1].

كما أشار أيضاً إلى تماثُل فكرة الغياب والانتظار بين البيئة الإسلامية وغير الإسلامية كمعتقد بآماني أخروية تُحقق العدل، كفرقة الدوستيين التي تُنكر موت مؤسسها ديستوس، وتُؤمن بخلودهِ وكذلك عقيدة الفاشينافاس الهندية، التي تؤمن بخلود فشنوا وعودته في نهاية العالم، كما يتنظر مسيحيو الحبشة رجعة ملكهم ثيودور كمهدي في آخر الزمان. وكذلك المغول يعتقدون بعودة جنكيزخان ويقدمون القرابين على ضريحه، سيما وأنه وعدهم قبل موته بأنه سيعود إلى الدنيا بعد ثمانية أو تسعة قرون ليُنقذ المغول من نير الحكم الصيني، كما اعتقد أتباع فريد الفارسي بعودتهِ بعد القضاء عليه في العصر العباسي الأول، واعتقدوا بأنه رُفع إلى السماء، وإنه سيعود إلى الدنيا للانتقام من أعدائه، وكذلك آمن اتباع المُقنع الخراساني بعودته بعد احراقهِ، وحديثاً اشتدّ تعلّق المسلمين بهذه العقيدة، حتى من كان منهم غريبًا عن التشيع، فمسلمو القوقاز يؤمنون برجعة بطل استقلالهم إيليا منصور، الذي ظهر بعد قرن من طرد الروس من القوقاز، وهنالك أمثلة متعددة على فكرة الانتظار والعودة[2].

وقد انتهى جولدتسهير وهو المتخصص في الحديث النبوي، إلى أنّ فكرة الانتظار المهدوية، عبارة عن أمل طوبائي يحلم به المؤمنين، وقد امتزجت به خرافات وأقاصيص أُخروية مُمعنة في السذاجة والغرائبية، وهي عبارة عن خليط من الأفكار القديمة الزرادشتية والهندية واليهودية والمسيحية وغيرها، وهي في حقيقه الأمر على الرغم من استنادها إلى أحاديث تنتهي إلى النبيﷺ، إلا أنّها لا تُوجد في مصنفات الحديث الصحيحة المُتشددة في صفة الراوي، وإنّما أخرجتها كتب الحديث الأقل تشدداً في صحة تخريج الأحاديث حسب رأيه[3].

كما تعرض جولدتسهير للاختلاف حول عقيدة المهدي المنتظر بين السُّنة والشيعة، فبيّن أنّ ترقُّب ظهور المهديعجل الله فرجه الشريف على الرغم من استناده إلى الوثائق الحديثة والمناقشات الكلامية، لم

1 - جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ص 215.
2 - جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ص. ص.215-216.
3 - جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ص218.

يصل إلى أن يُقرَّر كعقيده دينية، حيث ظلّ يمُثل مسألة ثانوية في الإسلام السُنِّي، الذي يرفض رفضًا قاطعًا العقيدة المهدوية على صورتها الشيعية، سيّما وأنّ المجاميع الحديثية تروي عن النبي أنّ المهدي(عليه السلام) سيكون(محمد بن عبد الله)، اسمه واسم أبيه مشابه للنّبي(صلى الله عليه وآله)، بينما هو في العقيدة الشيعية(محمد بن الحسن العسكري)[1].

أضف إلى ذلك، فالشّيعة يعتقدون أنّ المهدي قد اختفى عندما كان طفلاً، وهذا ما لا يؤمن به أهل السُّنة، بل يُبطل إمامتهُ شرعاً عندهم، بسبب صغر سنه، فمرتبة الإمامة عندهم لا تكون إلا لرجل بالغ، ولذا فهم غالباً ما يعبرّون عن ارتيابهم من الأساس بوجود وَلد للحسن العسكري[2].

3 - المُستشرق البريطاني المعاصر كولن تيرنر(Colin turner).

يربط تيرنر بين فكرة المهدوية والانتظار في الإسلام وبين مثيلتها في المسيحية، تحت اجتراح المسيحانية في الإسلام، مُؤكدًا أنّ غالبية الأديان الكبرى تؤمن بوجود مُخلِّص مُؤمَّل يظهر في آخر الزمان ليُحقّق العدل والمساواة.

وعلى الرغم من أنّ مصطلح المسيح/المسيحانية لها صبغة(يهو- مسيحية)، ويدُلاّن على منظومة معينة من الاعتقادات في هذين الديانتين، فإنّ هنالك ثمة تشابه بين عقيده الانتظار(اليهو- مسيحي)، ومثيله الإسلامي مع فارق جوهري هو أنّ المنتظر الإسلامي يحقق التحول الاجتماعي والديني على مستوى العالم ككل، على خلاف المنتظر في العقائد اليهودية والمسيحية التي تتقيد بالانتماء القومي والعقائدي[3].

وأضاف أنّ ثمة فارق جوهري آخر في المسيحانية الإسلامية و(اليهو- مسيحية)، وهو إن العقيدة الإسلامية أو مفهوم الخلاص والانقاذ الإسلامي، لا ينظر إلى الإنسان كخاطئ أصلي، يحتاج إلى الخلاص عبر الانبعاث الروحي كما في العقيدة المسيحية، ولا ينظر إلى مفهوم الخلاص على

1 - جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ص220.
2 - جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ص. ص. 219-220.
3 - تيرنر، التشيع والتحول، ص. ص. 303-304.

أنّه يتحقق في مملكة سماوية أو أرض الميعاد، خاصّة وأنّ المهدي الإسلامي ينبع من مسؤولية تاريخية مرتبطة بنشأت الدين، لتأسيس مجتمع عالمي مثالي، وأمة دينية مثالية، تشمل كل من يؤمن بالله[1].

كذلك يربط تيرنر بين فكرة المهدوية والانتظار، وبين البحث عن عصر الإسلام النموذجي، فبعد التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية على مستوى الدين والفكر التي مرّ بها المجتمع المسلم، والأزمات التي مرّ بها كأنما انغرسَ في نفوس المسلمين حنين وجداني للحظة الرسالة الأولى(عصر النبوة أو الإسلام الأول)، ولحظتها النموذجية المثالية، إذا لم يكن النبي محمدﷺ مجرد صاحب دين جديد، بل كان قيِّمًا ومبتكرًا لنظام شامل في السياسة والاجتماع عبر رسالتهِ الإسلامية وكتاب القرآن.

وبعد أن خاب أمل المسلمين في تحقيق تلك الفلسفة بشكلها الشامل للجغرافية السكانية الأرضية، بعد انتهاء عصر النبوة وعصر والخلافة، صار عصر النبوة منظوراً إليه على أنه العصر المثالي الأوحد في التاريخ الإسلامي، ولذا، لابدّ من استعادته واسترجاعه عبر شخصيه إنقاذية منتظرة مهدية بديلة عن النبيﷺ، الذي روي عنه أنه بَشَّر بهذا المُخلّص والمُنقذ الذي سيكون اسمه كاسمي وكنيته ككُنيتي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

وعليه، فإنّ ولاء المؤمنين النفسي للنبيﷺ، قادهم إلى انتظار مُخلص مُسدّد إلهيًّا من أهل بيت النبي(ص)، مع أنّ القرآن الكريم - بحسب تيرنر- لا يُخبر بظهور المهدي المنتظر لتحقيق ذلك الحُلم[2].

وأضاف تيرنر: لقد كان محتومًا أن يؤدي تركيز الإسلام الدائم على إقامة العدل فرديًّا ومجتمعيًّا إلى تراكم الآمال في ظهور ذلك المخلص. ومع قيام حكومات وسلالات مُتعدِّدة حكمت الجغرافية الإسلامية وهي مُفتقرة إلى إقامة المُثل الإسلامية الأصيلة، صارت الحاجة ملحة وأساسية لقيام ذلك المخلص، وهذا يصحّ بالأخص على الشيعة الذين تعاطفوا مع مطالب وأحقية آل الرسولﷺ بوراثة

1 - تيرنر، التشيع والتحول، ص. ص.304-305.

2 - تيرنر، التحول والتشيع، ص. ص. 305 - 306.

الرسالة، ممّا شكّل مفهوم الإمام المسيحاني الذي سينهي وجود الشّر والفساد[1].

وفي مؤلفه الآخر: "الإسلام الأسس"، تطرق تيرنر أيضاً إلى قضية المهدوية والانتظار، إذ عاد بالبحث إلى أصل الفكرة و جذورها، مُشيراً إلى أنّ النبيﷺ كان في حياتِه - بحسب اعتقاد الشيعة- قد اختار علي بن أبي طالبؑ كقائد ومُرشد للجماعة الإسلامية من بعده، ارتكازاً على تاريخه الجهادي والإسلامي، وهذه القيادة(الإمامة) تُتداول بين أشخاص مُحدّدين من أبناء علي وفاطمة، وعلى الرغم من أنّ الواقع السياسي قد أتى بأشخاص لحُكم الجماعة الإسلامية من غير هؤلاء، إلى أنّ الشيعة بقوا محتفظين بهذهِ النظرية، ولم يعترفوا بسلطة غير الأئمة ﷺ. بمعنى أنّهم هُم فقط القادة الروحيين والدينين في الوقت ذاته، وهُم اثنا عشر إمامًا فقط، ولذا عرفت هذهِ الفرقة بالاثني عشرية وصولاً إلى المهديؑ، الذي يعُتقد أنهُ اختفى وهو طفل وأنه سيعود في آخر الزمان لينشر السلام والخير في العالم، ويقضي على الظلم والقمع والطغيان من على وجه الأرض[2].

ومع بروز نظام ولاية الفقيه على إثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ربط تيرنر بين عصر الغيبة(عصر اختفاء الإمام الثاني عشر)، وبين نظام الحُكم الإيراني بعد ذروة ما وصلت إليه النظرية الشيعية في الحكم، في القرن التاسع عشر، حين ساد مفهوم أنّ أفضل علماء الشيعة هُم مُمثلو الإمام المهدي المنتظرعجل الله فرجه الشريف في مختلف وظائفهِ الدنيوية والروحانية، ومن هنا، جاء مفهوم ولاية الفقيه[3]. ولكن ربما يفوت تيرنر هنا، أنه ليس بالإمكان تعميم التجربة الإيرانية على مجمل الجغرافية الشيعية، لا سيّما والعديد من مراجع الشيعة لا يُقرُّون بمبدأ ولاية الفقيه. فضلاً عن كَوْن مسألة تسليم القيادة الدينية والدنيوية لأفضل العلماء والفقهاء الشيعة، هي أسبق تاريخيًّا من التاريخ الذي يحدده المستشرق تيرنر، وقد ظهرت منذ ابتداء مرحلة الغيبة الكبرى، بحسب أخبار الإمام المهديعجل الله فرجه الشريف: "فأمّا مَن كان من الفقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه مخالفًا على هواه، مطيعًا لأَمرِ مولاه، فلِلْعوام أن يُقلّدوه[4].

1 - تيرنر، التحول والتشيع، ص306.
2 - تيرنر، التحول والتشيع، ص. ص. 323-325.
3 - تيرنر، الإسلام والأسس، ص347.
4 – الطبرسي، الاحتجاج، ج2 ص 263.

4 - المستشرق الألماني المعاصر هاينس هالم(Heinz Halm).

يتبنّى المُستشرق الألماني المعاصر هاينس هالم وجه النظر السُّنّية السائدة، على أنه لم يكن للأمام الحسن العسكري عليه السلام عند موتهِ ولدًا يُذكر، بناء على ما تُصرّح بهِ المصادر السُّنية، وتشي بهِ المصادر الشيعية، وهو ما أوقع الأمة الشّيعية في أزمة خطيرة، مشيراً إلى تشظّي فرقة الإمامية الاثني عشرية[1] إلى (14-15 فرقة) كما في العرض العَقدي لمنظومة الإمامة الذي قدمه الأشعري القُمّي والنوبختي بنحو ما تم الحديث عنه سابقًا[2].

كما يرى هاينس هالم أنّ فكرة الإيمان بوجود الإمام الغائب لم تتبلور في المعتقد الشيعي إلا بعد قرنين من الزمان، سيّما بعد اختلاف الاتجاهات والفرق التي نشأت بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والتي أُطلق عليها مُصطلح (الحيرة) محيلاً إلى نشأة الشيعة الاثني عشرية، عَبْر ادِّعاء إحدى هذه الفرق أنّ الإمام الحسن العسكري وُلد له وَلدٌ، ولكنه أخفاه منذ كان صغيراً خوفًا من بطش السلطة التي كانت تترقب ولادة الإمام الثاني عشر[3].

كما أشار إلى طريقة التواصل بين الإمام الغائب وأتباعهِ، خلال مرحلة الغَيبة الصُّغرى عبر السفراء والرسائل المتبادلة بينهم وبين الإمام، وإنه قرّر مؤخرًا إيقاف هذهِ الاتصالات والانزواء كليًّا عن البشرية بحسب رسالتهِ الأخيرة التي تنفي أي اتّصالات تحدث معه في المستقبل، معلنة بداية مرحلة الغيبة الكبرى[4].

ونتيجة هذا الانقطاع المُفاجئ، بقيت الطوائف الشيعية دون قياده روحية، وبالتّالي، في وضع غير مستقر لعدم وجود نائب يقوم بمهمة القيادة، وعليه، يمكن وصف تاريخ الشيعة أنه صراع متواصل حول الإجابة على هذا السؤال، وكانت الثورة في إيران عام(1979م)، وإقامة حكومة ولاية الفقيه الإسلامية الشّيعية، هي آخر محاولة للإجابة علية[5]، على أنّ الفقهاء الذين اضطلعوا

1 - هاينس هالم، الشيعة، ص47.
2 - انظر: الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص-101 116، والنوبختي، فرق الشيعة، ص-97 109 .
3 - هاينس هالم، الشيعة، ص47 .
4 - هاينس هالم ، الشيعة ، ص48.
5 - هاينس هالم ، الشيعة، ص48 .

بإصدار الأحكام الفقهية، بما فيهم المتقدمين كانوا عرضة للخطأ، إذ إنّ العصمة محصورة في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام فقط، وبذلك كانت قرارات الفقهاء وحُكامهم بحسب المُعتقد الشيعي ذات طبيعة مؤقتة.

وبالتّالي، قابلة للتعديل، فحقيقة كوْن العصمة مقتصرة على الأئمة، منحت مُرونة لتطوّر الشيعة اللاحق[1]. وحسب المُعتقدات الشيعية، يعيش الإمام الغائب الثاني عشر في مكان ما على الأرض، ولا أحد يعرف وقت ظهوره، ولكن يجب توقعه في كل لحظة، وكان الشيعة في بعض المدن الإيرانية في العصور الوسطى، يُجهزون في كل يوم حصانًا بكامل عدّته ليمتطيهِ الإمام عند ظهوره، كما ينصُّ دستور جمهورية إيران الإسلامية عام(1979م) في مادتهِ الخامسة على عودة الإمام الغائب كرئيس حقيقي للدولة، وليس من المُصادفة أن يحمل الإمام الثاني عشر اسم محمد، مادام مسؤولاً عن إكمال رسالة جدهُ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما لقبهُ المهدي، فيعني أنه الشخص الذي هداهُ الله تعالى للحق، وهو يُثير في نفس كل مسلم إيحاءات بقُرب القيامة، ومجي المُنقذ ومُجدد الإسلام، على أنّ فكرة انتظار المهدي لا تحتل عند أهل السُّنة مثل هذه المكانة المركزية عند الشيعة، وهي بشكل عام نشأت بسبب التمزق الذي أصاب وحدة الأمة الإسلامية على إثر وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودخولها في صراعات مريرة ودامية حوله خلافته، ولذا ظهر أشخاص كثيرون قال عنهم أتباعهم أو ادّعوا هم أنهم المهدي المنتظر، ومن هنا، فإنّ فكرة المهدي المنتظر موجودة عند جميع المذاهب الإسلامية، غير أنّ الأمل المعقود على ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف لم يتبلور بشكل واضح وعميق إلا عندما ارتبط في الوسط الشيعي بالإيمان بفكرة الإمام الغائب، على إثر وفاة الحسن العسكري عليه السلام، من دون خلف يقوم مقامهِ في الإمامة، فتركز لدى الشيعة شيئًا فشيئًا الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر الغائب عن الأنظار، وإنه سيعود في يوم من الأيام[2].

1 - هاينس هالم، الشيعة، ص. ص. 47 - 50.

2 - هاينس هالم، الشيعة، ص. ص. 47-52.

5 - المُستشرق الفرنسي المُعاصر فرانسوا تويال(francois thual)

في كتابه الموسوم بـ: "الشيعة في العالم.. صحوة المُهمّشين واستراتيجيتهم)، والذي كتبه بالفرنسية في باريس عام (2001م) وقد تُرجم من قبل نسيب عون عام(2007م).

يُشير المستشرق الفرنسي تويال إلى أنّ فكرة المهدي المنتظر عصية على الفهم بعض الشي، فالأمر ليس صعوداً إلى السماء كما في الدين المسيحي أو الحالات المماثلة في أغلب التمثُّلات الإنقاذية في الحضارات القديمة، بل هي غَيبة في الأرض شاءها الله تعالى كي يسمح لمُحمد المهدي بأن يقود الناس بطريقة خفية، وفكرة غيبة الإمام هذه، لها لدى الشيعة تأثير مهم على محتوى هذا الإيمان ونتائجهُ، لأنها تُفسر طابعه النهيوي أو النهائي للخلاص البشري، فالشيعة ينتظرون نهاية العالم وعودة الإمام، باعتبار أنّ هذهِ العودة نهاية التاريخ وانتصار الإرادة الإلهية لمصير البشرية[1]. وأشار تويال إلى أنّ فكرة المهدوية والانتظار زوّدت الفرق الشيعية بقوة دافعة للبقاء والنمو، ولكن التّشظي في الوقت نفسه، فعلى سبيل المثال في عام(412هـ/1021م) أعلن الحاكم بأمر الله الفاطمي بأنه هو الإمام الغائب، وعلى إثر ذلك نشأ المذهب الدرزي، ثم تفاقمت الخلافات بين الإسماعيليين على خلافة المستنصر بين المستعلي ونزار، ومن هذه الخصومة تولَّد انشقاق آخر في المنظومة العقدية الإسماعيلية، فظهرت فرقة المُستعلية (يتواجدون اليوم في اليمن والهند خصوصًا)، والفرقة النزارية التي انشطرت بدورها إلى فرقة أخرى هي فرقة الحشاشين التي أرعبت الخلافة العباسية بعمليات الاغتيالات والقتل السِّري[2].

وهكذا، فإنّ العالم الشيعي منذ أكثر من ألف عام، هو مجموعة من المجرَّات تتوالد فيها الفرق المعقدة، ثم إنّ الاستبعاد السياسي - إضافة إلى الرؤية المأساوية للتاريخ التي تعود لبدايات تكون الشيعة - جعل هذه الطائفة غير منتظمة وفق المنظور السُّني للإسلام، وهي قابلة لنمو العقائد الهرطوقية ومتّهمة على الدوام بأنها جاهزة للثورة والعصيان[3].

1 - تويال، الشيعة في العالم، 39-40.

2 - عن هذه الفرقة ينظر: برنارد لويس: الحشاشون.. فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة: محمد العزب موسى.

3 - تويال، الشيعة في العالم ، ص. ص. 43-44.

6 - المستشرق الفرنسي المعاصر هنري كوربان(Henry Corbin - 1903- 1978)[1].

تخصّص المستشرق الفرنسي المعاصر هنري كوربان ببحث عقائد الشيعة الإمامية، سيّما في كتابه المطول "مشاهد روحية وفلسفية للإسلام في الإطار الإيراني" الذي يتكون من سبعة كتب أو سبعة أقسام، تناول في الأقسام الأولى منه مذهب الشيعة الاثنا عشرية، وأوّله تأويلاً صوفيًّا عرفانيًّا، أما الأقسام الأخرى فتناول فيها تراث السهروردي والفلاسفة الإشراقيين في إيران، أما القسم الأخير فخصّصه للمُخلصين للعشق الإلهي، المتصوفة في إيران[2]. وما يهمنا من هذا الكتاب هو القسم الأول منه - المتعلق بتاريخ الشيعة- وتحديداً الجزء الأخير(السابع)، الذي خصّصه للإمام الثاني عشر بعنوان: "الإمام الثاني عشر: الفروسية أو الفتوة الروحية"، وكان قد تُرجم من قبل: نواف محمود الموسوي، عام 2007م.

تتبّع كوربان خلال مؤلفه هذا الموروث الروائي المتعلق بفكرة المهدوية وشخصية المهدي بما هي واسطة رسالة الوحي(التنزيل)، وغالبًا ما كان يُعلن عن مجيء المهدي القائم بكونهُ معلم التأويل أو التفسير الروحي، أي بكونهِ يكشف الحجاب عن المعنى الباطن التام لرسالات الوحي الإلهية، وهي فكرة مشتركة بين العرفان الشيعي الاثنا عشري والعرفان الإسماعيلي[3]. ثم استعرض مجموعة من الأحاديث المتعلقة بفكرة المهدي والمهدوية في الموروث الإسلامي، وفكرة التداؤب بين النبوة والإمامة(الظاهر- الباطن)، وكون المهدي هو خاتم الولاية المحمدية، وهي منتهى كل ولاية، وعليه، يجمع التراث الشيعي على أنّ فكره عن المهدي نابع من تعاليم النبيﷺ نفسه، بعدِّهِ خاتمًا للولاية[4].

1 - ولد في أسرة بروتستانتية في اقليم نورماندي شمال فرنسا ، ودرس الفلسفة والتصوف الإسلامي في السوربون وتعلم اللغة العربية الفارسية، وتميز بكونه ذا نزعة صوفية فلسفية فقد اهتم بالسهروردي، متأثراً بمحاضرات أستاذه المهتم بالتصوف لويس ماسينيون. أول نتاجاته ترجمة رسالة صغيرة للسهروردي بعنوان: "مؤنس العشاق" عام 1933م، و"15رسالة للسهروردي" حتى عام 1976م. و"التخيل الخالق في تصوف ابن عربي عام 1958م . وأهم كتبه : كتاب "الإسلام الإيراني = مشاهد روحية وفلسفية للإسلام في الاطار الإيراني، صدر عام 1971م . ينظر: عبد الرحمن : بدوي : موسوعة المستشرقين ، 482 - 485.

2 - بدوي: موسوعة المستشرقين، 484.

3 - كوربان، مشاهد روحية، الكتاب السابع ، ص. ص. 51-52.

4 - كوربان، مشاهد روحية، ص. ص. 56-57.

كما أشار كوربان إلى أنّ التعامل مع قضية وسيرة الإمام الثاني عشر يحتاج لإطار خاص، إذ يفقد خلالها حقل المادية التاريخية حقوق التصرف، ويفسح المجال للحواس الروحية[1]. وتناول كوربان المادة التاريخية المتعلقة بسيرة الإمام بدءًا من زواج الإمام الحسن العسكري بنرجس وما قيل عن نسبها الملكي البيزنطي، ومن ثمّ ولادة الإمام، مُؤكدًا على فكرة التداول الذي يفرض استمرارية عدّة الاثني عشر إمامًا للعبور من الحقبة المسيحية إلى الحقبة المحمدية التي تكتمل بواسطة أمِّ الإمام الثاني عشر، فعبرها تمّ الاتصال بين المسيحية والعرفان الإسلامي.

وتابع كوربان الحديث عن سيرة الإمام ومرحلة الغيبة الصغرى وتاريخ النيابة، ثم الغيبة الكبرى والتأويل الشيعي لها، ومفهوم الاختفاء وزمن الغياب(زمن بين الأزمان) لحين الظُّهور المحتوم. وهو في دراسته هذه، يُعوّل على البُعد الفلسفي المجرد في ربط حيثيات الموضوع، أي إنه يُجافي منظور المادية التاريخية والنقدية النّصية[2].

7 - المستشرق البريطاني دوايت . م. دونالدسن (Donaldson M Dwight)

يصدر المستشرق دونالدسن في كتابه: "عقيدة الشيعة..تاريخ الإسلام في إيران والعراق"، الذي كتبه باللغة الإنجليزية عام1933م، بعد اقامته لمدة(16سنة) في إيران، درس خلالها أحوال المجتمع الإيراني وثقافته ومعتقداته. وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة العربية عام(1946م).

يبتدئ دونالدسن باستعراض النّصوص الإسلامية التي تشير لمعتقد المهدوية والانتظار بمُتبنِّياتها الشيعية والسُّنية على حدٍّ سواء، مشيراً إلى أنه عند أهل السُّنة شخص يخرج في آخر الزمان، أما عند الشيعة فهو قد وُلد ثمّ غاب لوقت غير معلوم وسيظهر بعد تحقق مجموعة من العلامات[3]. وهو يفترض في هذا اللحاظ أنّ الفشل الكبير الذي أصاب الأمة الإسلامية وتوالي النكبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والظروف الصعبة التي عاشها الشيعة على وجه التحديد، هي ما دفعت لتبنّي هذه الفكرة، سيّما وسِمة المهدوية ولقب المهدي قد أطلق على

1 - كوربان، مشاهد روحية، ص59.
2 – كوربان، مشاهد روحية، ص56 وما بعدها.
3 - عقيدة الشيعة، ص. ص. 230-232.

مجموعة مُتعددة من الأشخاص بدءًا بمحمد بن الحنفية، الذي تبلورت بموته عقيدة المهدي المنتظر بشكل كبير[1].

ثمة نقطة جديرة بالاهتمام في طرح دونالدسن، وهي ملاحظته أنّ استعمال مصطلح المهدي قد سبق مرحلة تدوين الحديث بنحو مئتي سنة، وهي بحسبه فترة زمنية كافية لتبلور فكرة المهدي في المجاميع الحديثية واتّخاذها شكلاً قطعيًّا، ولما كان القرآن الكريم لم يطرح هذه الفكرة أو يطرح ما يؤيدها، كان من الضروري الالتجاء إلى الحديث النبوي لإثباتها، مُؤكدًا على تشكيك ابن خلدون بهذه الأحاديث، بدعوى أنها وردت في المصادر الحديثية غير الأساسية، كسُنن الترمذي وأبي دواد، ولم ترد في صحيحي البخاري ومسلم، المُتشددان في نقل الحديث.

أما عند الشيعة، فهي من الاعتقادات الأساسية، فالكليني وغيره يُحيلون إلى النص القرآني: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾[الأعراف:181]، على أنهم هم الأئمة من آل محمد، كما إنهم يسندون رؤيتهم بأحاديث نبوية تُشير إلى المهدي وحتمية خروجه[2].

كما ذكر دونالدسون الروايات الواردة في ولادة الإمام وبعض أخباره، كالصلاة على أبيه العسكري، ومسألة الميراث، وفي دفن السيدة حكيمة، وظهوره لبعض المؤمنين، وتحدّث عن أخبار الغَيبة والعلامات التي سترافق ظهوره. مشيراً إلى غَيْبته في السِّرداب في سامراء، ونقل عن ابن خلدون وابن بطوطة قولهم بغيبته في الحلّة، وذلك بعد (400 سنة) من زمن الغيبة!. ونصّ على عقد الشيعة الأمل بعودته لتحقيق آمالهم[3].

1 - عقيدة الشيعة، 231.

2 - عقيدة الشيعة، ص 231 - 233.

3 - عقيدة الشيعة، ص 233 - 243.

الخاتمة والنتائج

تعقيبات على الطروحات والآراء الاستشراقية

حقيقة الحال، أنّ الانتقادات الاستشرافية القديمة منها والحديثة لفكرة المهدوية وعقيدة الانتظار، لا تكاد تختلف عن بعضها البعض، وكأنّ الحديث والجديد منها ينتزع القديم ويعيدُ إنتاجهُ وصياغته، ولكن بلغة وأسلوب مختلف، وهي بصورة عامة تركز على النقاط التالية:

1 - فرضية الانتحال لهذا المعتقد بناءً على تواتر وتداؤب حضورهِ في هيكلية الفكر الديني الوضعي والنّصي منه على حدٍّ سواء، ففي الحضارات القديمة كانت هناك فكره منتظر ومُخلص تمثّلت في: (تموز / عشتار / كرشنا / بوذا / يهوه / كورش / الاسكندر / الفراعنة / موسى / المسيح ..إلخ)، وغيرها من التمثُّلات التي استعرضها البحث لشخصيه المنقذ المنتظر، والتي أعاد الإسلام الشيعي صياغتها في شخصية(محمد بن الحسن العسكري). وواصلت ظُهورها في العصر الحديث كما في حالة المهدي السوداني ودعوى الباب. كما إنها على امتداد حضورها في الهيكلية الدينية كانت تتميز بصفات أساسية ثلاثة هي:

- الولادة الإعجازية.
- الشخصية الغرائبية التي تجمع بين الجزء البشري والعناية أو الحلول الإلهية.
- الغياب والحضور في زمن لاحق.

2 - وفي منحى أكثر تفصيلاً ربط المستشرقون بين هذهِ العقيدة في اليهودية والمسيحية، وتمثُّلها الإسلامي، فركز فان فلوتن وجولدتسهير وغيرهما على دور شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي في إنتاج هذا المُعتقد وتبينهِ من قبل غُلاة الشيعة لاحقًا. بينما وسمه (تيرنر وتويال وغيرهم) بالمسيحانية الإسلامية، أي إنّ الفكرة هي إعادة إنتاج لشخصية السيد المسيح بمُتبنَّيات إسلامية.

3 - الخلاف التاريخي المُزمن حول شخصيّة ذلك المنقذ ودوره وزمنه، منذ بدء ظهور الفكرة حتى الوقت الحاضر. ومن ثمّ الخلاف السُّني الشّيعي حول ولادة أو عدم ولادة ذلك المخلص، ممّا يحرج هذهِ الفكرة ويسمها بعدم الثبات.

4 - أما البشارات والأحاديث الواردة حول هذهِ الشخصية التاريخية، فهي بحسب المستشرق جولدتسهير، المُتخصّص في الحديث النبوي، قد وُضعت في وقت لاحق، لإسناد هذهِ الفكرة وتبريرها، ومنحها التجذير التاريخي والترّصين اللازم.

5 - عدم انسجام هذهِ الفكرة مع قواعد ومناهج المادية التاريخية، أو الاتجاه النقدي التاريخي سيّما مع الحضور الفاقع اللون لسمة الغرائبية والإعجاز في شخصية المنقذ المنتظر، ومساره التاريخي، ومسألة الغياب والحضور، والطابع الخلاصي النهائي.

وهذه الإشكالات التي يطرحها المستشرقون وغيرهم قد تظهر في جزء منها منطقية وعملية وجديرة بالاهتمام، أما في جزئها الآخر، فلا تعْد كونها مُجرد اعتراضات لا يسندها الدليل التاريخي ولا العلمي!.

ويمُكن الإجابة عليها إجمالاً عبر النقاط الآتية:

1 - بالنسبة لفرضية الانتحال والتواتر في الحضور على امتداد المسار الديني، فهي لا تحلّ الإشكال بقدر ما تُضيف تساؤل آخر، عن الانطلاقة الأولى لهذهِ الفكرة وجذرها الأصلي أو الأول؟!. بمعنى المنشأ الباعث لهذا التّبني، ووقت ظهوره؟!.

ثم إنّ ظُهورها في الحضارات القديمة، كان أفقيًّا في الغالب!. بمعنى تزامن ظهورها في الحضارات القديمة الناشئة في الوقت نفسه (بلاد الرافدين، بوذيين، إغريق، بلاد النيل، فارس، الهند..إلخ).

بعبارة أخرى فهذهِ الثقافات والحضارات كانت متزامنة ومتباعدة في الوقت ذاتهُ، وبالتّالي، ليس هنالك ملحظ لفرضية الانتحال أو الظهور العمودي(سابق-لاحق) ، أو الترتيب التصاعدي

أو التنازلي لهذا المفهوم، حتى في حيثياته وجزئياته، وقوة ظهوره. بمعنى إننا أمام فكرة أصيلة لا متداولة.

2 - أما فرضية انتقالها من اليهودية إلى المسيحية، ومن ثمّ إلى الإسلام عبر شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي؟!، فوجودها السابق ينفي هذا الفرض من الأساس. ثمّ إنّ الأبحاث العلمية الجادّة نفت وجود شخصية باسم عبد الله بن سبأ ، وكشفت عن كونهِ مُجرد أسطورة تاريخية صنعها الجدل السُّني الشّيعي حول موضوع الإمامة والخلافة. وقد سبقت الإشارة لذلك في ثنايا البحث.

فضلاً عن ذلك، فإنّ الهوية العالمية للمنتظر(الإسلامي- الشيعي)، على خلاف البُعد الإقليمي والديني الضيق للمنتظر أو المُخلص اليهودي المسيحي(مُخلّص لليهود ومخلِّص للمسيحيين)، وهذه الهوية العالمية، هي ممّا ينفي ويُحرج فرضية الانتحال الإسلامي عنهما.

أضف إلى ذلك، فقد صرّح القرآن الكريم أنّ هناك أنبياء توراتيين لم يتحقّق موتهم، فقد رُفعوا إلى السماء أو ما زالوا أحياء بطريقة أو بأخرى مثل إدريس(عليه السلام) (خلوخ بالعبرية)، وهو النّبي المُبجّل عند الصابئة، وكذلك النبي إلياس(عليه السلام) (مار إلياس)، والخضر(مار جاور جيوس)، والسيد المسيح قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**﴾[مريم: 56].

فلو كانت الفرضية انتحالية من اليهودية والمسيحية، لحاول التدوين الإسلامي إخفاء هذهِ الشخصيات والتعتيم عليها ولم يتطرق لها؟!. ثم إنّ تعدّد هذه الشخصيات والسّبق الزمني لإدريس وإلياس لعهد التوراة وموسى(عليه السلام)، يعني عدم أصالة الفكرة عند اليهود والمسيحيين على حدٍّ سواء.

3 - ثمّة فارق جوهري بين الشخصيات السابقة والمنتظر الإسلامي الشيعي، ففي الوقت الذي تنتمي تلك الشخصيات لمنظومة الأنبياء والمرسلين، فإنّ المنتظر الإسلامي ليس نبياً ولا مرسلاً. كما إنّ غيابهم كان عبر الرفع إلى السماء، في حين ليس لدينا أي اشارة أو تلميح للغياب في السماء بالنسبة للمنتظر الإسلامي، فالمرتكز في الذهن هو البقاء في الأرض.

كما يدور النقاش في ماهية الغياب المُتحصل، ففي الوقت الذي كان غياب كل من: (إدريس،

إلياس، الخضر، المسيح) غيابًا عن العيان، أي(غياب الرؤية والمشاهدة، غياب الحضور)، فإن الغياب بالنسبة للمنتظر الإسلامي، يقع على نحو آخر، فهو غياب المعرفة لا غياب الرؤية. بمعنى أنهُ مُحتجب أو محجوب عن المعرفة من قبل الآخرين، لا عن المشاهدة كما في حالات الغياب الأخرى.

4 - أما الخلاف السُّني الشّيعي حول ولادة أو عدم ولادة الإمام المنتظر، فهو الآخر لا يُضيف شيئًا حول الموضوع، إلا من ناحية التّدوين التاريخي. وإذ ما تمّ الالتفات للنصوص التي صرّحت بالولادة، والخلاف العقائدي والفكري بين الطرفين، لا تغدو هذهِ الإشكالية محل نقد علمي واقعي.

5 - بالنسبة لفرضية جولدتسهير حول الأحاديث وفكرة وضعها اللاحق لإسناد العقيدة المهدوية والانتظار، فهي الأخرى فرضية تتجاوز حقيقة الخلاف المزمن والكبير بين الإسلام السُّني والإسلام الشيعي، سيّما الفرقة أو الطائفة الاثنا عشرية، فالمنطق النقدي يُشير لاستحالة إقدام المجاميع الحديثية السُّنية على دعم مُعتقد شيعي- اثني عشري؟!. بل أساس العقيدة الشيعية الاثني عشرية. كما يبدو من الصّعب التفكير بتسرّب ذلك المعتقد إلى تلك المجاميع الحريصة على إبعادهِ ومحاربتهِ وإقصائهِ. فضلاً عن ذلك، يبدو أنّ فرضية جولدتسيهر تقع في إشكالية منهجية كبيرة، فهي تغض الطرف عن الفارق الزمني الكبير الذي يمتدّ على ما يربو على قرن من الزمان بين تثبيت هذه الأحاديث في المجاميع الحديثية وبين ولادة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وغَيبتهِ.

6 - أما فكرة الانتظار والمهدوية وواقعها الروائي والتدويني، وعدم اتّساقه واتّفاقه مع قواعد المادية التاريخية والاتّجاه النقدي للتاريخ، نظرًا لسمة الغرائبية والإعجاز في الولادة والغياب والمسار التاريخي، فهي ممّا يتّفق عليها مع المستشرقين من حيث المبدأ، ولكن يبقى أنّ مسألة العقائد والأديان والمجال الروحي، لا تخضع لقوانين البحث التجريبي ولا للمادية التاريخية، ولا لقواعد نقد الحديث، وإلا فنحن بحاجة لإلغاء كل السّجال المتعلق بتاريخ النبوات والمعاجز التي أجريت على أيدي الأنبياء، والبحث عن مخارج تاريخية مادية لكل المسائل الغرائبية التي تشذُّ عن قوانين الحياة الأخروية، ومبدأ الثواب والعقاب، والجنة والنار، والإنس والجن

والشياطين...إلخ، وهكذا تطول القائمة، وصولاً إلى مسألة الخلق وبداية النوع الإنساني وغايات وجودهُ وفلسفتها ومنتهى الوجود، وهي الأسئلة التي لم ولن يستطيع العِلم ومناهجهِ التجريبية والمادية الإجابة عليها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المُقدس

أوّلاً: المصادر الأوليّة

■ ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله، المُصنّف في الأحاديث والأخبار، ضبط وتعليق: سعد اللحام، بيروت: دار الفكر، ط-1 1409 هـ /1989م.

■ ابن بابويه القمي: أبو الحسن علي بن الحسين، الإمامة والتبصرة من الحيرة، قم – إيران: مؤسسة الإمام المهدي، ط-1 1404هـ/1984م.

■ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلة بن بطوطه). بيروت: دار صادر، ط-1 412 هـ/1992م.

■ ابن حنبل: أحمد بن محمد حنبل بن هلال، المسند، القاهرة: المطبعة الميمنية، ط-1 1313هـ/1895م.

■ الأشعري القمي، أبو القاسم سعد بن عبد الله ابي خلف، المقالات والفرق، صحّحه وقدم له وعلق عليه: محمد جواد مشكور، طهران: مؤسسة مطبوعات عطائي، ط-1 1361هـ/1943م.

■ الأشعري، علي بن اسماعيل بن اسحاق، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ط- 1410هـ/1990م.

■ البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، التاريخ الكبير، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن يحيى اليماني، حيدر آباد- الهند: الجمعية العلمية، ط-1 1361هـ/1942م.

■ الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار المعرفة، ط-1 1335هـ/1916م.

■ الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قُرب الإسناد، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط-1 1413هـ/1993م.

■ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط-1 1407هـ/1987م.

■ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وحسن الأسد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط-9 1413هـ/1993م.

■ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت: دار الفكر، ط-1 401هـ/1981م.

■ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المُعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط-2 1397هـ/1976م.

■ الطبرسي، أبو منصور أحمد، الاحتجاج، تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرسان، النجف: دار النعمان، 1386هـ/1966م.

■ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، ط-5 1363هـ/1943م.

■ النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم، عبد المنعم الحفني، القاهرة: دار الرشيد، ط-1 1412هـ/1992م.

■ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط-1 1408هـ/1988م.

ثانيًا: المراجع العربية

■ إبراهيم، محمد إبراهيم، الأديان الوضيعة في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، القاهرة: مطبعة الأمانة، ط-1 1405هـ/1985م.

■ قيدارة، الأسعد بن علي، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، قم المقدسة- إيران: مركز الأبحاث العقائدية، ط-1 1433هـ/2010م.

■ الكعبي، شهيد كريم، صورة أصحاب الكساء بين تجنّي النّص واستباحة الخطاب الاستشراقي- هنري لامنس أنموذجًا: دراسة تحليلية نقدية، كربلاء: دار الكفيل، ط-1 1437هـ/2015م.

■ مهدي، فالح، البحث عن المُنقذ: دراسة مقارنة بين ثماني ديانات، بغداد: دار ابن رشد، ط-1 1401هـ/1981م.

■ الندوي، محمد إسماعيل، الهند القديمة وحضارتها وديانتها، القاهرة: دار الشعب، ط-1 1390هـ/1970م.

ثالثًا: الكتب المُعربة

■ تيرنر كولن، الإسلام الأسس، ترجمة: نجوان نور الدين، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط-1 1420هـ/2009م.

■ تيرنر، كولن، التشيع والتحوّل في العصر الصفوي، ترجمة: حسين علي عبد الساتر، كولونيا (ألمانيا) – بغداد: دار الجمل، ط-1 1429هـ/2008م.

■ جولدتسهير، أجناتس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى، بيروت: دار الجمل، ط-1 1431هـ/2009م.

■ ديوارنت، وِل وايرل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، بيروت: دار الجيل، ط-1 1377هـ/1943م.

■ رونلدسن، دوايت، عقيدة الشيعة، بيروت: مؤسسة المفيد، ط-2 1410هـ/1990م.

■ ريشار، يان، الإسلام الشّيعي عقائد وأيدولوجيات، ترجمة: حافظ الجمالي، بيروت: دار عطية، ط-1 1417هـ/1996م.

■ فلوتن، فان، أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة: إبراهيم بيضون، بيروت: دار النهضة العربية، ط-1 1417هـ/1996م.

■ كوربان، هنري، مشاهد روحيه وفلسفية للإسلام الإيراني، ترجمة: نواف محمود الموسوي، بيروت: دار الهادي، ط-1 1418 ه/ 2007م .

■ لويس، برنارد، الحشاشون، ترجمة: محمد العزب موسى، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط-2 1426هـ/2006م.

■ هاينس، هالم، الشيعة، ترجمة: محمد كبيبو، بغداد: دار الوراق، ط-1 1433هـ/2011م.

■ تويال، فرانسو، الشيعة في العالم.. صحوة المُهمّشين واستراتيجيتهم، ترجمة: أنيس عون، بيروت: دار الفارابي، ط-1 1427هـ/ 2007م.

رابعًا: المجلات والدوريات

■ جواد، فكري، ملامح عقيدة الانتظار في الديانة اليهودية، بحث منشور في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الكوفة، العدد (18) السنة العاشرة (2016م).

المهدي المُنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الإمام الثّاني عشر

لسماحة المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (طاب ثراه)

◆ أ.د. رؤوف أحمد الشمري[1]

■ **خلاصة**

ينقسم هذا الكتاب من حيث الموضوع إلى قسمين، القسم الأول: تحدث فيه المؤلف بالتفصيل عن أهمية الإمامة في النظام السياسي الإسلامي، وطُرق إثباتها لدى المسلمين عامة ولدى الشيعة خاصة، حيث استعرض المؤلف مجموعة من الأحاديث النبوية، وروايات أئمة أهل البيت، الواردة في النّص على إمامة الأئمة الاثنا عشر بشكل عام والإمام المهدي عليه السلام على وجه الخصوص. بالإضافة إلى أقوال علماء الفرق الإسلامية المشهورة والأدلة العقلية على وجوب الإمامة، وأنّها أمرٌ إلهي لا دخل للنبي أو الناس في انتخابه أو تعيينه.

أما القسم الثاني، فقد خصّصه المؤلف للحديث عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومناقشة القضايا والشبهات المتعلقة بولادته وغيبته وفلسفة انتظاره. وقد خلُص إلى أنّ الإيمان بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومسألة غيبته وانتظار خروجه ليملأ الأرض قسطا وعدلا من العقائد الإسلامية المُجمع عليها بين المسلمين وفرقهم الكلامية.

الكلمات المفتاحية: الإمامة – الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف – الغيبة – فلسفة الانتظار- العدل والقسط..

1 - متخصص في علم الكلام الإسلامي، أستاذ بجامعة الكوفة / كلية الفقه- العراق.

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب: المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر(مُقتبس من كتاب: في رحاب العقيدة).

الكاتب: آية الله السيد محمد سعيد الحكيم(طاب ثراه).

الناشر: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - الإصدار:166.

عدد الصفحات: 208 من الحجم الوزيري

سنة النشر: ط1 - 1435هـ.

مقدمة

تُعتبر الإمامة موضوعًا هامًّا وخطيراً، فهو هامّ من جهة تحديد نظامه، هل هو من الخالق أم من المخلوق، وخطير من جهة التداعيات لمخالفة الجَعل الإلهي﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[الأنبياء:73] تارة، وتلمّس نتائج هذه المخالفة من خلال معرفة ما أصاب المسلمين من نكبات إثر ذلك، تارة أخرى.

لقد نبّه النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلى مسألة قيادة الأمة بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم، استنادًا لِما أبلغَته السماء، فكان النّص على أسماء اثْني عشر إمامًا، تجسيدًا وترجمة لحكمة الخالق عز وجل، بأنه لم يترك خَلقَه تائهين في صحارى الضلال.

ومن المؤكّد أنّ واحدًا من هؤلاء الصفوة والقادة هو الإمام المهدي المنتظَر عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي ابتُلِيَت الأمة بغَيبته، ابتلاءً يُحدّد موقفها العَقدي والشّرعي من مسألة وجوده بين المكلفين ومسدِّداً لهم،

أو أنّه غير مولود لحد الآن، ممّا يعني عدم وجوده، الأمر الذي ترتّب عليه وقوع المدرسة الفكرية المُخالفة لإمامة أهل البيت عليهم السلام، في حالة اختبار عصيب لاختيار إمام الزمان، فكان الحلّ عندهم، اختيار الحُكام والأمراء والسلاطين الذين حكموا عبر التاريخ الإسلامي!

وقد سلك علماء الإمامية بعامتهم، مسلك التأكيد على تبنّي عقيدة وجود إمامٍ بين ظهراني المُكلفين، اقْتضت حكمة الله عز وجل أن يكون غائبًا عن الأنظار، الْتَقى في فترة الغَيبة الصغرى بالسّفراء، ويُسدّد في غيبته الكبرى أهلَ العِلم من الفقهاء.

هذا الموضوع حفلت بذكره الكثير من المصادر العقائدية للإمامية وغيرهم، فقد أكّد الإمامية على أهميته وقاموا بدفع الشّبهات عنه، استنادًا لِما وَرد من أحاديث مرويّة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى الأدلة العقلية.

بالنسبة لمؤلف هذا الكتاب – موضوع القراءة – السيد محمد سعيد الحكيم(قدس)، فهو أحد أعلام مدرسة الإمامية الذين تصدّوا للكتابة في هذا الموضوع، مؤكدًا على أنّ مقتضى النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ الإمامة أمرٌ إلهي، لا خيار للنبي صلى الله عليه وآله ولا للنّاس في اختياره أو انتخابه، وإنما وظيفة النبي صلى الله عليه وآله والإمام التبليغ بعهد الله تعالى بذلك، لا غير.

تضمّن الكتاب عنوانين رئيسيَّين:

الأول: ما تقدّم من الكلام عن ضرورة الإمامة، وأنّها أمرٌ وتعيين إلهيّان. فكان ممّا أبلغ به النبي صلى الله عليه وآله، أنّ الأئمة من بعده إثنا عشر.

الثاني: ما ورد من نُصوص خاصة بإمامة الحُجّة بن الحسن(القائم المنتظَر عجل الله تعالى فرجه الشريف).

كما سنجد في من خلال هذه القراءة الأسلوب العلمي الذي انتهجه المؤلف من حيث الموضوعية واحترام الرأي الآخر في عرضه للروايات والاحتجاج بها على الآخر. لكنه في موضوع "الغَيبة"، استدلّ بالأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام فقط، لأنّ جمهور المدرسة الأخرى لا يُؤمن بوجود الإمام أو ولادته أصلاً، فكيف يؤمن بغَيبته. وبشكل عام، فالمؤلّف لم يخرج عمّا

عليه علماء الإمامية في مسألة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: ولادةً وغَيبةً.

■ تعريف الإمامة

الإمامة هي: الولاية العامة على جميع أمور المسلمين[1]، وهي أعلى منازل الدين بعد النبوة[2]، وقد عرّفها العلاّمة الحلّي بقوله: "هي خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وآله في إقامة قوانين الشرع وحفظ حوزة الملّة، على وجه يجب اتّباعه على كافة الأمة"[3].

ولو تأملنا فيما أشار إليه السيد محمد سعيد الحكيم(قدس) في كتابه "المهدي المنتظَر الإمام الثاني عشر"، فسنجده يتعرّض في التمهيد إلى موضوع "وُجوب معرفة الإمام على الخَالِق وأنّ الإمامة عهدٌ إلهي"، وهو بذلك يُشير إشارة صريحةً إلى موضوع "طريق وجوب الإمامة من جهة، وطريق إثباتها من جهة أخرى". لكنه لم يفصّل القول فيه، لأنه ليس في معرض بيان اختلاف الآراء في هذه المسألة، بل يهدف إلى التأسيس لمبدأ الإمامة وِفق المنظور الشيعي الإثني عشري في هذا المقام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ طريق وجوب الإمامة مختلَفٌ فيه عند فرق المسلمين. فمنهم من أوْجبها، ومنهم من لم يُوجبها. أماّ القائلون بوُجوبها فمنهم من أوْجبها عقلاً، ومنهم من أوْجبها سمعًا، فالقائلون بوُجوبها عقلاً هم الشيعة، ومعتزلة بغداد، والجاحظ، وأبو الحسين البصري[4]، وانقسموا في الوجوب العقلي إلى فريقين: الأول: وهم الإمامية الإثنا عشرية، القائلون بوجوبها عقلاً على الله تعالى، من حيث كانت لطفًا[5] وبُعدًا عن مواقعة القبائح، وبه قالت الإسماعيلية[6]. أمّا الفريق الثاني فهُم: معتزلة بغداد، الذين قالوا بوجوبها على المكلفين، من حيث كان في

1 - الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة ص118.
2 - الشافي في الإمامة، ص169.
3 - العلامة الحلّي، الألفَين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص2.
4 - الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي، ج1 ص68، وابن أبي الحديد، شرح النهج، ج2، ص308.
5 - المحقق الطوسي، تجريد العقائد، ص93. والعلاّمة الحلّي، كشف المراد، ص225.
6 - الإيجي، المواقف، ج8، ص345.

الرياسة مصالح دنيوية، ودفع مضار دنيوية[1].

أمّا القائلون بوُجوبها سمعًا فهم مُعتزلة البصرة، والجبائيان أبو علي وأبو هاشم، ـوجمهور أهل السُّنة[2]، وانفرد بالقول بعدم وجوبها، النجدات من الخوارج، وهشام الفوطي، والأصم[3].

أما طريق إثبات الإمامة، فقد انقسموا بخصوصه إلى فريقين:

- الأول: يرى أنّ الإمامة تكون بالاختيار، ويُمثله المعتزلة والأشعرية والخوارج[4].
- الثاني: يرى أنّ الإمامة تكون بالنص، إماّ بالإسم، أو بالصِّفة، فالذين يَروْا أنها بالنّص وبالإسم فهُم الإمامية[5]، أما الزيدية فقد ذهبوا إلى أنها بالنّص على الأوائل من أئمّتهم: علي والحسن والحسين عليهم السلام [6] وبالصِّفة على من يلي هؤلاء[7]، ومع ذلك، فهم يقولون بالاختيار[8]. ومن الفلاسفة الإسلاميين ابن سينا(ت:428هـ) الذي ذهب إلى القول بأنّ الإمامة بالنّص، من دون أن يخصّص باسمٍ أو صِفةٍ[9].

1 - ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج2، ص308.
2 - القاضي عبد الجبار، المغني، ج20 ، ق1 ، ص16، والبغدادي، أصول الدين، ص271 .
3 - انظـر رأي النجدات في: الشهرسـتاني، الملـل والنحل، ج4، ص87. ورأي هشـام الفوطي، عنـد البغدادي، أصول الدين ص271 - و 272، والشهرسـتاني، نهاية الإقدام، ص481. أما رأي الأصم، فيراجع الأشعري، مقالات الإسلاميين،ـ ج2، ص133.
4 - تُراجع آراءهم على التوالي عند: القاضي عبد الجبار، المغني ج20، ق1، الصفحات: 120 - 121 - 319، وشرح الأصول الخمسة، ص753 و 754 ، والبغدادي، أصول الدين، ص 279 ، الباقلاني، التمهيد، ص 378، والجويني، الإرشاد، ص 410 و 434.
5 - الشـيخ المفيد، أوائل المقالات، ص44، الشيخ الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 313، المحقق الطوسي، تجريد العقائد ص94، العلامة الحلي، كشف المراد، ص229.
6 - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص761.
7 - القاضي عبد الجبار، المغني، ج20، ق1، ص38 و39 بتصرّف.
8 - ابن خلدون، المقدمة، ص197.
9 - ابن سينا، الشفاء (الإلهيات)، ج2، ص452.

وفي هذا المجال يُؤكِّد السّيد الحكيم على النقاط التّالية[1]:

1. إنّ مسألة معرفة الإمام ووُجوب العِلم به لا تخصُّ الشيعة، بل تجري في حقِّ الجمهور وجميع المسلمين، لِما هو المتسالَم عندهم من وجوب معرفة الإمام، والتّسليم له، وبيعته وطاعته.

2. على أساس ما تقدم، يتعيّن حينئذٍ معرفة شخص الإمام بوجهٍ قطعي، بالبحث عن الأدلة والنظر فيها بوجهٍ موضوعي.

3. إنّ مقتضى النّصوص الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، أنّ الإمامة أمرٌ معهود من الله تعالى. وليست بتعيين الناس، ولا بتعيين النبيﷺ أو الإمام لِمن بعده، وإنما وظيفة النبيﷺ والإمام كذلك، هو التبليغ بعهد الله تعالى بذلك، لا غير.

4. على أساس النقطة السابقة، يقوم كيان دعوة الشيعة الإمامية - كما يرى السيد الحكيم -، وهذا ما أكدوا عليه، في عرضها والاستدلال عليها، حتى عُرف عنهم ذلك، وبه يمتازون عن أكثر فِرَق المسلمين.

وهكذا ينتهي السيد الحكيم، إلى أنّ ذلك هو مقتضى التأمل في نصوص جمهور أهل السُّنة المُطبِقة على أنّ الأئمة اثنا عشر، وإن خلت أو خلا أكثرها عن التصريح به. ومن ضمن نصوص الجمهور التي ذكرت ذلك، وأشار إليها المؤلف، حديث عبد الله بن مسعود عن النبيﷺ أنه قال: «يكون بعدي من الخُلفاء عِدّة نقباء موسىعليه السلام»[2].

1 - الحكيم، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص13 و14.

2 - المتقي الهندي: كنز العمال، ج2، ص33، حديث رقم 33859 وبخصوص المضمون نفسه، فقد استدل السيد الحكيم بما أورد البخاري في صحيحه: ج6، ص3، وأبو عوانه في مسنده، ج4، ص73، والطبراني في المعجم الكبير، ج2، ص253، وابن حبان في صحيحه، ج15، ص 43.

الفصل الأول
الأئمة الإثنا عشر بالنّص والتعيين

في هذا الفصل عرض السيد الحكيم الأدلة على هذا النّص والتّعيين، مؤكّدًا أنّ المُتتبع للتراث الإسلامي عمومًا والشيعي بنحوٍ خاص، يجد العشرات بل المئات من الأحاديث والروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، التي تنصُّ على أنّ الأئمة والخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله اثْنا عشر إمامًا حصرًا. وقد أورد المؤلف (54) حديثًا عن أهل البيت عليهم السلام رواها أصحابهم في هذا المجال، منها:

1. ما رواه أبو بصير عن الإمام الصادق[1] عليه السلام، وما رواه اسماعيل بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام[2].

2. حديث اللوح الذي رواه أبو نضرة، حيث قال: «لمّا احتضر أبو جعفر الباقر عليه السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام فعهد إليه عهدًا»[3].

3. حديث اللوح الآنف الذكر، مروي بوجه آخر عن الإمام الباقر عليه السلام عن جابر أيضًا، قال: «دخلتُ على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقدّامها لوحٌ يكاد ضوؤه يغشي الأبصار، فيه اثنا عشر اسْمًا: ثلاثة في ظاهره، وثلاثة في باطنه، وثلاثة في آخره، وثلاثة أسماء في طَرَفه، فعدَدتُها فإذا هي اثْنا عشر. فقُلتُ: أسماء مَن هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء الأوصياء، أَوّلهم ابن عمّي، وأحد عشر من ولدي، آخرهم القائم»[4].

4. ما رواه جابر الجعفي، قال: سمعتُ جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: «لَمّا أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[النساء: 59]، قلتُ: يا رسول الله، عرفنا اللهَ ورسولَه، فمَن أولو الأمرِ الذين

1 - الحكيم، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص19 و20.
2 - المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص 20.
3 - المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص 23.
4 - الحكيم، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص24 و25.

قرن اللهُ طاعتَه بطاعتك؟ فقالﷺ: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي ..... ثم ذكر أسماءَهم واحدًا بعد واحد، حتى وصل إلى إسم الإمام المهديعج، قالﷺ: ثم سَميّي وكَنِيّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، إبْن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله -تعالى ذِكره - على يديه مشارقَ الأرض ومغاربَها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غَيبةً، لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ مَن امتحن اللهُ قلبَه للإيمان. قال جابر: فقلتُ له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غَيبته؟ فقالﷺ: إيْ والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غَيبته كانتفاع الناس بالشمس، وإنْ تَجلّلها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علمه، فاكتِمْهُ إلاّ عن أهله»[1].

5. حديث علي بن عاصم عن محمد بن علي بن موسى عن آبائه عن الحسين بن عليع عن جدّه رسول اللهﷺ في هذا المقام، أنه قال بعد كلام طويل له ﷺ: «.. وأنّ الله تعالى قد ركّب في صُلب الحسن العسكري نطفة زكية طاهرة مطهرة، يرضى بها كل مؤمن ممّن قد أخذ الله عليه ميثاقه في الولاية، ويكفر بها كل جاحد، فهو إمام تقيٌّ نقيّ، سار هادٍ مهديّ، يحكم بالعدل ويأمر به، يصدّق اللهَ ويصدّقُه اللهُ في قوله، يخرج من تهامة حين تظهر العلائم والدلالات»[2].

ولو تأملنا في العدد 12 لوجدنا أنه لا ينطبق على عِدّة مَن تولى الحكمَ بعد رحيل الرسول الأكرمﷺ، فالخلفاء الأوائل (الثلاثة، بالإضافة إلى الإمام عليع) وحكام بني أمية(أربعة عشر) وحكام بني العباس(سبعة وثلاثون). من هنا أصبح لدينا احتمالان:

الأول: أن يكون الحديث غير صحيح، بل لم يُروَ عن رسول اللهﷺ، وهذا ما لم يقُل به عموم المسلمين.

الثاني: أن يكون الحديث صحيحًا مرويًّا (بهذا النص والعدد). وعندها فالعدد لا ينطبق إلا على هذه الصفوة.

1 - الحكيم، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص28 و 29.
2 - انظر الحديث بأكمله في: المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، ص30 و34.

وفي موضع آخر من كتابه، يطرح السيد الحكيم تساؤلاً تقتضيه طبيعة الأحاديث الـ(54) - التي استدلّ وسابقوه من الإمامية بها على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ـ هذا التساؤل يطرحه كل متتبّع لمسار رواية الحديث عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، تساؤل نتبيّن منه الاستراتيجية المُتبنّاة من قِبل أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في اعتماد الحديث الوارد عنهم عليهم السلام وفق شروط تتعلق بالرواية والرّاوي، مقابل الاستراتيجية المُتبنّاة من قِبل المدارس الأخرى في هذا المقام.

يقول السيد الحكيم(قدس): قد يُقال: " إنّ كثيراً من هذه الأحاديث قد رُويت عن كثير من الصحابة، ممّن يروي عنهم الجمهور، بل قد يُكثرون الرواية عنهم. مع أنه لا وجود لها عن طريق الجمهور، ولم يعرفوا طُرقَها.. ويُجيب على ذلك، استنادًا للاستراتيجية العلمية لمدرسة الإمامية فيقول: إنّ مخالفة هذه الأحاديث لأصول الجمهور التي أصّلوها، ومسلَّماتهم التي جَروا عليها، قد تحملهم على الإعراض عنها في جملة ما أعرضوا عنه من الأحاديث التي رَووها ولم يُثبتوها في كتب الحديث، كما قد يحمل ذلك رواة هذه الأحاديث على الامتناع من روايتها للجمهور، حذرًا من رميهم بقوارص القول، ونبزهم بالكذب والبهتان والوضع، كما صنعوه مع مَن روى دون هذه الأحاديث في مخالفة وجهة الجمهور.."[1].

ولو تصفّحنا المصادر الحديثية الامامية، لَوجدنا فيها الكثير من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي يُشيرون بها إلى تعدادهم – أنفسهم- وأنهم اثنا عشر إمامًا، دون أن ينسبوا – أي الأئمة عليهم السلام - ذلك للنبي صلى الله عليه وآله.

هنا ربما يُدّعى - على حدّ تعبير المؤلف - أنّ هذه الأحاديث لا تنهض حجة على إمامتهم عليهم السلام. وجوابه على ذلك:

1. من المعلوم أنّ مثل هذه التعاليم توقيفية لا يمُكن الإخبار بها عن اجتهاد وحدس، بل لابدّ أن تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وآله.. فهي مضامين أحاديث نبوية مرسَلة منهم (صلوات الله عليهم) لا تقصر عن المسانيد، لِما هو المعلوم من حالهم عليهم السلام من أنّ كلاً منهم يُحدّث

1 - السيد الحكيم، ص103و 104 .

عن أبيه عن آبائه عن النبيﷺ. ولا سيما وأنها تشتمل على المُعجِز وهو الإخبار الغَيبي الصادق من الإمام بوجود مَن بعده من الأئمة الذين لم يولَدوا بعد، على ترتيبهم الذي حصل بعد ذلك، حيث يشهد ذلك بصدقهمعليهم السلام في الأحاديث المذكورة[1].

2. لو غُضَّ الطرف عن ذلك، نفعت هذه الأحاديث في إثبات إمامة الأئمة الذين هم بعد الإمام الذي رُويت عنه، لأنها بمثابة نصٍّ منه على إمامتهم، فإذا ثبتت إمامة مَن رُويت عنه، كانت كسائر النّصوص الواردة عنه، المتُضمنة لإمامة مَن بعده، ومن ثَمَّ يحسن إثباتها في جملة تتمة ما تضمّن تعيين الأئمة الاثني عشر بأشخاصهم[2]. وهنا استدلّ السيد الحكيم(قدس) بأحاديث عديدة[3]، منها حديث رقم(57) الذي رواه الأعمش "عن الإمام الصادقعليه السلام قال: سألتُه عن الإمامة فيمن تجب؟ وما علامة مَن تجب له الإمامة؟ فأجابه الإمام الصادقعليه السلام بعد أن استشهد بقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[المائدة: 55]، وأنها – أي هذه الآية - نزلت في حقّ ولاية علي عليه السلام، أمير المؤمنين وإمام المتقين، وقائد الغُرّ المُحجلين، وأفضل الوصيّين، وخير الخَلق أجمعين، بعد رسول رب العالمين، وبعده الحسن ثم الحسين سبطا رسول اللهﷺ، ثم ذكر الإمام الصادق بقية أسماء أئمة الهدى واحدًا بعد آخر، سلام الله عليهم أجمعين"[4].

1 - السيد الحكيم، ص. ص. 106-107.
2 - السيد الحكيم، ص. ص.107.
3 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر.. ، ص. ص.108 و 123.
4 - السيد الحكيم، ص. ص.111 و112.

الفصل الثاني
نصوص إمامة الحُجّة بن الحسن المنتظَر عجل الله تعالى فرجه الشريف

بعد أن أثبت السيد الحكيم في الفصل الأول - كسابقيه من علماء الإمامية - إمامة آباء الإمام الحُجّة بن الحسن عليه السلام، استعرض في هذا الفصل جملة من الموضوعات، ابتدأها بـ:

أوّلا: الأدلة والنّصوص الواردة منهم عليهم السلام في إمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي كثيرة جدًّا - على حدّ تعبيره – فقد ذكر تسعة وعشرين حديثًا في هذا المقام[1]. نذكر منها:

1. ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن جدّه الحسين عليه السلام في حديث طويل - حين سُئل في آخره من قِبل أصحابه ليلة عاشوراء - قيل له يا ابن رسول الله مَن قائمكم؟ قال عليه السلام: «السابع من ولد ابني محمد بن الحسن، وهو الحُجة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يغيب مدة طويلة، ثم يظهر، ويملأ الأرضَ قسطًا وعدلاً، كما مُلئت جورًا وظلمًا»[2].

2. حديث الصقر بن أبي دلف، قال: سمعتُ علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إنّ الإمام من بعد الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرضَ قسطًا وعدلاً، كما مُلئت جَورًا وظلمًا»[3].

وهكذا ينتهي السيد الحكيم في نهاية هذا المبحث إلى القول: «هذا ما عثرنا عليه عاجلاً من النصوص على إمامة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإذا أُضيفت إلى ما تقدم في الفصل الأول، من ذِكر الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم) بأسمائهم، زادت النصوص الدالة على إمامته (صلوات الله عليه) على التّسعين حديثًا»[4].

---

1 - السيد الحكيم، ص. ص. 126 و150 .
2 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص126.
3 - السيد الحكيم، ص128.
4 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص149.

طوائف من الأحاديث التي تشهد بإمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

في مبحث آخر من مباحث كتابه، يشير السيد الحكيم إلى: طوائف من الأحاديث التي تشهد بإمامة المهدي عليه السلام. فقد ذكر تحت هذا العنوان مجموعة من الروايات التي تنضوي تحت طوائف وعناوين كلها تشهد وتُؤيد، بل وتصرّح بإمامة الإمام المهدي عليه السلام، وهي:

الطائفة الأولى: الأحاديث المُستفيضة، بل المتواترة التي رواها الشيعة والجمهور، المتضمنة أنّ الأئمة اثنا عشر.

الطائفة الثانية: ما دلّ على أنّ الأئمة تسعة من ذريّة الحسين عليه السلام. إذ أشار السيد الحكيم – هنا- إلى أن الأحاديث المستفيضة في أنّ تسعة من الأئمة من ذريّة الإمام الحسين عليه السلام، لظهور أنّ الثامن منهم بمقتضى الأدلة هو الإمام الحسن العسكري، فلابد أن أن يكون التاسع هو ابنَه صلوات الله عليه[1].

الطائفة الثالثة: ما دلّ على أنّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من ذريّة الحسين عليه السلام. حيث يُشير السيد الحكيم إلى الأحاديث المستفيضة، بل المتواترة التي رواها الشيعة والجمهور، المتضمنة أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من ذريّة الإمام الحسين صلوات الله عليه، لوضوح أنه ليس في الأئمة الثمانية الذين ثبتت إمامتهم بالأدلة الخاصة عليهم عليهم السلام مَنْ هو المهدي، فلابد أن يكون المهدي إبنًا للإمام الثامن منهم، وهو الإمام الحسن العسكري عليه السلام[2].

الطائفة الرابعة: ما تضمّن أنّ المهدي هو آخر الأئمة أو من ذريّتهم. وهو ما تؤكده الأحاديث المتضمنة أنه عليه السلام آخر الأئمة الإثني عشر صلوات الله عليهم، أو آخر الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام، أو أنه من ذريّة بعض الأئمة السابقين، من دون تحديد طبقته في النّسب. وهي أحاديث كثيرة رواها الشيعة والجمهور[3].

---

1 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر ، ص. ص.150-151

2 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر، ص151.

3 - السيد الحكيم، ص. ص.151 و152.

الطائفة الخامسة: ما تضمّن خروج المهدي عليه السلام آخر الزمان، أو بعد غَيبة طويلة، ويأس وهرج ومرَج، وامتلاء الأرض جَوْرًا وظلما[1].

الطائفة السادسة: ما تضمّن تحديد طبقة المهدي في النّسب. إذ أورد السيد الحكيم تحت هذه الطائفة بعض الأحاديث الواردة عن آبائه صلوات الله عليهم، المتضمنة لتحديد طبقته في النسب أو في الإمامة[2].

الطائفة السابعة: ما تضمّن أنّ الأرض لا تخلو من إمام وحُجّة على الناس، حيث أشار السيد الحكيم(قدس) إلى وجود أحاديث كثيرة ضمن هذه الطائفة، مكتفيًّا بذِكر حديثَين فقط، أحدهما "إنّ الأرض لا تخلو من إمامٍ وحُجة من الله على خَلقه، إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور"[3].

الطائفة الثامنة: ما تضمّن أنّ سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكون إلاّ عند الإمام عليه السلام. وقد تضمنت هذه الطائفة أربعة أحاديث ذكرها السيد الحكيم(قدس)، منها حديث صفوان عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «إنما مَثَل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل، حيثما دار التابوت أُوتوا النبوةَ، وحيثما دار السلاح فينا فَثَمَّ الأمر»[4].

الطائفة التاسعة: ما تضمّن جريان الإمامة في الأعقاب. وقد تضمّنت هذه الطائفة أربعة أحاديث ذكرها السيد الحكيم(قدس)، مُشيراً إلى استفاضة النصوص الواردة من آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين)، المتُضمنة أنّ الإمامة بعد الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) تكون في الأعقاب، وتنتقل من الوالد لِوَلَده، ولا تكون في أخٍ ولا عمٍّ ولا خالٍ[5].

وقد يَرِد إشكالٌ مَفادُه: أنّ كثيراً من هذه الأحاديث قد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام والأئمة من أولاده عليهم السلام، ولا مجال للاستدلال بأقوالهم على إمامتهم. لكن السيد الحكيم يجيب بأنّ:

1 - السيد الحكيم، ص152.
2 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر، ص152.
3 - السيد الحكيم، ص157 و158.
4 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر، ص. ص.158-159.
5 - السيد الحكيم، ص. ص.159-160.

1. من المعلوم أنّ أقوالهم في مثل هذا الأمر التوقيفي، لا تكون إلا بأخذهم له عن آبائهم.

2. إنّ الإمام الباقر عليه السلام قد ثبتت إمامته بمقتضى الأدلة الخاصة عليه، ولذا صحّ منا الاستدلال على إمامة وَلَده الإمام الصادق عليه السلام. وعلى ذلك لم يظهر للإمام الصادق عليه السلام مُنازِع في الإمامة من إخوته، بل لم يظهر له مُنازِع في دعوى النّص حتى من غير إخوته، وإنما قالت الزيدية بإمامة عمّه زيد، لِدعوى أنّ الإمامة فيمن خرج بالسّيف من أهل البيت عليهم السلام لا بالنّص، ويظهر بطلان ذلك من خلال عشرات الروايات التي دلّت على ضرورة أن تكون الإمامة بالنّص[1].

وهكذا لم يدّعِ أحد الإمامةَ بعد شهادة الإمام الصادق عليه السلام لأحدٍ من أولاده غير الإمام الكاظم عليه السلام، إلاّ إسماعيل الذي بطلت إمامته بوفاته في حياة أبيه الإمام الصادق عليه السلام[2]، وعبد الله الأفطح الذي تبْطل إمامته لِكون لا قائل بالإمامة في عَقِبه، بل مَن قال بإمامته إما أن يتوقف بالإمامة عنده، أو ينتقل بالإمامة منه إلى أخيه الإمام الكاظم عليه السلام [3]. وأما بطلان إمامة جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام فلِثُبوت عدم أهليته الشخصية للإمامة، فضلاً عن أن تكون الإمامة في عَقِبه من جهة، وكَوْن القائلين بإمامته قد انقرضوا من جهة أخرى، ولم يبقَ لهذه الدعوة مَن يحملها ويدعو لها[4].

سبب سُؤال الشيعة عن الإمام المهدي عليه السلام

في هذا المقام يطرح السيد الحكيم(قدس) احتمالات عدّة، فيقول: وإنما وقع السؤال عنه عليه السلام من الشيعة وبُيِّنَ لهم: إما لعدم وضوح بعض ما سبق من الأحاديث لبعض الناس بسبب عدم اطلاعهم عليها، لكونها في صدور الرجال من دون أن تنتشر انتشارًا كافيًّا في قيام الحُجّة. وإما طلبًا للمزيد منها، وإما تأكيدًا للحُجّة عليهم استظهارًا، وإما لأنّ الأمور الحسّيّة أوقع في النفس

1 - راجع تفاصيل ذلك مؤيدة بالروايات التي ذكرها السيد الحكيم في الصفحات: 160 - 163.
2 - ذكر السيد الحكيم روايات عديدة في ذلك: انظر: ص 163 (الهوامش).
3 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر.. ، ص163 و164.
4 - السيد الحكيم، ص165 و166.

من الحسابات العقلية والأمور الغَيبية[1].

أسباب ترجيح فرقة الإمامية على سائر الفِرَق:

هنا يقدّم السيد الحكيم(قدس) أسبابًا أربع لهذا الترجيح، هي[2]:

الأول: بقاء الشيعة الإمامية وظهور دعوتهم، وسماع صوتهم بنحو يصلح لتنبيه الغافل ورفع عذره. واندثار كثير من الفِرَق التي شغلت الساحة في بعض الفترات الزمنية المحدودة، كالفطحية والواقفة وغيرهما.

الثاني: ما تضمّن أنّ الأرض لا تخلو من إمام تجب معرفته وطاعته، وأنّ ذلك يناسب كون الإمامة بالنّص.

الثالث: ما تضمّن أنّ الأئمة اثنا عشر، من خلال جملة كثيرة من النصوص، التي تُؤكد على أنّ الإمامة عهدٌ إلهي إلى النبي صلى الله عليه وآله، وقد بلّغ به النبيُّ صلى الله عليه وآله من بعده.

الرابع: قاعدة اللّطف القاضية بعصمة الإمام عليه السلام.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عند المسلمين جميعًا واحد:

هناك تساؤل يُثار مفاده: هل الإمام المهدي المنتظر عند السّنّة هو غير الإمام المهدي عند الشيعة؟ وهل يُمكن القول بصحة الرأيَين معًا[3]؟

■ بخصوص التساؤل الأول، يُؤكّد السيد الحكيم(قدس)، أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عند المسلمين جميعًا واحد، وإنما الخلاف بين المسلمين وقع في[4]:

1 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر،..، ص. ص. 167.
2 - السيد الحكيم، ص169 و170.
3 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص171 .
4 - السيد الحيكم، المهدي المنتظر، ص171 و172.

1. نَسَبه: هل هو من ذريّة الإمام الحسين عليه السلام كما يقول الشيعة وجماعة من أهل السّنّة، أو أنه من ذريّة الإمام الحسن عليه السلام كما يقول قسم آخر من أهل السّنّة؟.

2. هل أنه وُلِد، وهو موجود فعلاً، أمْ لا، بل سوف يولَد عند أوان قيامه؟ أجمع الإمامية ومعهم جماعة من أهل السّنّة على ولادته وأنه غائب، ينتظر أمرَ الله بالظهور، في حين قال بقية المسلمين بأنه سوف يُولد عند أوان قيامه.

■ أما بخُصوص التساؤل الثاني: (أي افتراض صحّة القولين معًا)، فالسيد الحكيم(قدس) يرى أنه لا مجال له، بعد كون المهدي عليه السلام شخصًا واحدًا بشّر به النبي صلى الله عليه وآله، إذ الشخص الواحد لا يجمع الحالتين المختلفتين المتضادتين، بل لابدّ من صحّة أحد الرأيَين[1].

■ لابدّ من تحديد نظام الحُكم عند الشيعة وأهل السّنّة:

تحديد نظام الحُكم لدى المدرستين، يمثّل استراتيجية هامة في حساباتهما على صعيد العقيدة وتطبيقاتها. وبالتالي، فهو أمرٌ حساس وخطير في منظور مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

في هذا المقام، ينبّه السيد الحكيم إلى المقارنة بين مذهب الشيعة في الإمامة ومذهب السّنّة فيها، فلا ينبغي أن تعرَض على أساس المقارنة بين شخصين أو أشخاص محدودين، كالإمام علي عليه السلام وأبي بكر، أو أهل البيت (صلوات الله عليهم) في جانب، والصحابة والمهاجرين أو قريش عمومًا في جانب[2]، معلّلاً ذلك بأنّ الإسلام هو الدين الخاتم، والمفروض أن يكون هو الحاكم في الأرض ما بَقيَ وبقيت. وهذا يقتضي تشريع الإسلام لنظام حكمٍ صالحٍ لِحُكم الأرض باستمرار، ولا يختصّ بأفراد أو جماعة مخصوصين وينتهي بانتهائهم[3].

من هنا، يرى السيد الحكيم أنّ تحديد نظام الحُكم يتطلّب المُرور بعدة مراحل[4]:

1 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص172 .
2 - السيد الحكيم، ص 173 .
3 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص 173.
4 - السيد الحكيم، ص173 و 174.

الأولى: لابدّ من عرض المقارنة بين مذهب الشيعة في الإمامة ومذهب السّنّة فيها، على أساس المقارنة بين نظامَين صالحَين لتنفيذ التشريع الإسلامي في الأرض باستمرار.

الثانية: بعد تعيين نظام الحكم في الإسلام، وإقامة الأدلة الشرعية عليه، يكتسب الحاكم على أساسه شرعيةَ الحكم والإمامة، ويفقد الخارج عنه الشرعية مهما كان شأنه. أما مع عدم تعيين نظام الحكم المشرَّع في الإسلام، فلا معنى للحديث عن شرعية حكم الحاكم وإمامته، وعدم شرعية غيره، مهما كان شأنهما.

الثالثة: بعد ذلك، نقول: نظام الحكم في الإسلام عند الشيعة يبتني على أن تعيين الإمام إنما يكون بجعلٍ من الله تعالى، من دون حاجة إلى مشاورة أحد أو بيعته أو إقراره، وأنّ الله جلّ شأنه لابدّ أن يُعرِّف الناسَ بشخص الإمام الذي جعله بحجة كافيةٍ واضحة، من طريق نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الناطق عنه والمبلِّغ لشريعته، أو من طريق الإمام المنصوبِ من قِبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ ذلك الإمام ينطق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي ينطق عن الله تعالى.

على أساس هذه المراحل الثلاثة التي طرَحها السيد الحكيم(قدس)، فإنّ الشيعة تذهب إلى أنّ الأئمة الذين جعَلهم الله سبحانه وتعالى بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتمّ تبليغه بهم، هُم اثنا عشر إمامًا، وأنهم من أهل بيته، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن السبط الزكي عليه السلام، ثم الحسين السبط الشهيد عليه السلام، ثم تسعة من وِلد الحسين متعاقِبين ولدًا عن والد، تاسعُهم قائمَهم، وهو الإمام محمد بن الحسن المهدي الغائب المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهُمْ وحدَهم يملكون شرعيةَ الإمامة والخلافة، دون غيرهم مهما بلغ شأنهم[1].

في المُقابل فإنّ مذهب السّنّة في الإمامة - كما يرى السيد الحكيم - لا يخلو من غموض، ولا يتيسّر لنا تحديده ليكون طرَفًا في المقارنة مع مذهب الشيعة فيها، كما يشهد بذلك النظر إلى واقع خلافاتهم، وما فرضوه على أنفسهم من شرعية كل ما حصل. غير أنه ربما يُحاول بعضهم دعوى ابتناء نظام الخلافة عندهم على اختيار الأمة، ولو تم ذلك فهو لا يصلح لأنْ يكون نظامًا متكاملاً،

1 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص174 و175.

إلاّ بعد أن تُحدَّد فيه بصورة دقيقة الأمور التالية في منظور السيد الحكيم:[1].

أوّلاً: مَن له حقُّ الترشيح للإمامة والخلافة من حيثية النّسب والسّن والمقام الديني والاجتماعي وغير ذلك.

ثانيًا: متى تسقط أهلية الشخص المنتخب للخلافة؟ والأسباب التي تقضي بانعزاله منها، كالجَوْر في الحكم، أو مطلق الفساد، والخَرَف أو المرض، والعجز أو الضعف، وغير ذلك، مع تحديد ذلك بدقة رافعة للاختلاف، تجنُّبًا لما حصل في أمر عثمان، حين طلب منه الذين ثاروا عليه أن يتخلى عن الخلافة، لعدم أهليته، وامتنع هو عن ذلك، وكما وقع نظير ذلك في العهد الأموي والعباسي والعثماني.

ثالثًا: مَن له حق الاختيار والانتخاب من حيثية النسب والسّن والمقام الديني والاجتماعي، والذكورة والأنوثة، وغير ذلك.

رابعًا: كيف نحرز الأمور المذكورة؟ وهي تَحقق شروط الترشيح في الشخص، وتحقق شروط الانتخاب فيمن تصدّى له، وبقاء أهلية الخليفة أو سقوطه عنها، وعلى أيّ طريق تعتمد في إثبات هذه الأمور.

خامسًا: صلاحيات الإمام والخليفة، إذ بعد أن خالف السّنّةُ الشيعةَ، فذهبوا إلى عدم عصمة الخليفة، وأنه يعمل باجتهاده، لا بعهدٍ من الله تعالى ورسولهﷺ، فلابدّ من تحديد صلاحياته، فإنّ الواقع العملي للخلفاء عند السّنّة في غاية الاختلاف والاضطراب.

فالاختلاف والاضطراب يتّضح من خلال إصرار السّنة على أنّ النبيﷺ لم يعهد بالخلافة لشخصٍ خاص، بل ترك الأمر شورى بين المسلمين، إلاّ أنّ مبدأ الاختيار قد نُقِضَ حين عهد أبو بكر- عملاً بمبدأ النص - لِعُمر، الذي حدد بدَوره ضوابط اختيار الخليفة التالي له، بعد أن قصَر المرشّحين لها على مجموعة خاصة..

1 - السيد الحكيم، المهدي المنتظر..، ص175 و176 .

نقص نظام الحكم بحسب رؤية الجمهور ممّا يمنع تشريعه إسلاميًّا:

يرى السيد الحكيم أنه مع عدم تحديد نظام ثابت للحكم - نصّ أو شورى - من قِبل الجمهور، فالنظام يكون ناقصًا، ولا يصلح أن يكون طرَفًا في المقارنة مع مذهب الشيعة والموازنة بينهما، ويمتنع تشريعه إسلاميًا للأسباب التالية:

3. **أولاً:** لاستلزامه نقص الدين، وعدم تحديد موضوع الحكم الشرعي من قِبل الشارع الأقدس، فالإمامة لها أحكام شرعية، كوجوب وجود الإمام ووجوب طاعته، ووجوب قتال الخارجين عليه، وعليه، فعدم تحديد نظام الإمامة بدقّة، يلزم منه جعل الشارع لأحكام الإمامة من دون تحديد موضوعها. وكيف ذلك والله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:3]، ممّا يدلّ على كمال الدين.

ثانيًا: إنّ الفراغ التشريعي في نظام السلطة كان سببًا لإثارة المشاكل والفتنة واختلال النظام.

الأدلة على صحّة مذهب الشيعة في المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

يُشير السيد الحكيم إلى وجود أمرين مهمَّين ننطلق منهما لإثبات وجوده عليه السلام، هما:

الأمر الأول: وجوب معرفة الإمام والتسليم له، لقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتةً جاهلية»[1].

الأمر الثاني: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الأئمة من بعدي اثنا عشر»[2].

1 - وفي روايــةٍ أخرى: «من مــات وليس في عنقِه بيعةٌ، مات ميتةً جاهليةً»، رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج5، ص 221.

2 - المجلسي، بحار الأنوار، ج36، ص 226.

الخاتمة

تبين من خلال هذه القراءة لكتاب "**المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر**":

1. انتهج المُؤلف الموضوعية واحترام الرأي الآخر في عرضه للروايات والاحتجاج بها على الآخر، من خلال متبنيات هذا الآخر الحديثية.
2. في موضوع(الغَيبة) استدلّ المؤلف بالأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام فقط، لأنّ جمهور المدرسة الأخرى لا يؤمن بوجود الإمام أو ولادته أصلاً، فكيف يؤمن بغَيبته.
3. لم يخرج المؤلف عما عليه علماء الإمامية في مسألة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: ولادةً وغَيبةً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

■ ابن أبي الحديد، عز الدين هبة الله المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط- 1966م.

■ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، مصر: مطبعة مصطفى محمد، د.ت.

■ ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشفاء: قسم الإلهيات، تحقيق: الأب قنواتي، القاهرة: المطبعة الأميرية، ط- 1960.

■ الأسدآبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد، المُغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق: عبد الحليم محمود، وسليمان دنيا، مطبعة القاهرة: د. ت.

■ الأسدآبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مصر: ط1 - 1965.

■ الإسفرائيني، أبو عوانة يعقوب بن إسحق، مسند أبي عوانة، بيروت: دار المعرفة: ط1- 1998م.

■ الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط1 - 1955.

■ الأيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام: مع شرحه للجرجاني، مصر: مطبعة السعادة، ط1 - 1907.

■ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التمهيد في الرّد على الملحدة والمعطلة والرافضة

والخوارج والمعتزلة، بيروت: المكتبة الشرقية، نشرة الأب ريتشارد يوسف مكارثي، د. ت.

■ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بحاشية السندي، بيروت- بغداد، دار الفكر، ط- 1986.

■ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، استانبول، مطبعة الدولة، ط1 - 1928.

■ الجويني، عبد الملك بن يوسف، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، تحقيق: د.محمد يوسف موسى، مصر: مطبعة السعادة، مصر، ط1 - 1950.

■ الحكيم، السيد محمد سعيد، المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر، تقديم: النجف الأشرف: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي(ع)، الطبعة الأولى، رقم الإصدار 166.

■ الحلّي، جمال الدين الحسن، الألفَين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، النجف الأشرف: مطبعة الحيدرية، ط2 - 1388هـ.

■ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مطبوع على هامش الفِصَل لابن حزم، مصر: المطبعة الأدبية، ط1 - 1317هـ.

■ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، تصحيح: ألفرد جيوم، بغداد: مطبعة المثنى، د. ت.

■ الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.ط2، د. ت.

■ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تلخيص الشافي، تحقيق: السيد حسين بحر العلوم، النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ط2 - 1963.

■ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام، كنز العمال، تحقيق: بكري حياتي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1409هـ.

■ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، النجف الأشرف: مطبعة الحيدرية، ط3 - 1973.

Awaited Mahdi, Twelfth Imam

By His Eminence the late religious authority, Grand Ayatollah Sayyid Mohammad Saeed al-Hakeem

◆ **Prof. Raouf Ahmad al-Shammari**

Professor at the University of Kufa - College of Jurisprudence - Iraq.

This book is divided into two parts. The author, in the first, discussed in detail the importance of Imamate in the Islamic political system and the methods of proving it among Muslims in general, and among Shiites in particular. He also reviewed a group of hadiths, narrations of the Imams of Ahl al-Bayt, which were mentioned in the text on the Imamate of the Twelve Imams in general, and Imam Mahdi (PBUH) in particular, in addition to the sayings of the scholars of the famous Islamic sects, and the rational evidence of the necessity of the Imamate. That it is a divine matter, in which the Prophet, or the people, have no role in choosing him. Meanwhile, the author, in the second part, discussed the matter Imam Mahdi (PBUH), doubts related to his birth, occultation [al-Ghayba], and the philosophy of waiting for him.

The author concluded that belief in Imam Mahdi (PBUH), the issue of his occultation, and waiting for his appearance to fill the earth with justice and equity, are among the Islamic beliefs agreed upon by Muslims and their theological sects.

Keywords:

Imamate, Imam Mahdi, Occultation, Philosophy of Waiting, Justice and Equity.

Doctrine of Waiting, Mahdism in Orientalists Perspectives
Analytical Study

◆ **Prof. Shaheed Kareem Mohammad Al-Kaabi**

Specialist in the History of Orientalism - University of Maysan - Iraq.

◆ **Assist. Lecturer: Ayat Aziz Jari**

Specialist in Islamic History - University of Maysan - Iraq.

Abstract

This study confirmed - at the beginning - that the idea of Mahdism and waiting for the savior is an idea that stems from human innate nature, which yearns for justice and living in peace and dignity, as well as the desire of human societies to achieve social justice. This is what the heavenly religions confirmed, and the positivist philosophies adopted.

Regarding the position of Western Orientalism about the doctrine of Mahdism and salvation, this study shed light on the positions of major European orientalists, such as: The Dutch Orientalist Gerolf van Volten, the Hungarian Goldziher, and the French Henry Corbin. We presented and discussed their perspectives in general, revealing their religious, ideological and political backgrounds, and the weakness of what these Orientalists promoted, especially the claim that the Islamic Mahdist doctrine is plagiarized from religions prior to Islam, while scientific and historical truth confirms the authenticity of this doctrine, and its roots in the texts of Islamic revelation.

Keywords:

Shiites, Mahdism, Orientalism, Waiting, Henry Corbin.

Mahdist Thesis between Orientalist Sayings, Quranic Texts

◆ Qassem Shaib

Researcher in Philosophy and Islamic Studies - Tunisia.

Abstract

Orientalists did not neglect the research about the issue of Mahdism, but studied it from different methodological, historical, anthropological and ideological aspects. They ended up denying it and considering it an alien belief to Islam, and from previous religions. This position has no scientific basis, and does not take into account the foundational texts transmitted in succession regarding these beliefs. In this research, the positions of a number of orientalists (Jews and Christians), regarding the Mahdist thesis, will be reviewed and discussed, in two independent titles. In a third title, in which their Quranic authenticity was investigated, we reviewed a number of verses interpreted in Imam Mahdi (PBUH), which were addressed by interpretive encyclopedias for both Sunnis and Shiites.

Keywords:

Holy Quran, Mahdism, Orientalism, Shiites, Sunnis.

Quranic Impact in Some Texts of Iftitah Supplication
Study of Content

◆ **Ahmed Muwaffaq Mahdi**
College of Education for Humanities - University of Basra - Iraq.

■ Abstract

The supplications of Imam Mahdi (peace be upon him) formed a main pillar, so it became an important reference for Muslims after the Quran. The advantage of these supplications is that they contain Quranic verses, thus enhancing the ability to bring images and represent meanings. They are, dye to what they include, an approach to life, because they are based on a relationship between Allah, Almighty, and mankind within this world. Undoubtedly, the research in such topic is both an arduous and exciting job. The Quranic impact - that Imam (peace be upon him) let it in the supplication, in which he called for establishing the pillars of the true Islamic religion - had a great impact in establishing and consolidating those pillars, because it has a profound impact on the recipient in particular, and the Islamic community in general, and the positive results it reflects.

Keywords:

Impact, Holy Quran, Ifftah Supplication, Monotheism, Divine Will.

Philosophy of Establishing Justice, Ending Injustice in Mahdist Society
Comparative Reading with Qur'anic Text

◆ **Prof. Abdul Khaliq Marhab**

Specialist in contemporary Qur'anic studies, Imam Ja'far al-Sadiq University (AS) / Najaf al-Ashraf - Iraq.

■ Abstract

Adding the term (philosophy) to the justice selects a system of methodological procedure, whose data is found in the philosophy of ethics. This data concerned with discussing a moral topic, in terms of its concepts, components, the ways in which it is linked to reality, the types of its formations and its goals. This is what the objectives of this research have outlined.

Comparing the subject by Qur'anic perspective is considered an interpretation that consists of interpreting the Qur'anic verses, by referring to what the narrations of the Mahdi's appearance refer to in terms of facts and events, in addition to the Quranic verses that the infallible ones interpreted as the emergence of al-Qaim [Imam Mahdi] (peace be upon him).

Keywords:

Elements of Justice, Criminal Justice, Unjust Injustice, Universality of Justice - Goals of Justice.

Philosophy of Affliction in Mahdist Project Quranic and Hadith Perspective

◆ **Mohammad Abdul Hussein Al-Khalidi**

PhD in Islamic jurisprudence and knowledge - Professor at the religious seminary and Al-Mustafa International University - Iran.

Abstract

The affliction is considered one of the important and effective principles in the historical context of community building. The study aimed to shed light on its impact and effectiveness, in clarifying the objectives it seeks to achieve within the framework of the Mahdist project. This was done through an analytical study of the verses and narrations related to the Mahdist issue. It has reached important results that pertain to the aspects of the Mahdist project, and its connection to the purifying movement of afflictions in human society, since the earlier prophets up to the present day.

Keywords:

Trials, Mahdist Project, Quranic Reading, Hadith Reading, Historical Traditions.

Reasons for Imam Mahdi Occultation
Quranic Approach to Story of Moses, Children of Israel

◆ **Dr. Ahmed Dahib Hussein**
Researcher in Quranic Studies – Iraq

Abstract

The issue of the occultation of Imam Mahdi (PBUH), the twelfth Imam of the Ahl al-Bayt (PBUT)[1], is considered one of the problematic matters, around which there has been disagreement among Muslims. In this study, an attempt is made to shed light on this issue, to understand its causes, reasons, and philosophy, and to explore whether it is a law of existence. This is done by comparing the occultation of Imam Mahdi (PBUH) with the occultation of Prophet Musa (PBUH), which is considered a brief form of occultation compared to that of the Imam. Through this comparison and reflection on the Quranic stories that mention the absence of several prophets from their people, lessons and insights can be drawn, and morals can be learned. Consequently, this helps us understand the outcomes reaped by these peoples, including the Children of Israel, from the absence of their prophets, to reflect on the results of such absences, and how to deal with the occultation of Imam Mahdi (PBUH) today, in a way that benefits humanity while waiting for the world savior.

1- Peace be upon him

Keywords:

Imam Mahdi (PBUH), Occultation, Waiting [Alentedhar], Moses (PBUH), Children of Israel.

Imamate between Necessities of Presence, Concealment Qur'anic Epistemological Criticism

◆ **Hussein Ibrahim Shams al-Din**

PhD student in Sociology and Philosophy, Seminary [al-Hawza] of Qom, Iran.

■ Abstract

The issue of Imamate in Islamic thought is generally considered one of the intricate topics, which plays a role in shaping the social and doctrinal Islamic identity. However, this matter has not been agreed upon by the various Islamic sects. The Imami school, for example, approaches it from an existential ontological perspective linked to the concepts of monotheism, the creation of the world, and its purpose. Thus, the concept of the Imam's existence is connected to the perspective of the perfect human, and is not merely a matter of general leadership or governance, as is the case in some other schools.

This issue was clearly reflected in the issue of the presence and occultation of the Imam. The occultation was not as strong as the non-existence of the Imam, because the purpose of his existence is not limited to his mere presence, even though presence is the greatest manifestation of the effectiveness and existence of the Imam. However, his occultation, or concealment from people, does not contradict the necessity of his existence in the world of creation.

Keywords:

Imamate - Presence - Occultation - Perfect Human - World of Creation.

Proof of Mahdism in Qur'an Through the Objectives of Divine Succession of Humanity on Earth

◆ **Mohammad Mahdi Haeri Poor**

Member of the Scientific Board of the Bright Future Foundation (Mahdism Research Center) Qom, Iran.

◆ **Translated by: Dr. Mohammad Firas Al-Halbawi**

PhD in Persian Language and Literature, Lecturer at Damascus University, Syria.

■ Abstract

The Islamic sects depend on the Holy Qur'an, and since the belief in the Mahdism is a common doctrine among Islamic schools of thought, we find references to it in several Qur'anic verses, as the Qur'an contains the clarification of everything. One should reflect on the context and form in which this divine clarification is mentioned, because it is clear that many divine truths are not explicitly stated in the apparent words and phrases of the Qur'an. Therefore, it should be searched for in other means. They are conveyed within the framework of the objectives behind the missions of the prophets, and the purpose of human creation. Furthermore, presenting the study of Mahdism and the future of the world in this context highlights many verses that address this issue, and we will not find a practical application for those verses without the realization of Mahdism, as this matter supported by many hadiths and narrations, as well as the writings of both Shia and Sunni commentators.

In this study, the theory of Mahdism will be proven by revealing the objectives of divine succession of humanity on Earth, and the relationship between Mahdism and the future of the world in the Qur'an.

Keywords:

Mahdism, Future of the World, Objectives of the Prophets, Global State, Call for Justice.

Certainty Realization of Mahdist Project
Quranic Study on Concept "Prevailing over all Religions"

◆ **Prof Noor Mahdi Kazem Al-Saedi**

College of Islamic Sciences - Warith Al-Anbiya (peace be upon him) University - Iraq

■ Abstract

The research starts with the hypothesis that the Mahdist project is a divine promise that will be inevitably realized, based on Quranic data on the one hand, and divine laws on the other, which have inherent and unchanging characteristics that ensure the realization of Allah's justice, wisdom, and greatness.

From this point, the study highlights the strong connection between the inheritance of the Earth, referred to in the research as the "Mahdist project," and the appearance of Islam over all religion, an interconnected relationship of cause and effect, which the research seeks to explain and demonstrate.

Keywords: Mahdist Project, Quran, Prevailing of Religion, Inheritance of the Earth, Certainty, Divine Laws.

Quran came with general and broad verses and legislations, which the Prophet (peace be upon him) clarified and detailed, according to the level of the addressees, so, the project of Imam Mahdi (may Allah hasten his reappearance) will restore this clarification to its real foundations, applying it in the most accurate way, either through substantiation, or by explaining the correct interpretation. This is to rebuild the authentic Islam, and present the proper divine model for the state that Islam intended for humanity.

It becomes clear that the foundations of the project of Imam Mahdi (peace be upon him), with all its actions, words, and confirmations, and the principles upon which it operates, are derived from Holy Quran and the Sunnah of the Prophet Mohammad (peace be upon him), making them his reference, from which he will never deviate or differ. In other words, they will never part from each other, and the Imam's project is an applied representation of Quran in all its details and specifics.

Based on the above, this issue of "Tabyin" magazine comes to reveal the Islamic reference for the belief in the Mahdist doctrine. The central theme of this issue includes a collection of articles and research that emphasize the Quranic and Sunnah roots of Shia Imamate, and the Mahdist project. It also explores the philosophy of establishing justice and eliminating oppression and tyranny in this project, in addition to discussing several doubts and issues related to the reasons and causes of the occultation of Imam Mahdi (peace be upon him), and the importance of awaiting relief [intedhar al-faraj]. Moreover, it addresses the Western Orientalist stance on the doctrine of salvation and the Mahdist belief, under the section of research and studies, and a reading in the book: "The Awaited Mahdi, the Twelfth Imam (peace be upon him)".

We hope that this issue will contribute to enriching the discussion on this topic, which today is the subject of much debate and discussion, as humanity longs for salvation and the spread of justice, as the world is increasingly filled with oppression and injustice.

Praise be to Allah, Lord of the Worlds.
Editor-in-Chief

The Prophet (peace be upon him) conveyed what was intended by his statement: "Whoever I am his master, Ali is his master" (peace be upon him)[1], with all the implications of its unrestricted nature that transcends time and form, transferring the leadership of the Prophet's (peace be upon him) mission to Imam Ali (peace be upon him). He also entrusted him with religious, intellectual, and political authority over the nation after him (peace be upon him). Then, Imam Ali (peace be upon him) passed on this authority to those designated to have the Prophet's legacy after him, as Allah, Almighty, appointed them, and by the Prophet (peace be upon him).

The completeness of the message lies in the declaration that links its revelation to the demonstration and perfection of faith, illustrating the complete alignment between what the Imam preached and Quran, particularly when we consider the conditional style and the obligation that necessitates this alignment. One of the key indications of the unity of the Qur'anic approach, and Ahl al-Bayt, is the principle of presenting the hadiths in light of Qur'an. In a hadith delivered by the Prophet (peace be upon him) in Mina, he said: "O people, whatever comes to you from me that agrees with Quran, I have said it; and whatever comes to you that contradicts Quran, I have not said it."[2]

This indicates that everything they present is a revelation, either as an application of the prophetic origin or a representation of it, or its perfect substantiation. Imam al-Sadiq (peace be upon him) has also said: "Everything is referred back to Quran and Sunnah, and every hadith that does not agree with Quran is falsehood."[3]

One of the tasks of the Sunnah is to apply the verses of Quran to the perfect substantiation, as well as to the practical example- the actions of the infallible (peace be upon him). For example, his (peace be upon him) saying: "Pray as you have seen me pray."[4] The practical example and actions of the infallible, as well as his project, serve as a proof and representation of the divine plan, clarifying the details of rulings and elaborating on the duties mentioned in Quran. In other words, the practical, real-world application of the Qur'anic intent and purpose is made clear. As time goes by, and due to the ongoing changes and shifts in society, and its circumstances, the need for the practical Sunnah laws, and its best application, becomes even more pressing. Thus, the project of Imam Mahdi (may Allah hasten his reappearance) is aimed at reviving the lost religious landmarks, and restoring the movement of religion to its correct path, after it has been manipulated and neglected, making it seem strange and difficult.

---

1 - Al-Saduq, Al-Khisal, p. 572, Hadith 1.

2 - (Wasa'il al-Shi'a) Means of Shi'a, Vol. 18, p. 79, Chapter 9 of the Chapters on the Qualities of the Judge, Hadith 15.

3 - Al-Kafi, Vol. 1, p. 69, Chapter of "Adhering to the Sunnah and Evidence from Quran", Hadith 3.

4 - Al-Majlisi, Bihar Al-Anwar, Vol. 82, p. 279.

"You explain things from the Book of Allah that we have not heard before." Imam al-Ridha replied: "It was revealed to us before it was revealed to the people, and it was explained to us before it was explained to others. We know its lawful and unlawful matters, its abrogating and abrogated verses..."[1]

The Prophet does not speak out of his own desire;[2] he is the second source of religious knowledge and legislation. The Prophet (peace be upon him) said: "Verily, I have been given Quran and something like it with it."[3] Since the Imamate Shia believe in the infallibility of the Imams and their leadership after the Prophet (peace be upon him), as since they are the preachers of Qur'an after him (peace be upon him), he said: "I am leaving among you two precious things, the Book of Allah, and my family [Ahl al-Bayt]. They will never separate from each other until they return to me at the Pond of Paradise."[4] Therefore, they expanded the concept of the Sunnah to include all the sayings, actions, and approvals of the infallible ones. As such, the statements of the infallible- whether he is Prophet or Imam - are considered proofs, when it comes to explaining Allah's will and objectives in Quran. There is no doubt that when a statement is confirmed to have originated from them, it must be accepted.

Many verses indicate that the religion was perfected and completed, through the guardianship of Ahl al-Bayt (peace be upon him). One of the verses is: {This day have I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion} [Al-Ma'idah, verse: 3]. This verse was revealed after Imam Ali's (peace be upon him) allegiance at Ghadir Khumm, and after Allah, Almighty, made the transmission of the Islamic religion dependent on the transmission of it, by His Almighty saying: {O Messenger, announce that which has been revealed to you from your Lord, and if you do not, then you have not conveyed His message} [Al-Ma'idah, verse: 67]

---

1 - Tafsir Nur al-Thaqalayn, Abd Ali bin Juma al-Huwaizi, Vol. 4, p. 595, Hadith 19.

2 - Allah, Almighty, said: {Nor does he speak from inclination. It is not but a revelation revealed. Taught to him by one intense in strength} [Al-Najm, verses: 3- 4 -5].

3 - There are many narrations from the Prophet (PBUH) about the necessity of adhering to Quran and the pure family (PBUT). Many narrations that they are the source of knowledge, revelation and prophecy, and that they are the inheritors of the knowledge of the Prophets and Messengers (PBUt), and that they are the most knowledgeable people about Quran after the Prophet (PBUH) and the inheritors of his knowledge.

4 - Al-Kulayni. Al-Kafi, Vol. 2, p. 415, Al-Nasa'i, Al-Sunan Al-Kubra, Chapter on the Virtues of Ali, Vol. 5, p. 46, Hadith: 8148.

be influenced by personal ideas, deviations, mental predispositions, or pre-Islamic remnants.

The Prophet (peace be upon him) explained Qur›an to Imam Ali (peace be upon him) in a detailed and comprehensive way, which suited his capacity, and Imam Ali (peace be upon him) passed it on to the Imams from his lineage, who inherited it from generation to generation. Through this method, the Prophet (peace be upon him) established the principle of Ahl al-Bayt›s (peace be upon them) intellectual authority in various aspects of the mission. This reflects their suitability for divine succession, as that their mission is not confined to their time, as the immortality that Qur›an sought for itself, and its ongoing role as a reference and constitution, require the existence of an ideal and normative model for its interpretation and application, which remains with it perpetually.

Here, we can understand the Prophet›s (peace be upon him) statement that Qur›an and Ahl al-Bayt will «never separate.» This perpetuity would not have been possible if what Ahl al-Bayt (peace be upon them) had - both their methodology and their mission - was not a true and coherent reflection of Qur›an itself, with all its meanings, objectives, and purposes.

Holy Quran is a statement of divine knowledge, the truths of existence, and the laws, guidance, and commandments for both this world and the Hereafter, generally presented in the form of universal principles and general foundations. This created the need for further detail, clarification, and explanation. Therefore, refereeing to the Sunnah of Prophet (peace be upon him) and his family [Ahl al-Bayt] (peace be upon them), became essential to explain these generalities and clarify the ambiguities. The application of the Sunnah- whether in speech, action, or approval- helped to clearly define every religious and epistemic principle, and to apply it in the best possible manner. Thus, the Shia Imamate believes in a central theory of Quran's core role, and the Sunnah as its guiding axis. They did not limit themselves to the Quran›s centrality alone[1], in contrast to the saying: "The Book of Allah is sufficient for us," which is considered an interpretation based on opinion and is prohibited, as it implies dismissing the role of the Sunnah and its connection to Quran. This dismissing undermines the most direct channel of interpretation, which is embodied by the Prophet and his family–those who were directly addressed by Quran and are the fundamental link between Allah and humanity. Quran is best understood by those it was revealed to. As Imam Baqir (peace be upon him) said: "Quran is only understood by those it was revealed to".[2]

In this context, a man once asked Imam al-Ridha (peace be upon him), saying:

1 - Also, do not limit themselves with the theory of sufficiency of the Noble Sunnah without Qur'an.

2 - Al-Kulayni, Al-Kafi, Vol. 8, p. 312.

Editorial:

Ahl al-Bayt (PBUT), Ideal Model of Divine Succession

Editor-in-Chief:
◆ **Dr. Ammar Abd al-Razzaq Al-Sagheer**

Muslims generally agree on the pioneering interpretive role that the Prophet Muhammad (peace be upon him) played as the first interpreter of Quran, as well his central role in applying the concepts of Quran and explaining his overall perspective of the universe and life. This role requires extensive specialized studies to understand its scope and limits.

One of the most notable aspects of the interpretive role of Prophet (peace be upon him) is represented at two levels: The first is the general one, which he explained to the public according to their needs, the requirements of the situation, and the level of their understanding and reception. This led some to believe that the Prophet (peace be upon him) explained only a limited number of verses from Qur›an, as in the narration reported by al-Bazzar: «The Messenger of Allah (peace be upon him) did not explain anything of Qur›an, except a limited number of verses that Gabriel had taught him.»[1] This perspective contradicts what Allal, Almighty, said in Qur'an, which explains the Prophet's mission: {And We revealed to you the message that you may make clear to the people what was sent down to them, and that perhaps they will reflect} [Al-Nahl, verse: 44]. Qur'an makes it clear that the explanation of Prophet (peace be upon him) was comprehensive.

The second level is the specialized interpretive level, which requires profound awareness and a comprehensive understanding of Qur›anic objectives, as well as a profound understanding of Qur›anic heritage. Among the Muslims, only Imam Ali (peace be upon him) had this qualification, about whom Allah, Almighty, said: {and a conscious ear would be conscious of it} [Al-Haqqah, verse: 12]. This enabled him to be the trusted authority after the Prophet (peace be upon him) in understanding and conveying Qur›an to the nation, ensuring that their understanding would not

1- The hadith was narrated by Al-Bazzar on the authority of Aisha. See: Tafsir Al-Tabari, Vol. 1, p. 29.

index

Editorial

6 | **Ahl al-Bayt (PBUT), Ideal Model of Divine Succession**
Dr. Ammar Abd al-Razzaq Al-Sagheer

Focus

11 | **Certainty Realization of Mahdist Project**
Prof Noor Mahdi Kazem Al-Saedi

12 | **Proof of Mahdism in Qur'an Through the Objectives of Divine Succession of Humanity on Earth**
Mohammad Mahdi Haeri Poor

13 | **Imamate between Necessities of Presence, Concealment Qur'anic Epistemological Criticism**
Hussein Ibrahim Shams al-Din

14 | **Reasons for Imam Mahdi Occultation**
Dr. Ahmed Dahib Hussein

15 | **Philosophy of Affliction in Mahdist Project Quranic and Hadith Perspective**
Mohammad Abdul Hussein Al-Khalidi

16 | **Philosophy of Establishing Justice, Ending Injustice in Mahdist Society**
Prof. Abdul Khaliq Marhab

17 | **Quranic Impact in Some Texts of Iftitah Supplication**
Ahmed Muwaffaq Mahdi

Studies and Researches

18 | **Mahdist Thesis between Orientalist Sayings, Quranic Texts**
Qassem Shaib

19 | **Doctrine of Waiting, Mahdism in Orientalists Perspectives**
Prof. Shaheed Kareem Mohammad Al-Kaabi - Assist. Lecturer: Ayat Aziz Jari

Reading in Book

20 | **Awaited Mahdi, Twelfth Imam**
Prof. Raouf Ahmad al-Shammari

Magazine Message:

1 - Returning to Holy Qur'an and confirming the authority of its verses in addressing the issues of the contemporary nation.

2 - Spreading Qur'anic culture on a large scale and linking the nation to its Holy Book (Qur'an) to overcome leaving the Qur'an cognitively.

3 - Emphasizing the ability of Holy Qur'an to revive the spirit and renew effectiveness in the mind and conscience of the nation to achieve the desired renaissance.

4 - Consolidating the authority of Ahl al-Bayt (Prophet Family) (peace be upon him) in understanding and interpreting the Qur'an based on the Hadith of al-Thaqalayn (statement attributed to the Islamic prophet Mohammad, that introduces the Qur'an), due to the importance of this in paving the way for the promised Mahdist society.

Scientific Body

- Dr. Abbas Al-Fahham: Qur'an Rhetoric – Iraq.
- Dr. Hassan Reda: Education – Lebanon.
- Dr. Mabrouk Zad Al-Khair: Islamic Studies – Algeria.
- Dr. Talal Faiq Al Kamali: Interpretation and Qur'an Sciences – Iraq.
- Dr. Mohammad Reda Haji Esmaili: Qur'an Studies – Iran.
- Dr. Iqbal Najm Wafi: Qur'an Sciences – Iraq.
- Dr. Mounir Ben Jamour: Jurisprudence and its Sciences – Tunisia.
- Dr. Fadel Madab Al-Masoudi: Interpretation and Qur'an Sciences – Iraq.
- Dr. Mohammad Kazem Rahman Staish: Qur'anic Sciences – Iran.

Editorial board (alphabetical order)

- Eng. Dr. Asaad Abdul Razzaq Al-Asadi: Sharia and Islamic Sciences – Iraq.
- Sheikh. Dr. Jawad Riad: Jurisprudence and its Sciences – Egypt.
- Dr. Hassan Kadhim Asad: Interpretation and Qur'an Sciences – Iraq.
- Mr. Hussein Ibrahim: Qur'an Sciences - Lebanon.
- Eng. Dr. Hakim Salman Al-Sultani: Qur'an Sciences – Iraq.
- Dr. Abdullah Janouf: Islamic Studies – Tunisia.
- Eng. Ali Banayan Asfahani: Sciences of Qur'an and Hadith – Iran.
- Dr. Qaid Abd al-muttalib al-Fahham (Interpretation and Qur'an Sciences - Iraq)
- Eng. Dr. Leka Jawad Al-Kaabi: Sciences of Qur'an and Hadith – Iraq.
- Eng. Mohammad Reda Sotoudehnia: Sciences of Qur'an and Hadith - Iran.

General Supervisor:
Sheikh Jalal al-Din Al-Sagheer

Editor in chief:
Dr. Ammar Abdel Razzaq Al-Sagheer

Managing Editor:
Dr. Mohammad Dakir

Managing Director:
Dr. Ali mohammad jawad fadlollah

Creative Director:
Mr. Khaled Mimari

Proofreading:
Dr. Walid al-Saraqbi

Translators:
Mrs. Lina al-Saqer (English)
Mr. Yasser Bashir (Persian)

For Quranic Studies
TABYIN

«Tabyin for Quranic Studies» is a quarterly scientific periodical magazine, issued by «Baratha Center for Studies and Research» in Beirut and Baghdad. It is concerned with approaching contemporary intellectual issues and challenges from a Qur'anic approach, and aims to root contemporary issues from a Qur'anic perspective, and to spread Qur'anic culture.

Quranic Reference for Mahdist Project

First year - Issue (3-4) 2024 AD - 1446 AH

ISSN:
: 3005-6691
: 3005-6705

For Quranic Studies
TABYIN

A quarterly journal concerned with approaching contemporary intellectual issues and challenges from a Qur'anic approach

www.barathacenter.com
www.Tabyin.barathacenter.com
Tabyin.magazine@gmail.com

issued by:

Baratha Center for Studies and Research
Beirut- Baghdad

For Quranic Studies
JABYIN
issued by Baratha Center
for Studies and Research

ISSN: 3005-6691 : 3005-6705

First year - Issue (3 - 4): 2024 AD - 1446 AH

Quranic Reference for Mahdist Project

Editorial:
- Ahl al-Bayt (PBUT), Ideal Model of Divine Succession
- Certainty Realization of Mahdist Project
- Imamate between Necessities of Presence
- Reasons for Imam Mahdi Occultation
- Philosophy of Affliction in Mahdist
- Quranic Impact in Some Texts of Iftitah Supplication

Studies and Researches
- Mahdist Thesis between Orientalist Sayings, Quranic Texts
- Doctrine of Waiting, Mahdism in Orientalists Perspectives

Reading in Book
- Awaited Mahdi, Twelfth Imam

Baratha Center for
Studies and Research